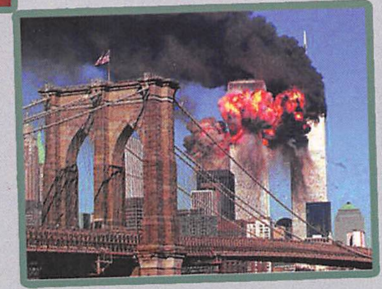
المركز القومى للترجمة

المشروع القومى للترجمة

صناعة الأخبار العربية









تأليف: نهى ميللر

ترجمة: حنان عبد الرحمن الصفتى

1576

تقارن الكاتبة نهى ميللر فى هذا العمل بين أداء الفضائيات العربية والأوروبية، أوجه الشبه وأوجه الخلاف، الميزانيات والتقنيات، التدريب وثقافة فرق العمل و لغتهم، و تشير إلى أن الأداء المتميز لبعض الفضائيات العربية فى مجال الأخبار، خاصة فى تغطيتها لحرب الخليج والعراق، قد جعلها قبلة موثوقًا بمصداقيتها لدى المشاهد العربى، ووضع أيدينا ببساطة على ما بهرنا وأمتعنا فى البرامج الإخبارية فى تلك الفضائيات، مفسرًا حالة اللهاث التى انتابت المواطن العربى لامتلاك طبق استقبال هذه الفضائيات، أو على الأقل امتلاك ذلك الاشتراك زهيد الثمن فى طبق واحد، والمنتشر فى أحيائنا الشعبية رغم تجريمه قانونيا ، إلا انه يعكس إصرار المواطن البسيط على التواصل مع برامج هذه الفضائيات التى منحته على غير انتظار المعرفة والمتعة فى طبق إعلامى واحد ، وخلصته فى آن واحد من رتابة البرامج الإخبارية وسذاجتها فى التليفزيونات الحكومية فى معظم البلدان العربية.

تصميم الغلاف: حسن كامل

صناعة الأخبار العربية

المركز القومى للترجمة

إشراف : جابر عصفور

- العدد: 1576
- صناعة الأخبار العربية
- نهى ميلور
- حنان الصفتى
- الطبعة الأولى 2010

هذه ترجمة كتاب :

The Making of Arab News

By: Noha Mellor

First Published in the United States

by Rowman & Littlefield Publishers, Inc.

Lanham, Maryland U.S.A.

Reprinted by Permission.

شارع الجبلاية بالأوبرا – الجزيرة – القاهرة . ت: ٢٧٣٥٤٥٢٤ – ٢٧٣٥٤٥٢٦ فاكس: ٢٧٣٥٤٥٥٤

El-Gabalaya St., Opera House, El-Gezira, Cairo

E.mail:egyptcouncil@yahoo.com Tel.: 27354524 - 27354526 Fax: 27354554

صناعة الأخبار العربية

تـــألـــيـــف : نـهـى مـــــيـللـر

ترجمة وتقديم : حنان الصـــفـــتى



2010

بطاقة الفهرسة
إعداد الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية
إدارة الشئون الفنية

ميللر ، نهى
صناعة الأخبار العربية/ تأليف: نهى ميللر؛ ترجمة وتقديم: حنان الصفتي.
ط ١ - القاهرة : المركز القومى للترجمة ، ٢٠١٠
٢٦٠ ص ، ٢٤ سم
١ - وكالات الأنباء العربية.
(أ) الصفتى ، حنان (مترجمة ومقدمة) .
(ب) العنوان ٠٧٠,٤٣٥

رقم الإيداع: ٤٢٠٢ / ٢٠١٠
الترقيم الدولى: I.S.B.N. 978-977-479-890-1
طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

المحتويات

مقدمة المترجمة 9

استهلال 13

مقدمة المؤلفة 15

الجزء الأول:

١- المنطقة العربية: أوجه التشابه والاختلاف 37

٢- تاريخ الأخبار العربية 49

٣- الصحافة العربية 83

٤- قيم الأخبار 123

الجزء الثاني:

٥- أدبيات الأخبار 165

٦- اللغة العربية الفصحى المعاصرة 171

٧- القيم فى اللغة 193

الخاتمة 223

المراجع 230

الجداول والأشكال

الجداول

• جدول ١، ١: مؤشر الحريات فى الدول العربية 40

• جدول ١، ٢: معدل معرفة القراءة والكتابة فى الدول العربية ٢٠٠٠/٢٠٠٤ 42

• جدول ١، ٣: الجرائد اليومية 44

• جدول ١، ٤: تمثيل حصول العرب على الميديا المطبوعة والإلكترونية 45

• جدول ٣، ١: نموذج رو للصحافة العربية 86

• جدول ٤، ١: قيم الأخبار الأمريكية فى مقابل الأخبار العربية 162

• جدول ٦، ١: الكلمات الإنجليزية الدخيلة على الصحافة العربية 188

• جدول ٧، ١: اسم الفاعل «قائل» 211

الأشكال

- شكل ١، ١: أمركة أدبيات الميديا العربية 22
- شكل ٢، ١: تقارب اهتمامات جميع الأطراف 31
- شكل ٣، ١: النظام السلطوى للصحافة 107
- شكل ٣، ٢: ميديا الأخبار العربية تقع بين محورين 116
- شكل ٦، ١: مستويات اللغة العربية 180
- شكل ٧، ١: أسلوب الهرم المقلوب فى الكتابة 201
- شكل ٧، ٢: نموذج الهرم المدرج فى الكتابة 202

مقدمة المترجمة

أثناء بحثى عن بعض الأعمال الغربية التى كُتبت حول الإعلام العربى صادفت كتاب "صناعة الأخبار العربية" للدكتورة نهى ميللر، ولفت نظرى أن كاتبته مصرية الأصل، وكانت وقت كتابته تعمل أستاذة للإعلام العربى فى معهد دراسات الشرق الأوسط بجامعة كوبنهاجن بالدنمارك، وقد دفعنى لقراءته الربط الفورى التلقائى الذى أوحاه لى عنوان الكتاب بينه وبين التطور الهائل الحادث فى الميديا العربية، خاصة فى مجال الأخبار، الذى شهدته المنطقة العربية والمشاهد العربى خلال العشر سنوات السابقة، حتى أصبح طبق استقبال هذه الفضائيات مشهداً مألوفًا فوق أسطح المنازل العربية، وبعد أن كان حكراً فى السنوات الأولى على الأغنياء والقادرين وعلى فئات ثقافية محدودة.

صارت الفضائيات العربية ضيفًا دائمًا على البيت العربى، وأصبح الصغير قبل الكبير ينتظر برامجه ويترقب أبطاله، وصارت الفضائيات العربية همًا ونعمة فى الوقت نفسه للحكومات العربية، **همًا** لأنها تفضح الأداء المتدنى لتليفزيوناتها الوطنية فى أغلب الدول العربية، ولأنها تتحدث فى المسكوت عنه وغير المصرح به فى أوضاعنا الداخلية، وتكشف أوراق اللعب السياسية التى كانت حكراً على فئات وأناس دون غالبية الشعوب، كما أصبحت الفضائيات نعمة حيث وفرت بعضها - التى تحترف الترفيه دون التثقيف - على هذه الحكومات جهداً هائلا فى إلهاء شعوبها بسيل الأفلام والبرامج والمباريات والكليبات عما تفعله هذه الحكومات بشعوبها فساداً وإفساداً.

فتح الكتاب لى باب البحث الميدانى الحديث وهو ما نفتقده بشكل عام فى كتبنا، إذ يتحرك باحثونا عادة بين كتب من سبقوهم، وقد تعرفت من خلال الكتاب ومراجعه

المثبتة فى نهايته على عدد كبير من الباحثين العرب الجادين فى المجال نفسه، وأقصد به البحث الميدانى الذى يرصد الواقع العملى الآنى دون استغراق مفرط فى تاريخ المجال والذى يأخذ منا كثيرًا لدرجة أشعر معها أننا شعوب تعيش فى ماضيها أكثر مما تعيش حاضرها.

وربما بسبب إقامة الكاتبة فى أوروبا كانت قد تخلصت من المحاذير والعقبات والمحرمات البحثية التى تغلل باحثينا، واستطاعت أن تتحرك بحرية، وأن تفكر بحرية أيضًا، بل بالأحرى أن تتساءل بحرية راصدة ذلك التغير الهائل الذى ألم بصناعة الميديا العربية، خاصة فى مجال الأخبار، والتى صادف أن تمثل لهذه الميديا الوليدة مصدرًا غنيًا؛ إذ تزامن ونشوء تلك الفضائيات وميلادها أحداث عربية جسام فى الخليج والعراق ولبنان وفلسطين، وهو ما مكن الفضائيات الجادة منها أن تثبت أنه قد آن الأوان ليكون لنا محطاتنا وبرامجنا الإخبارية العربية التى نستطيع أن نتابع من خلالها بثقة ومتعة معًا أحداثنا فى العالم العربى، بعد أن كنا، وكما تشير الكاتبة نفسها داخل الكتاب، نسرع إلى مؤشر المحطات الغربية مثل البرنامج العربى فى محطة البى بى سى الإنجليزية لنعرف منه ما يحدث فى أوطاننا.

صار بإمكاننا الآن فى أوقاتنا العصيبة أن نشاهد المتابعات العربية الحية للأحداث على محطات عربية جادة وأمينة، تقدم الخبر والتقرير والتحليل، بل وتفتح الباب كى يناقش المشاهد العربى آراءه، ويطرح تساؤلاته، بل وأحيانًا يستطيع أن يبلور وجهة نظره فى حل منتظر، فى ممارسة من نوع جديد من الوعى السياسى الغائب تمامًا عن واقعنا العربى.

الكتاب وإن كان يستشهد بكثير من الكتابات فى المجال للعرب والأجانب، فإنه قد فتح طريقًا كى نرى واقعنا الإعلامى العربى، ما كان وما صار إليه وما يُنتظر منه، وقد حاولت الكاتبة أن تكون حيادية وموضوعية فيما تطرح مستشهدة بآرء العرب والغربيين معًا.

يلفت الكتاب النظر كذلك إلى ما صارت عليه منتجات الإعلام العربى، خاصة الأخبار، باعتبارها سلعة، لكنها سلعة ذات تميز وأثر بالغين على المشاهد العربى، فهى سلعة تخضع لضغوط متعددة، ضغوط الأجندات الموضوعة سلفًا للمحطات والحكومات، وضغوط التمويل المالى وضغوط المنافسة بينها وبين المحطات العربية الأخرى، ثم بينها وبين الفضائيات الأوروبية والأمريكية، إضافة لكونها سلعة تخاطب الوعى ولها دور مهم فى تشكيله وتوجيهه وبالتالى يُخشى من أثرها على جموع المشاهدين العرب الذين تعوّد حكامهم أن يتعاملوا معهم باعتبارهم متلقين لا فاعلين.

تقارن الكاتبة أيضًا بين أداء الفضائيات العربية والأوروبية، أوجه الشبه وأوجه الخلاف، الميزانيات والتقنيات، التدريب وثقافة فرق العمل ولغتهم، وتشير إلى أن الأداء المتميز لبعض الفضائيات العربية فى مجال الأخبار، خاصة فى تغطيتها لحرب الخليج والعراق، قد جعلها قبلة موثوقًا بمصداقيتها لدى المشاهد العربى، ووضع أيدينا ببساطة على ما بهرنا وأمتعنا فى البرامج الإخبارية فى تلك الفضائيات، مفسرًا حالة اللهاث التى انتابت المواطن العربى لامتلاك طبق استقبال هذه الفضائيات، أو على الأقل امتلاك ذلك الاشتراك زهيد الثمن فى طبق واحد، والمنتشر فى أحيائنا الشعبية رغم تجريمه قانونيًا، لكنه يعكس إصرار المواطن البسيط على التواصل مع برامج هذه الفضائيات التى منحته على غير انتظار المعرفة والمتعة فى طبق إعلامى واحد، وخلصته فى آن واحد من رتابة البرامج الإخبارية وسذاجتها فى التليفزيونات الحكومية فى معظم البلدان العربية.

ثم يأتى عامل آخر محدد لإذاعة الأخبار، وهو عامل اللغة المستخدمة فى مختلف القنوات الفضائية العربية، فما اللغة المناسبة لمخاطبة أكبر عدد من الجمهور العربى، أهى اللغة العربية الفصحى باعتبارها اللغة المشتركة بين العرب وهى اللغة التى يتم تعريف العرب بها؟ أم العامية الأكثر قربًا لوجدان المشاهد وهى الأقرب إلى سمعه وفهمه، والتى يجد نفسه فيها ويعبر بها عن نفسه وعن الآخرين؟

فجمهور القنوات العربية الفضائية متعدد اللهجات، ورغم أن هناك لغة فصحى مكتوبة تجمعهم فإن اللغة المنطوقة أكثر قرباً منهم. ولماذا التمسك باللغة المكتوبة مادامت لا تريح الكثير من المشاهدين، حيث يصعب عليهم فهمها أو التعامل بها؟

لكن المشكلة أن هناك رغبة فى الربط بين اللغة المستخدمة والهوية القومية، بمعنى أن التخلى عن العربية الفصحى قد يُفسر بأنه تهاون فى حق القومية العربية، ومن ناحية أخرى إذا أرادت القنوات الفضائية اتخاذ إحدى اللهجات لمخاطبة الفئات العربية، فأى لهجة يمكن اتخاذها؟ هل تستخدم العامية المصرية أم السورية أم المغربية فى هذه القنوات الفضائية؟

لكن الصورة ليست وردية تماماً فمازالت الحكومات العربية تسيطر إلى حد ما على الفضائيات حتى التجارية منها أو المستقلة التى تعمل فى الخارج، بل إنها أتاحت للحكومات وسائل جديدة فى الهيمنة والاحتكار فى مجال الصورة والإعلام أكثر ذكاء ودهاء وأقل التزاماً بالمعايير الرسمية الثقافية والأخلاقية والسياسية، ولم يكن رجال الأعمال والمستثمرون الإعلاميون سوى واجهات لخلاصة السياسات الرسمية، ولم يكونوا سوى وكلاء لحكام أكثر قسوة منهم، وأكثر التزاماً بالتعليمات والسياسات الرسمية.

وبعد.. بين يديك الآن كتاب الدكتورة نهى ميللر بالعربية التى حرصتُ على أن تكون بسيطة، مثلما كانت لغتها سلسلة وبسيطة، وموصلة للمعنى حتى تحقق الغرض من هذا الكتاب، ألا وهو الوصول إلى كثيرين من القراء العرب.

المترجمة

حنان الصفتى

استهلال

نظرًا لأنى من أصل عربى وأعيش فى أوروبا وأعمل فى مجال الميديا باحثة وصحفية، فقد مُنحت امتياز القدرة على التوصل لمعلومات ومطبوعات باللغة الإنجليزية والعربية معًا، ولقد أصررت على أن أشارك قرائى هذا الامتياز باستعراض وجهات نظر الباحثين العرب والعاملين بالمهنة جنبًا إلى جنب مع وجهات نظرائهم فى الغرب، وعلى وجه الخصوص وجهات نظر الأمريكيين. ومن خلال هذا الكتاب سوف أقوم بتقديم وجهة نظرى الشخصية فيما يخص التطورات الحالية التى تجرى على ساحة الميديا العربية. قد لا يتفق معى بعض القراء سواء كانوا عربًا أو من جنسيات أخرى أو قد يتفقون على محاولتى لتقييم هذه التطورات، ومع ذلك آمل أن يطلق هذا الكتاب شرارة الجدل حول مستقبل ميديا الأخبار العربية من وجهة نظر الباحثين والصحفيين، وكذلك من وجهة نظر عامة الناس.

وإنى أرحب بشكل خاص بأية تعليقات على محتويات هذا الكتاب والتى يمكننى الحصول عليها بواسطة بريدى الإلكترونى التالى: noha@mellor.com[١].

ولدى قبل كل شىء شكر واجب وأيضًا اعتذار، أولاً: أود تقديم الشكر الجزيل للسيد توماس بتروسو للمساعدة العظيمة التى قدمها من خلال تحرير هذا الكتاب، ومرة ثانية أقر بعرفانى لمؤسسة إنترناشيونال هيرالد تريبيون لسماحهم لى بإعادة تقديم هذا الجزء من مقالاتهم. كما أشكر كلا من الجرائد والمجلات: الشرق الأوسط والحياة والرأى العام لموافقتهم على اقتباس مقتطفات من مقالاتهم، أما بالنسبة للجزء

---

(١) البريد الإليكترونى لكاتبة الكتاب الأصلى باللغة الإنجليزية الدكتورة نهى ميللر.

الذى تم ذكره بالعربية مصحوباً بترجمة باللغة الإنجليزية فلقد قمت أنا بترجمتها، وسعيت أن تكون هذه الترجمات بسيطة قدر الإمكان، وناقلة فى الوقت نفسه للمعنى حتى تستطيع إيصال الفكرة التى تحتوى عليها النصوص الأصلية.

وأخيراً، كلمة اعتذار أتقدم بها حسب الترتيب، فقد ساهم التقدم التكنولوجى الكبير فى مجال النشر من تمكين الباحثين مثلى من الحصول على قدر هائل من المقالات الحديثة فوراً على شبكة الإنترنت، لكن قد صار لهذه المقالات تصميمات مختلفة وترقيم صفحات مختلف عن النص الأصلى المطبوع، وكان لهذا أثره فى مواضع قليلة من هذا الكتاب فلم أقدر على إعطاء الترقيم نفسه الموجود فى النص الأصلى حيث اعتمدت على النسخ المتوفرة على المواقع الإلكترونية.

المؤلفة

د. نهى ميللر

مقدمة المؤلفة

"الصحافة هى مهنة البحث عن المتاعب"

قول عربى مأثور

كان ظهور القنوات الفضائية العربية، وبالتحديد قناة الجزيرة التى صارت محط أنظار الميديا الغربية والجمهور، خاصة فيما يتعلق بتغطية موضوعات الحرب بدءًا بأفغانستان ووصولاً إلى العراق، كان هذا الظهور سببًا فى أن يجعلنا ولأول مرة نرى الحرب "من خلال عيون العرب" (نيوزويك ٢٠٠٣: ٦٨). لقد اتفق كل من الأمريكيين والعاملين بالميديا الإخبارية على أن القنوات الفضائية التلفزيونية العربية قد أصبحت الآن من أهم مصادر المعلومات والمعرفة للعالم العربى، متحدية بذلك هيمنة الميديا الأمريكية (شاركى ٢٠٠٣)، وتعد هذه علامة فارقة فى تدفق المعلومات التى كانت فيما سبق تخرج من الغرب باتجاه الشرق فأصبحت الآن تخرج من الشرق متجهة للغرب (حافظ ٢٠٠٢: ١٢١).

وقد طُرحت على الساحة مختلف الاستنتاجات حول مدى موضوعية تغطية الحرب من قبل الأمريكيين فى مقابل تغطية الحرب من قبل الإعلام العربى، فقد اتسمت تغطية الإعلام العربى للحرب بالإثارة والجدل حيث تبنت منظوراً مختلفًا كليًا عن ذلك الذى تبناه الإعلام الأمريكى. فعلى سبيل المثال، التعامل الإعلامى المثير للجدل الذى تقوم به قناة الجزيرة منذ أحداث الحادى عشر من سبتمبر ٢٠٠١، والذى قوبل باستياء كبير على الصعيدين الأمريكى والشرق أوسطى، وترجمة بعض الدول استياءها بعقد عدة مناظرات وحوارات تمت على الهواء مباشرة تناولت بعض القضايا التى قد تعتبرها

شائكة بالنسبة لأنظمتها الحاكمة، وفى الواقع كان الانتباه الذى أُعطى لقناة الجزيرة هائلا ولا يتناسب مع حجم الإمارة المضيفة لهذه القناة[1]. وقد تجلت فروق التغطية للحرب الأخيرة فى اختيارات القنوات لما تكتب حوله، فاختارت القنوات العربية الكتابة حول الحرب على العراق بينما أعدت وسائل الإعلام الأمريكية تقريراً حول الحرب داخل العراق. بالنسبة لقناة الجزيرة كانت مهتمة بإعطاء مساحة للمسئولين العراقيين خلال الأسابيع الأولى من الحرب، بالإضافة إلى بث شرائط تسجيل خاصة بصدام حسين وخطاباته. وفى الوقت الذى حصلت فيه الأصوات المنددة بالحرب على اهتمام كبير على شاشة الجزيرة، حصلت الأصوات المؤيدة للحرب على القليل أو ربما لم تحصل على تغطية من الأساس (رونالذ ٢٠٠٣)، بمعنى آخر تُعد التقارير الإخبارية على الجزيرة متحيزة وإن كانت تماثل نوع التحيز نفسه الذى تعانى منه بعض شبكات الإعلام الأمريكية (أوربينا ٢٠٠٢).

وبالمثل فقد ضخمت الميديا العربية من المعانى السياسية التى تنطوى عليها التغطية الغربية وبخاصة فى أمريكا خلال الحرب الأخيرة، فلقد سبق واتُّهمت الميديا الأمريكية بلى عنق الحقائق كى تبدى محاباتها لموقف حكومتها، ونذكرعلى سبيل المثال الصور التى أرسلتها وكالة الأنباء الفرنسية الأسوشيتدبرس والتى تصور امراة عجوز عراقية طاعنة فى السن وهى ترفع يديها للسماء وعلى الصورة تعليق يقول إنها ترحب بالقوات الأمريكية (أو المحتلين حسب ما اختارت بعض الصحف العربية تسميتهم)، والتى تم تفسيرها على نحو مختلف من قبل أحد المعلقين العرب الذى رأى أن نظرة المرأة المنزعجة ووضع يديها يشير بوضوح إلى أنها فى الواقع كانت تلعن الوضع الذى وصلت إليه، أى أنها لا ترحب بالأمريكان (أميمور ٢٠٠٣). وفى حين كان الإعلام الأمريكى (والغربى) يستهزئ بوزير الإعلام العراقى السابق (الصحاف) كان

---

(١) يقال إن الرئيس المصرى حسنى مبارك قد عبر عن دهشته من حجم المبنى الذى تستقله قناة الجزيرة فى قطر حتى قال ساخراً "هل تأتى كل هذه الضجة من علبة الكبريت هذه؟" (زيدنك، ريك - مناظير عن الحروب: داخل الجزيرة. Columbia Journalism Review، ٤٠، ٦: ٤٤-٤٧

الصحفيون العرب ينتقدون "الصحافة المرافقة للقوات" والتى اقتصرت فقط على ما رأيناه من "التهليل والتصفيق للقوات الأنجلوأمريكية"(١). كما انتقد الصحفيون الأمريكيون والباحثون على حد سواء تغطية إعلامهم متهمين إياه بهجر أخلاقيات الموضوعية وتبنى مبدأ الوطنية، وبالتالى كان على الرأى العام أن يستسلم فى تلك اللحظة(٢).

ورغم أن تحليل التغطية الإعلامية فى المنطقتين فى حد ذاته يعتبر شيئًا جديرًا بأن تُبذل فيه الجهود، فإنه يُظهر ردود الأفعال على السطح فقط ولا يذهب لما هو أبعد من هذا. وبافتراض أن الأخبار هى "شكل من أشكال التعبير عن الثقافة" (أسكودسن ١٩٩٥:٣)، فهنا قد يؤدى تفسير خبر ما عند لحظة ما فى ضوء الفروق التى تميزه عما نطرحه نحن إلى استنتاجات مضللة، حيث إنه يتجاهل العوامل الأساسية والخاصة التى ترسم الخبر فى ثقافة ما. من جهة أخرى، لم تلق قيم الأخبار فى العالم العربى اهتمامًا كبيرًا من قبل باحثى الإعلام، فبخلاف بعض الدراسات (أبو بكر ١٩٨٠، تركستانى ١٩٨٩، ناصر ١٩٨٣) والتى قد تُعد دراسات قديمة بمنظور وقتنا الحالى، وخاصة عندما نضع فى اعتبارنا التطورات الحالية مشهد الإعلام العربى، فحتى هذه اللحظة لا تزال الحاجة للدراسة البحثية فى هذا الموضوع ملحة أكثرمن أى فترة مضت، حيث كان المصدر الرئيسى للتحليل هو الصحفييون والمراقبون من الأفراد، لكن هناك العديد من الدراسات حول الملامح الرمزية للأخبار، وعلى سبيل المثال نمطية الأفكار أو الصور (كماليبور ١٩٩٥، ولفسفيلد إت ال ٢٠٠٢، دايموند ٢٠٠٢

(١) عبر فيصل القاسم وهو من أشهر مقدمى البرامج التى تقدم على قناة الجزيرة عن هذا الرأى فى: Janardhan. N. Media-Mideast: Arab Media under Fire for Anti-U.S. War Coverage. Global Information Network. 12 June 2003 (1).

(٢) فى الحقيقة ناصرت MSNBC مبدأ التغطية القومية بقولها "إنه ليس تضاربًا أن تقول إنك أمريكى قومى وصحفى أيضًا، كما أنه ليس تضاربًا أن تقول إنك مؤمن بقواتنا وتريد عودتهم لديارهم سالمين. ومن ناحية أخرى أنت مراسل وعملك هو أن تسأل كل فرد تقابله أسئلة تحاول من ورائها اكتشاف كل زاوية للقصة". مأخوذة من (شرقى، جاكولين إيه: حرب التليفزيون. استعراض الصحافة الأمريكية، ٢٥، ٤: ١٨

وسعيد ١٩٩٧)، فى الوقت الذى نجد أن المحددات الاجتماعية مثل نظرة الصحفيين لدورهم، والعلاقة بين الأجواء السياسية والثقافية من ناحية وصناعة الأخبار من ناحية اخرى لاتزال خارج الحسبان[1].

وهذا الكتاب يُعد مساهمة متواضعة على طريق البحث الطويل لفحص مكونات ميديا الأخبار فى المنطقة العربية، فالتركيز الأساسى يقتصر على قيم الأخبار العربية وكيفية طرح هذه الأفكار على مستوى النص فى الأخبار. ويناقش هذا الكتاب بالبحث قيم الأخبار فى الإعلام العربى بزعم أنها تشترك فى بعض الخصائص مع قيم الأخبار المعروفة فى إعلام الأخبار الأمريكية، فأوجه التشابه هذه لا تزال محصورة فى شكل الأخبار (مثال: بلاغة الأخبار وشكل تقديمها)، وغالبًا ما يرجع هذا لمستوى المهنية لدى الجيل الجديد من الصحفيين، فهذا التطور الجديد الذى شهدته ميديا الأخبار العربية لا يمكن تفسيره وترجمته فى إطار عولمة الميديا باعتبارها قوة خارجية، بل كان التغيير متوقعًا بالنظر للتغيرات التى طرأت قوميًا ومؤسسيًا ومهنيًا على سياق الميديا داخل الإقليم نفسه. على المستوى القومى، شهدت بعض الدول العربية إصلاحات سياسية صاحبت تغيير النظم الحاكمة، سواء كانت نتيجة مباشرة لتغيير الجيل الحاكم أو سعيًا وراء تقديم صورة جديدة لهذه الدول. وعلى المستوى المؤسسى، نجحت مؤسسات الميديا الإخبارية فى تهيئة نفسها لتتواءم مع التغيرات، واستخدام هذه المؤسسات كمؤشرعلى دخولها مجال الحداثة. وعلى المستوى المهنى، ظهر جيل جديد من الصحفيين العرب ذوى التدريب والتعليم الغربى واحتلوا مراكز قيادية فى مؤسسات الميديا المنشأة حديثًا، وفى أثناء محاولاتهم لتحديث كل من مهنتهم ومخرجات الميديا استلهم كل من الصحفيين والمؤسسات الإعلامية شكل التطور الذى يطمحون إليه من العالم المتقدم، وعلى وجه الخصوص الولايات المتحدة الأمريكية. أضف إلى هذا أن

---

(١) يفرق سكودسن ٢٠٠٢، ١٨٣بين اثنين من المفاهيم لتقديم الأخبار: ١) وجهات النظر الثقافية التى تبرزالعناصر النصية والتركيبية للأخبار. ٢) ووجهات النظر الاجتماعية التنظيمية التى تكشف نتائج التفاعلات بين أطراف اللعب المختلفة فى عملية تقديم الخبر مثل الملكية والسوق والقوانين.

الصحافة وتعليم الميديا فى العالم العربى عادة ما تتبنى مواد مترجمة من الإنجليزية، ويرجع هذا لحد ما إلى قلة المواد والنظريات المنتجة محليًا (أبو بكر ١٩٨٥، وعبد الرحمن ١٩٩١ والجمال ٢٠٠١).

اختلطت كل هذه العوامل معًا كى تساهم فى تلك التغيرات التى أخذت مكانها على ساحة الميديا العربية حاليًا، ومع ذلك فإن هذا الكتاب لا ينتمى للنظرية المتفائلة والتى ترى أن هذه التغيرات نتاج حتمى لديمقراطية العالم العربى، فالفكرة التى تقول إن الشكل الذى تُقدم به الأخبار وكذلك المناظرات المحتدمة ستقود بشكل أكيد إلى حالة من الديمقراطية فى المنطقة هى فكرة مشكوك فيها واقعيًا، ربما لأن العامل نفسه الذى أدى إلى تصاعد شعبية ميديا الأخبار فى حدود الإقليم الواحد هو نفسه العامل الذى سيقلص تأثيرهم السياسى، فمؤسسات ميديا الأخبار فى حالة تنافس شديدة لجذب المزيد من المشاهدين داخل حدود الإقليم، وبالتالى فهم مضطرون ومجبرون على إعطاء أولوية للسياسة الخارجية والقضايا المتبادلة على حساب حل المشكلات الداخلية الأكثر إلحاحًا والتى تختلف من دولة لأخرى.

والهدف من هذا الكتاب هو إلقاء الضوء على قيم الأخبار الحالية فى ميديا الأخبار العربية كما هى مصوغة بواسطة باحثين ومراقبين عرب وغربيين على حد سواء، وهذا يكفل تقديم مدخلات كلا الجانبين بدلا من تفسير قيم الأخبار من زاوية النظرية الغربية بمفردها. وللتأكيد على تشكيل هذه القيم تم تبنى أسلوب المقارنة لربط قيم الأخبار العربية بالأمريكية، علاوة على ذلك فإن القيم التى سنقوم بمناقشتها لن يتم كشفها فقط من وجهة النظر الاجتماعية والسياسية بل أيضًا على مستوى النص، أى مدى وضوح الفكرة فى النص الإخبارى نفسه، ومن ثم فإن مساهمة هذه الدراسة سوف تكون مضاعفة حيث إنها تتبنى أسلوب المقارنة لبحث الميديا الحالية (أسكودسن ٢٠٠٣: ٧، جولدنى اند اليوت ١٩٧٩) وأيضًا تقريب هذين الحقلين المتمثلين فى تحليل اللغة والعلوم الاجتماعية واللذين يجب أن يكملا بعضهما البعض (جيس ١٩٨٧).

تقارب كونى

يُعرف جينكيز (٢٠٠١: ٩٣) التقارب فى الميديا باعتباره حالة تتكون من عدد من العمليات التقاربية من بينها (التقارب الكونى)، تمامًا مثل ضغوط البنك الدولى وصندوق النقد الدولى لتوفير المزيد من التسهيلات لتحرير قطاع الميديا من بعض القيود التنظيمية (حافظ ٢٠٠١:٨). وتُعرف هذه العملية بـ"التهجين الثقافى الذى ينتج من التداول المستمر لمضمون الميديا دوليًا" (جينكيز، ٢٠٠١: ٩٣)، وهذا الشكل من التهجين الثقافى يبدو واضحًا فى المنطقة العربية حيث تتدفق المنتجات الثقافية الأمريكية جنبًا إلى جنب مع المنتج الثقافى المحلى المصنع، مثل المنتج المصرى واللبنانى والذى نجح فى دمج الملامح والجوانب الغربية (الأمريكية) ذات الشعبية ضمن نسيج شرقى.

إن الشعبية والمهنية المصاحبين للمنتج الثقافى الأمريكى قد أصبحا السبب والنتيجة للتقارب الثقافى والذى يميز الميديا العربية الآن، مثل البرامج متعددة القنوات وبخاصة برنامج (من سيربح المليون) قد أصبح ضمن أكثر البرامج شعبية على قنوات التلفزيون العربى[1]، والمسلسل الهزلى "الأصدقاء" توجد منه الآن النسخة العربية والتى تسمى "شباب أون لاين" (ستانلى ٢٠٠٣). لقد تم تقديم حزمة متنوعة من الإنتاج الأدبى الأمريكى إلى الجمهور العربى، ناهيك عن أشكال الثقافة الأخرى مثل العديد من سلسلة مطاعم الوجبات السريعة فى المنطقة العربية. وقد أشار العديد من الباحثين العرب إلى الفيديو كليب باعتباره الشكل الفنى الذى يكشف الوجه السلبى للتقارب. على سبيل المثال ذكرت باحثة إماراتية (أمينة الدحاحرى) فى ورقة عمل

---

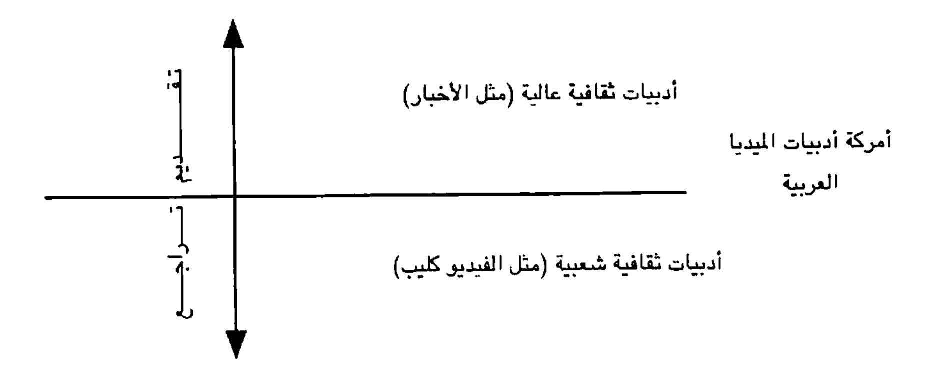
(١) فى الواقع، كان للبرنامج شعبيته الكبيرة فى دول الخليج حيث إن ٨٠٪ من المشاهدين بالمملكة العربية السعودية والإمارات يتابعونه، ناهيك عن شعبيته فى البلاد الأخرى مثل اليمن، رغم شكاوى اليمنيين للإم بى سى من قلة اليمنيين الذين يظهرون فى البرنامج متسابقين. وبالتالى وللحفاظ على هذه الشعبية شعرت الإم بى سى بالحاجة إلى تحرك البرنامج من أستوديوهاتها فى لندن لعاصمة عربية لتسهيل مشاركة المتسابقين من جميع أنحاء المنطقة (المصدر: الشرق الأوسط ٢ مارس ٢٠٠١).

أعدتها للمناقشة خلال مؤتمر عُقد فى عمان (٢٠٠٠) حول الميديا والجنس الاجتماعى ودور الفيديو كليب فى تمثيل المرأة العربية، ذكرت الباحثة أن "الفيديو كليب" يُساهم فى تهميش المرأة العربية، واستعرضت عدد ١٤ أغنية لمطربين عرب من منطقة الخليج، وأظهرت النتائج أن النساء اللاتى ظهرن فى هذه الأفلام يشبهن الأجانب (ذوات ملامح قوقازية) ويرتدين ملابس ذات طراز غربى (الجينز أو ملابس غير مهندمة). ثم جاء الباحث سينسن دابوس (١٥:٢٠٠٠) ليقول إن الشباب اللبنانى معرضون لرسائل متناقضة فى المنتج الإعلامى والذى يصور مجتمعًا غير الذى يعيشون فيه بالفعل، وأورد مثالا على ذلك موضوع الاختلاط الجنسى الذى نراه على الشاشة والذى تحظره القوانين المدنية والأخلاق المتوارثة والتقاليد فى مجتماعتنا العربية.

لا يتم ملاحظة التقارب فى استيراد الموسيقى الغربية وأدبيات الترفيه فحسب، بل أيضًا فى تطوير أدب الأخبار فى الميديا العربية وتطوير الصحافة التليفزيونية، والتى يقال إنها لا وجود لها فى تليفزيون العالم العربى. وقد أجرى الكاتب (عايش ٢٠٠١) تحليلاً كميًا لنشرة أخبار على مدار خمسة أيام فى خمس قنوات فضائية تمثل اتجاهات سياسية مختلفة[1]، وأشارت نتائج بحثه إلى ارتفاع مستوى جودة التقنية فى نشرات الأخبار لهذه القنوات، والواضحة فى التركيبة المكونة من سلسلة من مقدمى الأخبار والتقارير المصحوبة بمشاهد مصورة، وأيضًا التقارير الحية المذاعة على الهواء. وهناك سبب واحد لهذا التحول وهو محاولة جذب المشاهد الذى كان فيما سبق منجذبًا لطريقة تقديم السى إن إن خلال حرب الخليج عام ١٩٩١، ومع ذلك فإن بعض القنوات الفضائية وبخاصة تلك التى تُصنف باعتبارها "تقليدية" (عايش ٢٠٠٢) لا تزال ملتزمة بالصورة التقليدية لتقديم الأخبار والتى يصاحبها مستوى فقير من التقنية؛ فقناة سوريا الفضائية على سبيل المثال تفضل التعليق الصوتى والصور الجاهزة

(١) هذه القنوات هى أبو ظبى الفضائية (الإمارات) والجزيرة (قطر) والإم بى سى (السعودية) والإل بى سى (لبنان) وقناة سوريا الفضائية (سوريا). وتتضمن العينة نشرات أخبار ليلية من تلك القنوات على مدار خمسة أيام فى عام ٢٠٠٠.

(عايش ٢٠٠١). وعلى هذا فإن فن تقديم الأخبار فى القنوات الفضائية العربية الجديدة يشترك فى خصائصه مع أخبار التليفزيون الأمريكى حيث الإثارة (الموضوعات المثيرة) ودرجة التقنية العالية. هناك كذلك العديد من البرامج الحوارية (التوك شو) والتى حذت حذو النموذج الأمريكى؛ فبرنامج "crossfire" له ما يقابله بالعربية على قناة الجزيرة وهو برنامج"الاتجاه المعاكس" (الكاميس ١٩٩٩). وفى الحقيقة يرى خورى (٢٠٠١) أن ميديا الأخبار العربية قد نجحت فى خلط أسوأ ما فى العالمين: الإثارة وأسلوب المواجهة المعروفين لدى الميديا الأمريكية، مع التقليد العربى وهو نقاش "أصحاب الأحكام المطلقة "، إذ يقال إن القنوات الفضائية العربية تقع تحت تأثير السى إن إن وهو ما ظهر خلال حرب الخليج عام ١٩٩١ فى تخصيص وقت أطول لتغطية ساحة القتال (إدوان ٢٠٠٢). وهكذا ففى حين لقيت أمركة بعض فنون الكتابة الجادة مثل الأخبار والبرامج الجدلية ترحيباً باعتبارها علامة على التقدم والثورة الديمقراطية فى المنطقة، تم النظر إلى أمركة الفنون الشعبية مثل الفيديو كليب والبرامج الخفيفة باعتبارها ردة تراثية للمنطقة كما هو **مصور فى شكل** ١,١



وقد ساهمت عدة عوامل فى تسهيل هذا التقارب، أحدها ظهور جيل جديد من الصحفيين العرب الذين إما تلقوا قسطاً وافراً من تعليمهم وتدريبهم فى مؤسسات الميديا الغربية، أو تعلموا فى معاهد وكليات ذات توجه غربى فى بلادهم الأم

(صقر ٢٠٠١ : ١ ٢٤ f١) ، وقد أشار بحث سابق بين الصحفيين العرب إلى حقيقة أن معظمهم من حاملى المؤهلات الجامعية وفى العادة درجة البكالوريوس (عبد الرحمن ١٩٨٩، قيراط ١٩٨٧ وتاش ١٩٨٣)، وقد أكدت دراسة أخرى تناولت أوضاع المهنة للصحفيين فى التليفزيون اللبنانى هذه النتيجة (القدرى وحرب ٢٠٠٢)[١]، ويمثل الجيل الجديد من الصحفيين المدربين ذوى التوجه الغربى مادة تحفيزية جيدة لتقديم فنون صياغة الخبر، مثلما حدث فى المناظرات السياسية والبرامج الحوارية وتقنيات المقابلات الأكثر تعقيداً والتى كانت الميديا العربية بالسابق ليست على دراية كافية بها (عايش ٢٠٠١).

وهناك عامل آخر خارجى وهو المنافسة الخارجية التى تواجه الميديا العربية فى الوقت الحالى، ولكى تبلور السى إن إن شعبيتها خلال حرب الخليج ١٩٩١ أطلقت موقعًا لها على شبكة المعلومات باللغة العربية، وقامت مؤسسات إعلامية عديدة أخرى بتقليدها مثل السى إن بى سى أرابيا، والتى افتُتحت فى ٢٧ يوليو ٢٠٠٣ (دافيس، ٢٠٠٣). ويُقال إن المنافسة الخارجية أثقلت كاهل الحكومات العربية كى تخفف من قبضتها على محتوى برامج التليفزيون، وكى تسمح بإدخال تقنيات برمجة جديدة (عايش ١٩٩٥). وكان للقسم العربى فى محطات الإذاعة الأجنبية وبخاصة البى بى سى وراديو مونت كارلو وصوت أمريكا شعبيته العالية، واعتبرت هذه الإذاعات مصادر رئيسية للأخبار غير المعترف بها من وجهة نظرالميديا العربية التقليدية.

ولم يكن الأمر غريبًا إذا أراد شخص ما معرفة ما يجرى ببلده فيغير ضبط محطات الإذاعة المحلية ليلتقط موجة محطة أجنبية[٢] وبخاصة خلال الحروب

---

(١) فى الحقيقة كان الهدف الأساسى لهذا البحث مقارنة ظروف عمل الصحفيين من الرجال فى مقابل النساء فى هذه المحطات، وقد أظهر الكاتب أن الصحفيات يحملن درجات علمية ويتمتعن بمؤهلات مثل إتقان اللغات الأجنبية تفوق الرجال.

(٢) القاسم ١٩٩٩ يضيف ساخراً قوله إن أحد نجوم الكوميديا السوريين اعتاد القول بأنه يضبط محطته على إذاعة لندن كى يعرف ما يجرى فى سوريا.

(غريب، ٢٠٠٠). إن تحليلات الجمهور التى تم إجراؤها خلال الثمانينيات تُظهر الشعبية الكبيرة لهذه المحطات بين العامة من العرب (عايش، ١٩٩١)، ناهيك عن أن هذه المحطات نفسها كانت للمرة الثانية مصدراً للأخبار خلال حرب الخليج ١٩٩١ . وقد دفعت هذه المنافسة الخارجية صانعى السياسة فى الميديا العربية للبدء فى إطلاق قنوات بلغات أجنبية، فقامت الفضائية المصرية والسورية ببث برامج باللغة العبرية(١). كذلك شكلت ميديا الأخبار التى أنشئت من قبل بعض الدول الأجنبية خارج المنطقة مثل راديو "سوا" الممول أمريكيًا تحديًا فوريًا أمام صانعى السياسة فى الميديا العربية، الذين وجدوا أنفسهم أمام معضلة، فمن جهة كانوا يشعرون بحتمية السماح بإنشاء مؤسسات الميديا هذه كى يظهروا حسن نواياهم فى تأسيس قناة مشتركة للحوار بين دولهم والولايات المتحدة الأمريكية، ومن جهة أخرى كانوا يجدون صعوبة فى تطبيق قواعد صارمة تحظر الملكية الأجنبية لميديا الأخبار (غريب، ٢٠٠٠).

ويتفق الباحثان (غريب، ٢٠٠٠ وعايش، ٢٠٠٠) على أن حرب الخليج ١٩٩١ كانت المحفز المطلوب لبدء إصلاحات فى الميديا فى المنطقة العربية، من بين حزمة أخرى من الإصلاحات مثل تأسيس قنوات فضائية عديدة ، نذكر منها إم بى سى وإيه أر تى والأوربت (المملكة العربية السعودية) والجزيرة (قطر) وإل بى سى (لبنان) والإيه إس سى (مصر) وأبو ظبى ودبى (الإمارات) والـ إر تى أم (المغرب). وكانت الإم بى سى قد أنشئت عام ١٩٩١ على أيدى بعض الأثرياء السعوديين الذين ينحدرون من الأسرة المالكة، وفى عام ١٩٩٣ جاءت الإيه أر تى فى روما بتمويلات من أحد مؤسسى الإم بى سى، وتبعتهم إر تى أم فى ١٩٩٤ . وكانت إيطاليا مقر مشروع قناة عربية أخرى هى الأوربت، وهى أيضًا قناة مملوكة للسعودية وتم تأسيسها فى عام ١٩٩٤ . ودخلت الأوربت فى عقد اتفاق مشترك مع قسم اللغة العربية فى البى بى سى لإطلاق محطة أخبار باللغة العربية لكن المشروع لم يستمر طويلا بعدما قررت قناة البى بى سى

---

(١) انظر: www.aljazeera.net/cases_analysis/2003/8/8-24-1.htm (12 January, 2004).

الجديدة بث برنامج مع ضيوف من المعارضة السعودية. وكانت الـ إل بى سى اللبنانية قد انطلقت عام ١٩٨٥ أثناء الحرب الأهلية باعتبارها محطة أرضية لكنها بنهاية الحرب بدأت فى البث من خلال القمر الصناعى، وقد قامت القناة ببث عدد من البرامج الإخبارية التى أثارت بعض المناظرات السياسية، مما دفع الحكومة لاستخدام سلطتها الرقابية ودفع القناة بالتالى للطعن فى ذلك أمام المحاكم. وكانت ال بى سى معروفة أكثر بإنتاجها الثقافى والترفيهى، وكفل هذا التحول للقناة تحقيق أعلى عائد من الدعاية مقارنة بباقى القنوات العربية الفضائية(١).

أما الجزيرة فقد بدأت بثها فى عام ١٩٩٦ حيث أصبحت من أكثر القنوات الإخبارية شعبية، وكان لطاقم العاملين بالجزيرة أعمال مشتركة قصيرة الأجل مع قناة البى بى سى والأوربت. وفى عام ٢٠٠٠ ظهرت قناة أبى ظبى باعتبارها الممول المتخصص فى الأخبار والبرامج الترفيهية، وقامت بتشغيل ما يقرب من ٦٥٠ موظفا، واستأثرت بثلاثة امتيازات رئيسية ومهمة كان من شأنها تمييزها عن باقى اللاعبين بالمنطقة، وهى الدعم المالى والتكنولوجيا الحديثة والقدر المعقول من الحرية الصحفية (غريب، ٢٠٠٠).

إضافة لهذا تأتى مؤخراً قناة "العربية" الفضائية من مركز نشر الشرق الأوسط باعتبارها منافساً لقناة الجزيرة.

المنافسة كانت شديدة بين القنوات الفضائية العربية لكنها كانت لصالح المشاهد العربى (حافظ، ٢٠٠١).

عرف العالم العربى أيضًا مشروع دمج الميديا فى اتفاق تعاونى بين قناة إل بى سى اللبنانية والجريدة العربية "الحياة" التى سوف تستخدم القناة تغطيتها السياسية المهنية، وقد أكد السيد جهاد الخازن رئيس تحرير جريدة الحياة أن نجاح هذا المشروع

---

(١) من ١٥٠ مليون دولار عائد الإعلانات من القنوات الفضائية فى عام ٢٠٠٠ كانت حصة الإل بى سى وقناة المستقبل (الاثنتان لبنانيتان) ٤٨٪ فى مقابل ٣٥٪ فقط للـ ام بى سى.

سوف يؤدى إلى بروز قناة إخبارية هى الـ ال بى سى/الحياة والتى تبث برامجها على مدى ٢٤ ساعة[١] .

وانضمت القنوات العربية الأرضية والفضائية إلى حلبة الصراع اللاهث لنشر فنون تقديم الخبر متخذة صوراً متنوعة مثل البرامج الحوارية السياسية. أحد هذه البرامج الحوارية ذلك الذى كان يقدمه حمدى قنديل، الذى كان يركز فى برنامجه على قضايا السياسة الخارجية مثل الصراع الفلسطينى الإسرائيلى، وهو يعترف بأن القنوات الفضائية قد مهدت الطريق لنشر مثل هذه العروض الحوارية. والأكثر أهمية فى هذا السياق هو إدارك السلطات العربية الآن بأن حاجة الجمهور هى تقديم برامج جادة وليس مجرد عروض ترفيهية فقط (البندرى، ٢٠٠١).

ساهم بروز مؤسسات ميديا الأخبار فى المنطقة العربية فى إقليمية المناظرات السياسية، وعلى الرغم من وجود إمكانية لدخول هذه الميديا فقد كان من الناحية المبدئية قاصراً على النخبة، فلقد اتسمت الميديا الجديدة بعالميتها فلم تقتصر على مخاطبة الجمهور العربى فى المنطقة فحسب، بل امتدت لعوالم أوسع من الجمهور بين العرب فى أوروبا والأمريكتين (غريب، ٢٠٠٠ - الترمان ١٩٩٨). وكان من شأن هيمنة المملكة العربية السعودية، من خلال ملكيتها للعديد من القنوات الفضائية والصحف العربية الشاملة الإقليمية، أن تضيف المزيد من القوة الإقليمية الثقافية والاقتصادية للدولة، هذا وتمثل المملكة العربية السعودية سوقًا جيداً ومفتوحًا على مصراعيه لاستيراد مختلف المنتجات الثقافية من البلاد العربية وعلى وجه الخصوص مصر (حافظ، ٢٠٠١:٨)، كما أنها تُعد أكثر المُعلنين أهمية (خازن، ١٩٩٩). وتعتبر السعودية أيضًا أكثر المستهلكين أهمية، لهذا فرض السوق السعودى عدداً من القيود على تدفق المطبوعات والمنتجات الثقافية إلى داخل المملكة، منها على سبيل المثال حظر مشاهد "القبلات والشراب" من العروض المرئية، ويشير النقاد لهذا التوجه الصارم وتأثيره على السوق الإقليمى العربى باعتباره "بدوية الثقافة العربية" (حافظ، ٢٠٠١:٨).

---

(١) مقابلة مع جهاد الخازن – انظر www.tbsjournal.com/Archives/Fall02/LBC.html (23 January, 2004)

من الأمور المتناقضة المثيرة للانتباه هي امتلاك أباطرة المال السعوديين لغالبية القنوات الفضائية، وهذه الغزارة من العروض الموسيقية التي تعرض نساء نصف عرايا على العديد من القنوات والتي لا تتناسب مع الإرث الثقافي لملاك هذه القنوات (عايش، ٢٠٠١، القميس، ١٩٩٩)، مما يدفعنا في الواقع إلى تقسيم القنوات الفضائية الجديدة بين هؤلاء المتخصصين في الدراما (المصريين) وأولئك المتخصصين في الترفيه (السعوديين واللبنانيين) وبين المتخصصين في المناظرات السياسية الجادة (القطريين والسعوديين). وخوفًا من أن تفقد قبضتها الحاكمة على تطوير الميديا في المنطقة، أدركت الأردن ومصر ولبنان والإمارات العربية أنهم إذا فشلوا في دحر منافسيهم فمن الأفضل أن يمدوا أيديهم إليهم للتعاون في تأسيس مناطق ميديا حرة لاستضافة مؤسسات الميديا الأجنبية والإقليمية، ومنحهم حرية تشغيل كاملة وإعفاء كلي من الضرائب والمصروفات، وهذا بدوره تم تفسيره باعتباره ازدواجية في تطبيق المعايير، والتي تمنح المزيد من الحرية لمؤسسات الميديا داخل المناطق الحرة بينما تحظرها بالنسبة للصحفيين خارج تلك المناطق.

أما بالنسبة لمدينة دبي للإعلام[١] فهي تقوم بتوفير خدماتها لـ ٥٥٠ مؤسسة إعلامية من بينها السي إن إن ووكالة رويترز للأنباء، وسوني وماك جراو هيل للنشر، والقناة العربية الفضائية الإم بي سي (شاكر، ٢٠٠٣). بالإضافة لهذا، ادعى جيل جديد من القادة العرب في سوريا والأردن والمغرب وقطر أنهم قد بادروا بتنفيذ بعض الإصلاحات التي من شأنها التمييز بين طريقة تفكيرهم المتمدنة ذات التوجه الغربي عما سبقهم من أنظمة حاكمة (الترمان، ٢٠٠٢). وقد عبر الرئيس السوري الشاب بشار الأسد عن اهتمامه بتحديث الميديا السورية، وكانت إحدى مبادراته هي لقاؤه مع ممثلي المجلس الصحفي السوري للاستماع لمشكلاتهم. كما شهد قطاع الإعلام السوري عقب المقابلة التي تمت مع الوزير الجديد للمعلومات التي وقعت قبيل وفاة

---

(١) ستان هوب سنتر لبحوث سياسة الاتصال (٢٠٠٣) ودراسة قوانين الميديا والسياسات للشرق الأوسط والمغرب ص ٢٤ .f على: www.internews.org/arab_media_research.

الرئيس السابق حافظ الأسد عدداً من التحسينات، تتضمن إصدار تصاريح لأربعين صحيفة خاصة وأربعة محطات إذاعية غير سياسية، والسماح لعدد ٣٥٠ من المطبوعات الأجنبية (بما فيها المطبوعات العربية) بالبيع فى سوريا (الحياة، ٢ أكتوبر ٢٠٠٣). كما استهل الرئيس بشار عهده بتوجيهين إصلاحيين للإعلام التقليدى السابق تحت حكم والده، أحدهما هو مناشدة رؤساء التحرير تبنى "الأسلوب الهادئ الموضوعى والمتزن"، والآخر هو حظر تصوير الرئيس الشاب والإشارة إليه باعتباره "الشخص الخالد"(١) .

أما ملك الأردن عبد الله الثانى الذى تولى العرش عام ١٩٩٩ بعد وفاة الملك حسين فقد قام بطرح العديد من التعديلات فى قانون الصحافة كى يضمن حرية الإعلام، وضمن هذه التعديلات التخلص من القيود والمحددات التى فرضها قانون الصحافة عام ١٩٩٣، وتقليص حجم المتطلبات المالية اللازمة لتأسيس جريدة. كما منح الصحفيين الحق فى الحصول على معلومات من الحكومة، لكن من ناحية أخرى لم تتغير بعض القيود الأخرى، منها على سبيل المثال الاحتفاظ بذلك المطلب الملح لعضوية جميع الصحفيين فى نقابة الصحفيين، وحظر تسجيل الجلسات السرية للبرلمان.

فى أكتوبر من عام ٢٠٠١ قام الملك عبد الله الثانى بحل وزارة المعلومات وأحل مكانها المجلس الأعلى للإعلام، والذى يتألف من أحد عشر عضواً مسئولين عن التوصية بسياسة الميديا والتواصل مباشرة للملك(٢) .

بالنسبة للمغرب، وبعدما اعتلى ملك المغرب محمد السادس العرش عام ١٩٩٩ جاء قانون الصحافة لعام ٢٠٠٢ بتخفيض عقوبة السجن بحق رجال الصحافة الذين يشوهون صورة مسئولى الحكومة أو أى فرد من أفراد الأسرة المالكة، لكن العقوبة مازالت شديدة وما زال لدى السلطات الحق فى إبطال ترخيص أى منشورات،

---

(١) ستان هوب سنتر لبحوث سياسة الاتصال (٢٠٠٣) تقرير حول سياسة الميديا السورية www.internews.org/arab_media_research-Syria file. page 2 (12 January 2004).

(٢) انظر www.internews.org/arab_media_research/jordan.pdf (12 January 2004)

أو استخدام الحق الرقابى إذا كانت هذه المنشورات تمثل تهديداً للأمن القومى(١٦). وقد قطع ملك المغرب محمد السادس عهداً على نفسه بتبنى المزيد من السياسة الإعلامية المنفتحة للمساهمة فى تنمية المغرب، بما فى ذلك فتح قطاع المعلومات لحرية التعبير، مع احترام قانون أخلاقيات المهنة (www.arabicnews.com - 2002).

وجاء تأسيس قناة الجزيرة بعد مبادرة أمير قطر الشاب رغبة منه فى تمييز نظامه الحاكم عما سبقه بعد ذلك الانقلاب غير الدموى فى عام ١٩٩٥، وقد فكر فى البداية فى إنشاء قناة ترفيهية متبعًا خطا العديد من الأثرياء السعوديين، لكن مستشاريه نجحوا فى إقناعه بتأسيس قناة إخبارية بدلا منها. وعلى الرغم من أن القرض الحكومى للجزيرة كان من المفترض أن ينتهى خلال خمس سنوات من تأسيسها فإن الحكومة لن تتراجع عن دعم القناة إذا تعرضت لأزمة مالية، حيث إن قناة الجزيرة قد وضعت دولة قطر - وللمرة الأولى - على الخريطة العالمية، وجعلت لها تأثيراً إقليمياً أكبر (غريب ٢٠٠٠).

على المستوى الاجتماعى كان هناك تغييرات مهمة ومؤثرة ساهمت فى نجاح هذا التقارب ومن بينها أهمية اللغة الإنجليزية فى سوق العمل العربى، إذ لم تعد اللغة العربية الفصحى الحديثة MSA مطلوبة بوصفها أحد المؤهلات الضرورية، خاصة بعد تأسيس المزيد والمزيد من المؤسسات الأجنبية التى أثبتت وجودها فى كثير من الدول العربية وفرضت اللغة الإنجليزية السائدة باعتبارها لغة رسمية. وفى اندماج مؤسف بين الزيادة الكبيرة فى عدد الشباب وارتفاع معدل البطالة، بدأت الأسر العربية فى الشعور بالحاجة لإرسال أبنائهم إلى مدارس ذات تعليم إنجليزى (إذا كان فى مقدورهم)، حتى وإن أدى ذلك إلى إضعاف مهارتهم فى اللغة العربية الفصحى الحديثة MSA (الهيرى، ١٩٩٧، وهويدى، ١٩٩٩)(١٧) . وعليه فإن إحدى النتائج الطبيعية كانت

(١٦) انظر www.cpj.org/attacks02/arabic/morocco_arab.html (15 March 2004)

(١٧) اللغة العربية الفصحى الحديثة MSA هى الكتابة المنوعة للغة العربية والتى تنحصر فقط فى المراسلات الرسمية، وللمزيد من التفاصيل حول دور اللغة العربية الحديثة ووجود اللغة الدارجة وصور الكتابة انظر الفصل السادس والسابع.

ارتفاع قدرة قطاعات أكبر فأكبر من الشعب على متابعة ميديا الأخبار باللغة الإنجليزية بصعوبة أقل [1]، وبالتالى أصبحوا معتادين ليس فقط على فن تقديم الأخبار، بل أيضًا على تقاليد المناظرات فى الميديا الأجنبية.

إن فنون الأخبار المستوردة الجديدة وعلى وجه الخصوص المناظرات السياسية الحية، وشكل تقديم الأخبار قد تزيد من ثقة المشاهد فى ميديا الأخبار بجانب اعتياده على تقاليد من نوع جديد تكفل له المشاركة السياسية. هذه الفنون الجديدة ساهمت أيضًا فى ارتفاع مستوى المهنية بين الصحفيين العرب لكن دون تغيير حقيقى فى داخل كل بلد، إذ يظل التغيير على المستوى الرمزى فقط ، وتظل المناظرات المشتعلة على القنوات الإخبارية بمثابة صمام الأمان الذى يفرغ ضغوط العامة من الشعب إزاء حالة القمع التى يعيشونها، والسبيل لامتصاص الصراعات المتأصلة" (طويلة، ٢٠٠٢: ٤)، وجدير بالذكر أن نبرة هذه المناظرات شبيهة بتلك النبرة الحادة التى استخدمتها الميديا التقليدية فى أعقاب هزيمة ١٩٦٧

وينظرالمشاهد الأجنبى لهذه المناظرات باعتبارها خطوة على الطريق الصحيح نحو الديمقراطية، لكن هذا التصور من الممكن أن يكون بعيدًا عن الحقيقة، فهو بالضبط مثل مشاهدة الدراما العربية أو كليبات الموسيقى التى تعرض الحياة المترفة التى بكل حال من الأحوال لا تعكس حياة الشخص العربى العادى (طويلة، ٢٠٠٢: سينسج – دبوس ٢٠٠٠). الفكرة نفسها نراها فى أقسام الاقتصاد والأعمال فى العديد من الصحف العربية، فباحث ميديا عربى (عبد النبى، ١٩٨٩) يقول إنها تعطى انطباعًا خاطئًا بأن العرب يعيشون حياة مترفة لأن الميديا تميل للتركيز على حياة الشخص المتمدن الذى حصل على قسط وافر من التعليم ومن الطبقة فوق المتوسطة، أكثر من التركيز على تناول مشكلات المواطن العادى، وبخاصة فى المناطق الريفية

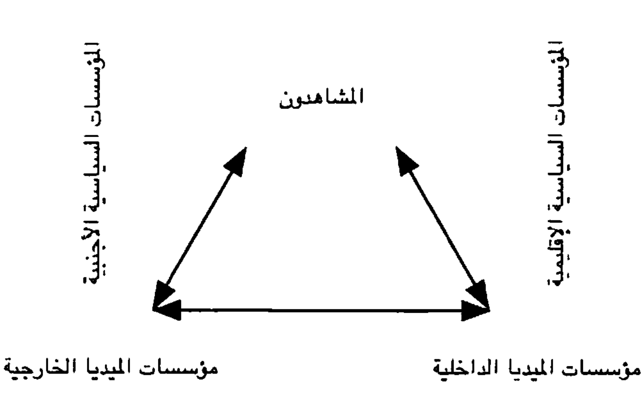
---

(١) فى الحقيقة، حسب الباحث يمنى ٢٠٠٠ فإن الشباب السعودى يميل لمشاهدة مجموعة من القنوات تتضمن السى إن إن حتى وإن لم يكونوا يتحدثون الإنجليزية.

حيث ما زال يعيش الغالبية منهم، وهذا ربما ما يجعل الباحثين لا يتفقون على الرؤية التوظيفية للتنمية الحالية، فهناك خطان فى نطاق تلك الرؤية وهما: خط أنصارالدمج وخط أنصار التجزئة (عايش، ٢٠٠٢): مناصرو فكرة دمج الميديا يرون أن الميديا الجديدة سوف تساهم فى تشكيل رؤى المجموعة العربية الإقليمية وأهدافها، ناهيك عن الهوية الثقافية المشتركة، أما التجزيئيون فيزعمون أن التليفزيون قد فقد دوره بتقديمه لأشكال من الفوضى الثقافية، والتى من شأنها أن تدفع فى النهاية العامة من العرب إلى البحث عن هويات ثقافية بديلة.

وبشكل عام فإن العوامل التى ذكرناها تساهم فى إحداث تنمية مستمرة لميديا الأخبار العربية من أجل جذب مشاهدين إقليميين.

(الشكل رقم ١,٢ يعرض تقارباً فى الاهتمامات لجميع الأطراف والعوامل المذكورة أعلاه).



تتنافس مؤسسات الميديا الإقليمية لجذب الجمهور مقدمين فنونا جديدة لتقديم الخبر وبرامج حوارية جريئة، فى المقابل نجد أن الجمهور له حق الحصول على الميديا الإقليمية والأجنبية حتى وإن كانت الميديا الأجنبية لا تسعى وراء تعريب مخرجاتها مثل سى إن بى سى العربية. وتحتوى ميديا الأخبار الأجنبية على قسم للأخبار باللغة العربية بواسطة ميديا أجنبية مثل البى بى سى وصوت أمريكا، ومؤسسات الميديا التى

أنشئت بواسطة مؤسسات سياسية مثل راديو سوا والتى تسعى للتأثير على رأى رجل الشارع العربى. بجانب هذا كله، تمارس الأنظمة السياسية الإقليمية صورة من صور الضغط على الميديا الإقليمية، من ناحية بتحرير قطاع الميديا والذى من خلاله اشتعلت المنافسة، ومن ناحية أخرى بالتحكم فى مخرجات الميديا من خلال التشريعات والنظم الإدارية، وكانت ثمرة المنافسة بين مؤسسات الميديا الإقليمية والخارجية زيادة واضحة فى جرعة المهنية بين الأفراد العاملين فى صناعة الخبر.

وماذا بعد!

إن الاعتقاد بأن المنطقة العربية هى وحدة متجانسة، وأن تطوير فنون تقديم الأخبار قد مرت بعملية تطوير موحدة هو فكرة خاطئة، فمن الطبيعى أن تكون هناك خصائص مشتركة بين الدول العربية بالنسبة لسياسات الميديا الخاصة بها، ولكن هناك عدد من الاختلافات بين هذه الدول أيضًا الفصل الأول من هذا الكتاب يقارن ويقابل بين الدول العربية فيما يخص بيئة الميديا وسياساتها. ويلقى الفصل الثانى بعض الضوء على التطور التاريخى لميديا الأخبار فى المنطقة العربية كى نوجد سياقًا ما نصنف من خلاله التطورات الإقليمية الحالية. وكان الباحثون قد وضعوا العديد من الأدوار للميديا: الأجندة المطروحة، الاحتكاك المجتمعى، التغيير الثقافى، الدعاية (ماك كويل ٢٠٠٢: ٤٢٥). لكن وبعد كل هذا قد لا تحتوى الميديا على كل هذه الأشكال من التأثير المبالغ فيه، فقد يكون الرأى العام أكثر تأثيرًا على الميديا من تأثير الميديا على الرأى العام. (سكودسن ٢٠٠٣: ٢٠)، وهو ما رأيناه فى حرب فيتنام فى أواخر الستينيات من القرن العشرين، فلقد كان دعم الأمريكان أو رفضهم للحرب يتناقض مع زاوية ميديا الأخبار آنذاك (سكودسن ٢٠٠٣:١٩).

فى أعقاب حرب العراق الأخيرة بدأت العديد من مؤسسات الميديا العربية فى تغطية الحرب، وزعم العديد من هذه المؤسسات أن تغطيتها للحرب كانت من زاوية موضوعية ، لكن لم تلبث أن اجتاحتها موجة الإثارة التى طالت القنوات الفضائية فى

محاولة منهم لجذب عدد أكبر من المشاهدين (الشرق الأوسط ١٨ ابريل ٢٠٠٣). سيتم تناول دور الأجندة الموضوعة لميديا الأخبار العربية فى الفصل الثالث من هذا الكتاب كجزء من المناقشة العامة وإعادة التقييم لنمذجة وليام رو للصحافة العربية.

فى محاولة للتأكيد على الحكم الذاتى والاستقلالية بعيداً عن قبضة رجال السلطة، استند الصحفيون الأمريكيون (فى بعض الأوقات كان هناك مبالغة فى الفعل) على استخدام الأخبار السلبية وبخاصة تلك التى تخص رجال السياسة (سكودسن ٢٠٠٣: ٩٨، باترسن، ١٩٩٣)، وقد وصف البعض هذا التوجه بـ "**دوامة الاستخفاف**"، حيث يميل الصحفيون لاستخدام لغة اللعب والحرب والصراع كى يقولبوا قصص الأخبار السياسية استراتيجياً ويقودوا القراء لتكوين دوافع تهكمية (كابلا وجميسون، ١٩٩٧). لقد كان هوس الميديا بصناعة التقارير الإخبارية حول الفضائح والجرائم - أكثر من الاهتمام بالإنجازات الإيجابية - السبب الأكبر فى ردتها، وما يخشاه الباحثون هو زيادة صفراوية "الصحف الصفراء" فى ميديا الأخبار، وتهديد أخلاقيات المهنة التى تمثل أساساً لمهنة الصحافة (سكودسن ٢٠٠٣: ٩٠). علاوة على ذلك فإن المصداقية المستوحاة من ميديا الأخبار فى الولايات المتحدة والعديد من الدول الغربية الأوروبية تحيط بها الشكوك كلما زاد اتكال رجال الصحافة على المصادر الرسمية فى إعداد الأخبار السياسية، وقد وجدت إحدى الدراسات الحديثة حول تغطية القنوات الفضائية للحروب أن غالبية قصص الأخبار تعتمد على البيت الأبيض والبنتاجون وقسم الشئون الداخلية فى الحصول على المعلومات (أندرو تندال، تقرير من كونينغام، ٢٠٠٣).

من ناحية أخرى تشير الدراسة فى هذا البحث الأخير حول ميديا الأخبار العربية - مع الوضع فى الاعتبار دور التقارب الكونى حتى وإن كان على المستوى الرمزى - إلى عدد من القيم الذى تميز اختيار الأخبار فى ميديا الأخبار العربية، مثل دلالة الأخبار السياسية والمسئولية الاجتماعية التى تمت أثناء عملية الاختيار، الموضوعية والصدارة والإثارة والحداثة. هذه القيم تماثل تلك التى تقابلها فى الميديا الأمريكية، لهذا فسوف تكون محور الدراسة فى الفصل الرابع. يبدأ الجزء الثانى فى الفصل

الخامس باستعراض عام لتطور الأخبار كإحدى الأدبيات فى الصحافة العربية، ملقياً الضوء على الخصائص المميزة فى هذا الأدب بشكل خاص. ولدراسة قيم الأخبار وكيفية تثبيتها فى الواقع الاجتماعى للميديا فى المنطقة العربية فإنه من الضرورى الاقتراب أكثر من اللغة المستخدمة فى ميديا الأخبار ومن اللغة العربية الفصحى الحديثة. وهناك طريقتان لاستخدام اللغة diglossia فى المنطقة العربية والتى تبين نوعين مختلفين من اللغة؛ أحدهما اللغة المكتوبة (اللغة العربية الفصحى الحديثة) وهى تُستخدم فى الأغراض الرسمية بما فيها التقارير الإخبارية، والثانية هى اللغة العربية الدارجة وهى لغة تختلف من بلد لآخر.

لماذا تُعد اللغة العربية الحديثة الأداة المفضلة للتقارير الإخبارية؟ وكيف انعكست قيم الأخبار على مستوى النص من خلال هذه الأداة؟ هذه النقطة هى القضية المحورية فى النقاش فى الفصلين السادس والسابع على التوالى.

وأخيراً، سوف نوجز بعض الملاحظات المستنتجة عبر النقاش بتقييم موجز لتأثير ميديا الأخبار العربية وبخاصة ما يطلق عليها عملية الديمقراطية، سواء كان هذا التأثير مبالغاً فيه أو كانت له جذوره.

(الجزء الأول)

١ - المنطقة العربية: أوجه التشابه والاختلاف

"قُدر للغة أن تظل الباعث الرئيسى للهوية الثقافية، والتنوع اللغوى، والعامل الأقوى لكل التعددات الأخرى"

أمين معلوف.. حول الهوية

لا يرجع السبب وراء تصنيف المنطقة العربية فى وضعها الحالى لانتشار الدين الإسلامى بصفته الديانة صاحبة الغلبة، بل لانتشار اللغة العربية بوصفها لغة رئيسية، إذ ينظر كل من المواطن المغربى ونظيره اليمنى لبعضهما البعض باعتبارهما عربيين، بينما قد نجد أن جريدة أحدهما اليومية المحببة أو قناته التلفزيونية المفضلة تخص بلداً ثالثًا يقع فى المنطقة نفسها، فالمنطقة العربية تتقاسم لغة إعلامية موحدة هى اللغة العربية الحديثة MSA، بصرف النظر عما ينوه إليه بعض الباحثين من أن مستوى اللغة العربية المستخدمة فى الإعلام يختلف عن اللغة العربية الحديثة (كانترينو ١٩٧٤ - ٧٦ هولز، ١٩٥٥). وقد يسر تقاسم لغة موحدة - حتى وإن كانت تلك اللغة تقتصر فقط على المراسلات الكتابية ولا تُستخدم فى التواصل اليومى بين الناس - انتشار المطبوعات والرسائل الإعلامية بين الدول (أبو بكر - ١٩٨٥).

وعلى الرغم من تواجد لغة إعلامية واحدة فإن كل دولة عربية قد قامت على حدة بتنمية لهجة مميزة لها، ناهيك عن وجود بعض اللهجات الفرعية التى تتواجد هى الأخرى بكل بلد، مثل لهجة أهل الحضر ولهجة أهل الريف. وكما أشار كليف هولز

(١٩٩٥): " كلما زادت الهوة بين نقطتين فى المقارنة عظمت الاختلافات بين اللغة الدارجة فيهما عموماً، ومن ثم فلا عجب إذن أن نجد تنوعًا فى العربية الدارجة فى الأطراف المتباعدة من المنطقة لدرجة يتعذر عندها التفاهم بين هذه الأطراف، وإذا كان علينا تحليل ما قد يسمى اللغة الدارجة البسيطة، فعلينا مقارنة لغة العمانى البدوى بلغة المغربى المدنى الذى يعيش فى مراكش "(ص ٣).

وإذا لم يكن انتشار الإسلام هو سبب انتشار اللغة العربية فى المنطقة فقد كان على الأقل مصاحباً لها، فهى لغة القرآن الكريم، وهى تختلف عن اللغة العربية الحديثة والمستخدمة من قبل المثقفين فى مجال الإعلام (هولز ١٩٩٥: ١١). وقد ساهمت عدة عوامل أخرى فى انتشار اللغة العربية، مثل هجرة بعض الأفراد من المنطقة العربية إلى مناطق أخرى تابعة للإقليم نفسه، و تنامى تحضر المناطق التى سكنها الفاتحون العرب. ويشيو العامل الأخير إلى أنه على الرغم من أن المناطق الريفية وجدت طريقًا لها كى تُبقى على لغاتها القومية مثل القبطية والآرامية واليونانية، حتى وإن لم تعد اللغة الرسمية، فإنها وقفت على الأقل جنباً إلى جنب مع اللغة العربية الرسمية .

وعلى الرغم من القوة الموحدة للغة العربية[1] فإنه من الملاحظ غياب مصطلح واحد قاطع لوصف الهوية العربية؛ فمصطلحات مثل "عرب، لغة عربية، عربى" كلها موجودة، وفى بعض الأحيان تُستخدم كمرادفات لبعضها البعض لوصف شخص أو لوصف شىء ينبع من المنطقة العربية. إن عبارة "الشرق الأوسط" كما تشير سيربرنى محمدى (١٩٩٨:١٨٠) هو "لقب سياسى جغرافى مُنح للمنطقة من قبل قوى الغرب بعد الحرب العالمية الأولى" و"لا يجب أن يؤدى لافتراضات حول تشابهات وتماثلات بين هذه البلدان".

(١) من الطبيعى والبديهى أن يعزز تواجد لغة واحدة "رسمية" وهى اللغة العربية المعاصرة الإيمان بالقومية العربية القائم على اللغة أكثر من الدين، حيث إن المنطقة العربية تضم العديد من الأقليات غير المسلمة. ومع هذا، فهناك تأويلات متعددة لدور اللغة فى الهوية القومية (وبخاصة فى مصر ولبنان)، وفيما إذا كانت اللغة الدارجة أو العربية المعاصرة تمثل انعكاسًا لهذه الهوية. انظر - على سبيل المثال - سليمان (٢٠٠٣) للمزيد من النقاش المفصل حول دور اللغة فى الهوية القومية العربية .

ويعرف حسين أمين (٢٣:٢٠٠١) العالم العربي باعتباره أن الدول العربية هى الدول التالية: الجزائر والبحرين ومصر والعراق والأردن والكويت ولبنان وليبيا والمغرب وعمان وفلسطين وقطر والمملكة العربية السعودية وسوريا وتونس والإمارات العربية المتحدة واليمن. ويشير أبو بكر (٢٠:١٩٨٥) لإمكانية تقسيم الدول العربية إلى ثلاثة مجتمعات تقوم على اعتبارات جغرافية، بمعنى أن الشمال هو ليبيا وتونس والمغرب والجزائر، ووداى النيل هو السودان ومصر، والمشرق هو سوريا ولبنان والأردن وفلسطين والخليج والجزيرة العربية[1].

وإذا ما تحدثنا عن المؤشرات الاقتصادية والسياسية فإننا نجد اختلافات قوية بين هذه الدول، بجانب اختلاف التعداد السكانى لشعوبها، ففيما يخص الجانب الاقتصادى تمتعت الإمارات العربية المتحدة بأعلى حصة للفرد من إجمالى الناتج القومى عام ١٩٩٦ وهو ما يعادل ١٧,٤٠٠ دولارًا أمريكيًا، بينما حصل الفرد فى اليمن على أقل حصة من إجمالى الناتج القومى وهو ما يعادل ٢٦٠ دولارًا أمريكيًا (تقرير منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة - اليونيسكو عام ١٩٩٩-٢٠٠٠). وعلى مستوى التعداد السكانى فقد وصل تعداد سكان مصر إلى ٦٦ مليونًا عام ١٩٩٦ بالمقارنة بقطر التى وصل عدد سكانها إلى ٥٤٠,٠٠٠ نسمة فى العام نفسه (سريبرنى - محمدى ١٩٩٨: ١٨٢). أما عن طبيعة النظام السياسى فيختلف فى هذه البلاد بين النظام الملكى الذى يحكم فى سبعة دول من بين تسع عشرة دولة، وهو يتراوح ما بين النظامين الملكى التقليدى و الملكى الدستورى، بينما يطبق النظام الجمهورى فى الدول الأخرى.

وطبقًا لتقييم أجرى عام ٢٠٠٤ بمعرفة مؤسسة أمريكية تُدعى دار الحرية Free-dom House فإن البلدان العربية تفصلها عن بعضها البعض مساحات شاسعة من التفاوت فيما يخص التمتع بالحقوق السياسية والحريات المدنية.

---

(١) أضاف أبو بكر لتصنيفاته دولا مثل موريتانيا والصومال وجيبوتى لكنها لا تُعد ضمن الدول العربية فى هذه الدراسة .

ويوضح الجدول رقم ١,١ المراكز التى تحتلها الدول العربية طبقًا لدرجة التمتع بالحرية وهو مأخوذ من الفهرس العام العالمى رقم٣ [١].

الجدول ١,١ مؤشر الحريات لدى الدول العربية

٠-٣٠ = حرة، ٣١-٦٠ = حرة جزئيا، ٦١ - ١٠٠ = غير حرة		
البلد	المؤشر	درجة الحرية
الكويت	٥٧	حرية جزئيا
قطر	٦١	غير حرة
المغرب	٦١	غير حرة
الأردن	٦٣	غير حرة
الجزائر	٦٣	غير حرة
لبنان	٦٦	غير حرة
العراق	٦٦	غير حرة
اليمن	٦٧	غير حرة
البحرين	٧٠	غير حرة
عمان	٧٤	غير حرة
الإمارات العربية	٧٥	غير حرة
مصر	٧٦	غير حرة
تونس	٨٠	غير حرة
سوريا	٨٠	غير حرة
السعودية	٨٠	غير حرة
السودان	٨٥	غير حرة
السلطة الفلسطينية	٨٦	غير حرة
ليبيا	٩٤	غير حرة

المصدر: تقرير فريدم هاوس لعام ٢٠٠٤ - www.freedomhouse.org

(١) فريدم هاوس. www.freedomhouse.org 2002.

ويبدو اعتبار دولة قطر من الدول التى تفتقر إلى الحرية مناقضًا للصورة التى تطرحها هذه الإمارة الصغيرة باستضافة قناة الجزيرة الفضائية، تلك القناة المثيرة للجدل التى تبث مناقشات محتدمة حول قضايا شائكة وحساسة بالنسبة للعديد من الأنظمة العربية. على عكس هذا نجد أن الأمم المتحدة قد وضعت ثلاث عشرة دولة فى هذا المسح نفسه من ضمنها دولة قطر التى وضعت باعتبارها دولة متحررة. وكما يُظهر الجدول لا توجد دولة من التسع عشرة دولة عربية يمكن ضمها للجزء الحر من العالم، على الرغم من تصنيف الكويت ضمن الدول المتحررة جزئيًا. ويدعم مؤشر التنمية البشرية HDI التابع لبرنامج الأمم المتحدة الإنمائى UNDP هذا الاستنتاج بتأكيده أن الدول العربية - باعتبارها منطقة من سبع مناطق على مستوى العالم - احتلت أقل درجات الحرية فى أواخر التسعينيات من القرن العشرين" ص ٧، ويخلص التقرير إلى أن التفاوت بين الدول العربية بالنسبة لمؤشر التنمية البشرية متسع إلى الدرجة التى يمكن للعالم بأسره أن يلاحظه (UNDP, 2002:27).

كما يضيف التقرير أن من بين أكبر المعوقات لقيام التعاون الضرورى بين البلدان العربية رغبة معظم هذه الدول فى تقليد المجموعات الاقتصادية الأخرى، مثل الاتحاد الأوروبى، دون الأخذ فى الحسبان الاختلافات الموجودة بينهم والتفاوتات فى الأنظمة السياسية الحاكمة. هذا ويعتبر تعاون البلدان العربية أحد التوصيات العامة للتنمية الاقتصادية فى المنطقة، وهو يرجع للتفاوت بين الموارد البشرية والطبيعية بين الدول العربية فى المنطقة بعضها البعض، فبعض الدول تحتاج موارد هائلة لكنها تفتقر إلى الأموال، بينما نجد دولا أخرى تمتلك الموارد المالية لكنها تفتقر إلى الموارد البشرية المؤهلة (أبو بكر: ١٩٨٥).

هذا وقد تم تحجيم التعاون فى مجال الاتصالات، على الرغم من أنه أحد أولويات منظمة التربية والثقافة والعلوم التابعة لجامعة الدول العربية ALESCO، وذلك نتيجة للفروق فى حجم الحرية فى البلدان العربية، والعقوبات المفروضة، واختلاف سياسات الميديا المتبعة فى كل دولة، كما هو مبين بالدراسة لاحقًا.

وتُعد معرفة القراءة والكتابة شرطًا لازمًا لدخول العامة من الشعب مجال ميديا الأخبار المطبوعة، ويعتبر معدل المعرفة بالقراءة والكتابة فى المنطقة العربية منخفضاً. وطبقًا للمسح الذى قامت به منظمة اليونسكو ٢٠٠٠-٢٠٠٤ تتراوح نسبة معرفة القراءة والكتابة بين ٤٩٪ و ٩٠٪، مع معدل أعلى فى الرجال عنه لدى النساء كما هو مبين فى جدول ٢.١ .

الجدول ٢.١ معدل معرفة القراءة والكتابة فى الدول العربية. ٢٠٠٠ / ٢٠٠٤

البلد	البالغين ٪			الشباب		
	إجمالى	ذكور	إناث	إجمالى	ذكور	إناث
مصر	٥٥,٦	٦٧,٢ (٦٣,٦) (*)	٤٣,٦ (٣٨,٨)	٧٣,٢	٧٩,٠	٦٦,٩
قطر	٨٤,٢	٨٤,٩ (٧٩,٢)	٨٢,٣ (٧٩,٩)	٩٤,٨	٩٤,١	٩٥,٨
سوريا	٨٢,٩	٩١,٠ (٨٥,٧)	٧٤,٢ (٥٥,٨)	٩٥,٢	٩٧,١	٩٣,٠
الجزائر	٦٨,٩	٧٨,٠ (٧٣,٩)	٥٩,٦ (٤٩,١)	٨٩,٩	٩٤,٠	٨٥,٦
البحرين	٨٨,٥	٩١,٥ (٨٩,١)	٨٤,٢ (٧٩,٤)	٩٨,٦	٩٨,٤	٩٨,٩
الأردن	٩٠,٠	٩٥,٥ (٨٢,٢)	٨٥,٩ (٧٩,٤)	٩٩,٤	٩٩,٣	٩٩,٥
الكويت	٨٢,٩	٨٤,٧ (٨٢,٢)	٨١,٠ (٧٤,٩)	٩٣,١	٩٢,٢	٩٣,٩
ليبيا	٨١,٧	٩١,٨ (٨٧,٩)	٧٠,٧ (٦٣,١)	٩٧,٠	٩٩,٨	٩٤,٠
المغرب	٥٠,٧	٦٣,٣ (٥٦,٦)	٣٨,٣ (٣١)	٦٩,٥	٧٧,٤	٦١,٣
عمان	٧٤,٤	٨٢,٠ (٧١)	٦٥,٤ (٤٦)	٩٨,٥	٩٩,٦	٩٧,٣
السعودية	٧٧,٩	٨٤,١ (٧١,٥)	٦٩,٥ (٥٠,٣)	٩٣,٥	٩٥,٤	٩١,٦
السودان	٥٩,٩	٧٠,٨ (٥٧,٧)	٤٩,١ (٣٤,٦)	٧٩,١	٨٣,٩	٧٤,٢
تونس	٧٣,٢	٨٣,١ (٧٨,٦)	٦٣,١ (٥٤,٦)	٩٤,٣	٩٧,٩	٩٠,٦
الإمارات العربية	٧٧,٣	٧٥,٦ (٧٨,٩)	٨٠,٧ (٧٩,٨)	٩١,٤	٨٨,٢	٩٥,٠
اليمن	٤٩,٠	٦٩,٥ (٣٩)	٢٨,٥	٦٧,٩	٨٤,٣	٥٠,٩
العراق	لا يوجد	(٧٠,٧)	(٤٥)			

المصدر: معهد الاحصاءات التابع لليونسكو ٢٠٠٠-٢٠٠٤

(*) مأخوذ من التقرير العالمى للاتصالات والمعلومات التابع لليونسكو: البلدان العربية ١٩٩٩-٢٠٠٠

وينعكس مستوى الأمية الأكثر انخفاضًا فى لبنان فى عدد الصحف اليومية والمجلات المعتمدة فيه عام ١٩٩٥، حيث إن ١٠١ صحيفة يومية يجعل من لبنان البلد الأعلى من حيث توزيع الصحف فى المنطقة، بينما نجد فى المقابل صحيفة واحدة فى اليمن. ومن ناحية أخرى لا يتوازى معدل الأمية المرتفع فى مصر بصورة مباشرة مع عدد المطبوعات التى تصدر فيها، حيث يصل عددها إلى ٥٣ صحيفة من بينها ١٥ صحيفة يومية، على الرغم من أن التوزيع لكل ١٠٠٠ فرد يُقدر فقط بـ ٣٨ فى الفترة نفسها، كما سيتم مناقشته لاحقًا. ويمكن اعتبار كلا من لبنان ومصر بلدين مخضرمين فى صناعة المعلومات والاتصالات. وقد أوضح (عبد الفتاح - ١٩٩٠:٣٦) العلاقة المتبادلة بين معرفة القراءة والكتابة وقراءة الصحف فى مصر، وبخاصة مع بداية القرن العشرين حتى الثمانينيات.

ويؤكد أمين (٢٠٠١:٢٤) هذه النزعة، ويشير إلى أن مستوى الإلمام بالقراءة والكتابة الأعلى فى شعب ما يعنى نسبة توزيع أعلى للصحف، و لهذا فإن تداول الصحف وتوزيعها فى المنطقة فى الغالب محدود كما أوضحنا أعلاه، إذ يرجع هذا لارتفاع معدل الأمية.

ويُعتبر الدخل عاملا آخر فى التأثير على معدل قراءة الصحف، فالدخل الأعلى يعنى الإمكانية الأعلى فى الحصول على الميديا المطبوعة، فبين الأفراد من أصحاب الدخل المحدود تكون الميديا الإلكترونية هى المفضلة، حيث إنها تمثل المصدر الرئيسى للمعلومات والترفيه (عبد الفتاح ١٩٩٠:٣٩). وعلى سبيل المثال يظهر تحليل توجهات الجمهور فى لبنان أن استهلاك النخبة من الميديا المطبوعة يفوق بكثير استهلاك الطبقة العاملة منها (دجانى، ١٩٩٢).

وتميل أيضًا مجموعات النخبة إلى مشاهدة الميديا الأجنبية بينما تفضل الطبقة العاملة البرامج المحلية (دجانى، ١٩٩٢)، ويُفسر هذا بغلبة توجه طبقة النخبة إلى البحث عن المعلومة، وبالتالى فهم يفضلون الميديا التقليدية المطبوعة، بينما تميل الطبقة العاملة إلى التسلية ولذلك فهى تفضل الميديا الإلكترونية.

وحسب إحصائيات اليونسكو يمثل عدد الصحف والمطبوعات فى العالم العربى ككل جزءًا من واحد صحيح مقارنة بالعدد الكلى فى العالم، كما هو موضح فى جدول رقم ٣،١

العام	عدد الصحف	التداول بالمليون	لكل ١٠٠٠ شخص	بالنسبة لإجمالى العالم
١٩٧٥	١٠٨	٣,٠	٢٢	١,٤٠
١٩٨٥	١٢٥	٦,٤	٣٢	١,٤٨
١٩٩٦	١٤٠	٩,٢	٣٦	١,٦٦

المصدر: منظمة اليونيسكو – إحصاءات الثقافة والاتصالات

http://portal.unesco.org/uis/TEMPLATE/html/CultAndCom Table_IV_S_1.html.

وقد تم تمثيل حصول العرب على الميديا المطبوعة وأيضًا الإلكترونية بخط سطحى كما هو مبين فى الجدول رقم ٤،١ .

الدولة	متلقوا الإذاعة	متلقوا التلفزيون	عدد الصحف لكل ١٠٠٠ شخص	تداول الصحف لكل ١٠٠٠ شخص	التوزيع
اليمن	٤٣	٢٦٧	٣	٢٣٠	١٥
ليبيا	٢١٣	١٣٨	٤	٧١	١٣
العراق	٢٢٤	٧٤	٤	٥٣٠	٢٦
سوريا	٢٦٤	٨٩	٨	٢٧٤	١٩
البحرين	٥٧٥	٤٣٩	٣	٧٠	١٢٦
فلسطين	لا يوجد	لا يوجد	لا يوجد	لا يوجد	لا يوجد
قطر	٤٣٨	٤٥٧	٤	٨٠	١٤٦
الجزائر	٢٣٨	٧١	٨	١٤٤٠	٥١
الأردن	٢٥١	١٧٥	٤	٢٥٠	٤٧
عمان	٥٨٠	٦١	٤	٦٣	٢٨
السودان	٢٧٠	٨٦	٥	٦٥٠	٢٤
تونس	٢٠٠	١٥٦	٨	٢٧٠	٣٠
المغرب	٢٢٦	١٤٥	٢٠	٦٣٠	٢٤
الإمارات العربية	٢٧١	٢٦٣	٨	٣١٠	١٤٠
الكويت	٤٧٣	٣٧٣	٩	٦٥٥	٣٨٧
مصر	٣١٢	١٢٦	١٥	٢,٣٧٣	٣٨
السعودية	٢٩١	٢٦٩	١٢	١,٠٦٠	٣٨
لبنان	٨٩١	٢٦٨	١٤	٣٣٠	١١٠

المصدر: تقرير اتصالات العالم والمعلومات التابع ليونيسكو ١٩٩٩ – ٢٠٠٠

ويشير الجمال (٢٠٠١:١٤) إلى أنه لا توجد سياسات إعلامية متجانسة فى المنطقة العربية، فهناك العديد من نظم الاتصالات فى البلدان العربية، ولهذا فمن الخطأ أن نعمم الأوضاع التى نراها فى بلد عربى ما على باقى بلدان العالم العربى .

وعلى الرغم من وجود بعض التماثلات فى السياسة الإعلامية فى البلدان العربية، هناك أيضًا اختلافات. أحد هذه الاختلافات فى الدول العربية هو طريقة كل بلد فى التعامل مع الحق فى حرية التعبير (الجمال: ٣٥).

فى عام ١٩٧٠ خصصت جامعة الدول العربية لجنة من الخبراء لصياغة ميثاق حول حقوق الإنسان فى العالم العربى، فوجد الباحثون أن نص الميثاق كان عبارة عن نسخة من المواثيق الدولية لحقوق الإنسان الموجودة بالفعل، وعلى الرغم من الجهود التى بذلت لصياغة النص كى يلقى قبول الغالبية من البلدان العربية فإن تسع دول فقط قبلت الميثاق وامتنعت الباقية كليا عن الرد. هذا و رفضت بعض الدول نص الميثاق رفضًا قاطعًا، بينما اقترحت دول أخرى بعض التعديلات، ومن هنا فقد أثبتت الاختلافات بين أفكار الدول العربية فى مجال حقوق الإنسان الحاجة الشديدة والجادة لوجود جهد مشترك يعمل فى هذا الاتجاه .

هذا ويزعم بعض الباحثين أن الدول العربية لا يمكنها أن تتبنى المفهوم الغربى للديمقراطية بصورة عمياء، و يجادل فريق آخر بأن الحل يكمن فى القيم الإسلامية الخالصة، فى حين يرجع فريق ثالث المشكلة إلى الطبيعة الموروثة الخاصة بالمنطقة، فهى دول ذات نظم استعمارية وتغيب فيها الممارسة الديمقراطية. وفى النهاية لدينا عدد من الباحثين الذين يؤمنون بأن عدم الاتفاق بين الباحثين العرب هو السبب الحقيقى لغياب الديمقراطية.

يختلف أيضًا تفسيرالحرية وحقوق الإنسان بين الدول العربية، إذ نجد لها معنيين ضمنيين: الأول، وكان له تأثير على درجة التسامح المتاحة فى رسائل الميديا (بما فيها فنون الكتابة الجادة مثل الأخبار، وكذلك الثقافية الشعبية). والثانى، وهو الأكثر

انتشاراً حيث تتواجد قوانين ولوائح مختلفة تغطى معظم المجالات بما فيها الميديا. وبما أننا تناولنا هذه النقطة فمن الضرورى أن نستحضر ذلك حتى بين الديمقراطيات الغربية، حيث لا يوجد تفسير متفق عليه لحقوق الإنسان، ففى حين يتم النظر إلى عقوبة الإعدام باعتبارها تحقيقًا للعدالة فى العديد من الولايات الأمريكية، تدينها الكثير من البلاد الأوروبية على أساس أنها تنتهك المفهوم الأوروبى لحقوق الإنسان.

اختلاف آخر بين البلدان العربية يمكن أن نلاحظه فى درجة التوافق المطلوبة بين سياسات الميديا والسياسات العامة للدولة.

بالإضافة لهذا، فعادة ما تضع القوانين القومية سياسات الإعلام، والتى تختلف هى الأخرى من بلد لآخر، كما يختلف دخول الصحفيين للنقابات الصحفية من بلد لأخرى . وفى الختام، فهناك قوانين أخلاقيات المهنة التى تتحكم فى مهنة الصحافة، والتى نلمسها فى البلدان العربية التى لها خبرات أطول فى مجال الميديا، كما نلمسها فى العاملين بمؤسسات الميديا المتخصصة.

من ناحية أخرى، توجد بعض التشابهات بين اتصالات البلدان العربية وسياسات الميديا (الجمال ٢٠٠١: ٤٩). **الأولى** أن هذه السياسات لم تكن على الإطلاق مرتبطة بسياسات التنمية العامة، ولم تكن أيضًا ذات أولوية كما يجب أن تكون، وينعكس هذا فى شكل تناقص الاستثمار فى هذا القطاع، وبخاصة مجال الإنتاج، ولهذا فإن الدول تعتمد على استيراد المنتج الثقافى.

ثانيًا، لا توجد بين الدول العربية من نجحت فى تحويل سياسات الاتصالات إلى خطط طويلة الأمد. **ثالثًا**، هناك افتقار مشترك لبحوث المشاهد والاتصالات والتى يلزم أن تكون الأساس لأى سياسة اتصالات ناجحة. علاوة على هذا، فإن سياسات الاتصالات الموجودة بالفعل تخدم أغراض التعبئة التى تعمل فى اتجاه النظم السياسية، وكما هى العادة فحيث تتمركز الإدارة الحكومية فى العاصمة تتمركز أيضًا المؤسسات الإعلامية، وفى هذا الخصوص، فإن الميديا تُستخدم أداة لحفظ الوضع الراهن سياسيًا وثقافيًا، و نادراً ما تُستخدم لتغيير القيم المتواجدة بالفعل. كما يمكن

النظر للميديا على انها الأداة الموحدة والراعية لروح الأمة والعاملة على إضعاف الاختلافات الإقليمية.

وعلى الرغم من التشابهات المتواجدة بين الدول العربية فإن جهودهم لبدء مشروعات تعاون مشترك وبخاصة فى مجال الميديا لم تلق نجاحا. ويذكر (عبد الرحمن ١٩٨٩: ١٥٢) عدداً من العقبات التى تحول دون إحداث مثل هذا التعاون. من بين هذه المعوقات الفجوة الهائلة بين طبقة الفقراء وطبقة الأثرياء، أو بمعنى آخر الفجوة بين هؤلاء الذين يتحكمون فى الموارد والسياسات وأولئك الذين يعتبرون مجرد توابع من ناحية، ومحاولات السلطة لدمج المجموعات الصغيرة من المفكرين كى يخدموا أغراض هذه السلطة ومصالحها من ناحية أخرى.

فى النهاية، فإن احتكار الحكومات المباشر وغير المباشر للميديا، ناهيك عن الاعتمادية الثقافية والإعلامية على المصادر الغربية يشكل عائقًا أمام التعاون. وعليه، فإن الطريق نحو تعاون مشترك يبدأ بمحاولة كل دولة على حدة للمبادرة بوضع خطط توافقية على الصعيدين الاجتماعى والثقافى.

٢- تاريخ الأخبار العربية

تلقى العرب عبر عقود من الزمان ضربات مبرحة ولأسباب شتى، مرة على أيدى قادة مستبدين، ومرة بسبب عجزهم عن إظهار روح الوحدة العربية، أو بسبب عجزهم عن فعل أى شىء حيال إسرائيل، أو بسبب عجزهم عن تشكيل علاقات مثمرة ومشرفة مع القوى العظمى، أتت بهم للدرك الأدنى. (رامى خورى، حرب الخليج: منظور عربى)

خلال الحقبة الاستعمارية الأمريكية كان الناشرون تحت رحمة السلطات المانحة للتراخيص والتابعة للمملكة، ناهيك عن مخاطر السجن التى يتعرضون لها إذا أساءوا إلى السلطات، وحتى بعد العقوبة بإلغاء الترخيص تستمر ملاحقة رجال الصحافة فى عملهم . هنا لعبت الصحافة دورًا تلقى تعضيدًا فيما بعد بظهور الصحافة الموالية مع نهاية القرن الثامن عشر. وقد شهد عام ١٨٣٣ طفرة مهمة فى الصحافة الأمريكية بطرح جريدة " نيويورك صن" بسعر زهيد، التى استهدفت القراء من ذوى الدخل المتواضع، وكانت فكرة إلحاق إعلانات بالجريدة فكرة جيدة لتحقيق استقلاليتها المالية بعيدًا عن الشريك الممول (كليمر ٢٠٠٢). وربما لا تزال الأسباب وراء إنشاء هذه الجريدة زهيدة السعر غير واضحة، فقد تكون بسبب ارتفاع نسبة الإلمام بالقراءة والكتابة، أو بسبب التكنولوجيا المتقدمة، أو بسبب ظهور الطبقة الوسطى (البرجوازية)، أو ظهور الابتكارات الصحفية الجديدة، أو بسبب كل هذه الأشياء معًا.

لقد منح الاستغلال التجارى للصحيفة المعلنين سلطة اقتصادية لفرض شكل من الكتابة للخبر، وفى الوقت نفسه مزج الإعلان بحنكة داخل القصص الإخبارية، فوقع ملاك الجريدة آنذاك فى أيدى السلاسل التجارية أو المجموعات المتحكمة فى السوق (كولوسن ٢٠٠٢)، مع ذلك لم يكن الربح هو القوة المحركة للبدء فى طرح الصحيفة،

فقد يصدر الناشرون صحيفة ما كى يكفلوا منبراً مشروعاً لآرائهم السياسية مع عدم شرطية إحداث تأثير ما على مضمون الأخبار (سكودسن ٢٠٠٣: ١١٨).

منذ فجر الصحف الإخبارية العربية وهى مرتبطة بالسياسة (ما فادن ١٩٥٣)، وعلى عكس الميديا الإخبارية الأمريكية لم تمر الميديا العربية بعملية الكسب التجارى فى الصحف ولا ارتبطت بظهور الطبقة البرجوازية الوسطى، كما أن عملية الكسب التجارى لم تكن الشرط الأوحد للصحافة المهنية أو حرية الصحافة، فهناك العديد من النظم الإعلامية فى أوروبا، بما فيها ما يطلق عليها ميديا الخدمات العامة يأتى دعم مؤسساتها الإعلامية من قبل الدولة، ومع هذا، فقد أوجدت نظم الميديا معايير صحافية عالية، كما أوجدت وسائل آمنة لطرح الآراء التعددية[١].

ولما كانت قيم الأخبار هى نتاج للمناخ السياسى والاجتماعى والاقتصادى، وهو المناخ الذى تعمل من خلاله الميديا، فقد كان حتمياً أن يتم تحليل هذه القيم فى هذا السياق. ويهدف هذا الفصل إلى إلقاء بعض الضوء، وإن يكن بسيطاً، على التطور التاريخى لميديا الأخبار فى العالم العربى. وبما أن الصحافة المكتوبة كانت أول وسائل الاتصال الجماهيرى فإن دورها سيحظى بقدر وافر من الدراسة المفصلة فى هذا الفصل والفصل الذى يليه.

يسعى هذا الفصل لمعالجة العملية التطورية لميديا الأخبار بداية من القرن الثامن عشر مروراً بمراحل مختلفة وأدوار متعددة لعبتها الميديا. وهناك عامل آخر أثر فى هذا التطور وهو تنوع أشكال الضغوط على ميديا الأخبار، مثل القوانين والعقوبات التى سعت النظم العربية الحاكمة لفرضها. وفى هذا الخصوص، فإن الفصل يسعى أيضاً لتناول مشكلة الرقابة الذاتية باعتبارها النتيجة المباشرة للضغوط السياسية والإدارية، والنتيجة غير المباشرة لضغوط السوق. وقد حرص صانعو الميديا العربية على إيجاد

---

(١) على سبيل المثال، دراسة بنسن (٢٠٠١) التى تشيرإلى أن ميديا الأخبار الفرنسية المملوكة للدولة كانت ناقدة للحكومة تماماً مثل ميديا الأخبار الأمريكية، و ربما يرجع هذا لمحاولة الوسيلة الإعلامية لإظهار استقلاليتها السياسية.

وكالات إخبارية قومية كوسيلة تحكم فى تدفق المعلومات من الغرب للشرق، لكن جهودهم لإيجاد وكالة إخبارية عربية مشتركة لم تلق النجاح. يلقى هذا الفصل أيضًا الضوء على دور الوكالات العربية الإخبارية باعتبارها الحارس المسئول عن البوابة الإعلامية.

من العلاقات الشخصية للاتصال الجماهيرى

فى فترة ما قبل الحقبة الإسلامية كان الشعر أحد الوسائل المهمة للاتصال فى العالم العربى (تاش، ١٩٨٣: ٣٢)، فكان يُستخدم وسيلة لإخبار الشعوب فى الجزيرة العربية حول إنجازات القبائل وهزائم أعدائهم، وبذلك لعب الشعر دورًا رئيسيًا تعبويًا ودعائيًا. بعد مجيء الإسلام ظهرت سبل أخرى جديدة، مثل "الأئمة" أو الوعاظ فى المساجد الذين كانوا يتواصلون شفهيًا مع الجموع حول موضوعات متنوعة أثناء خطبة الجمعة (ايالون، ١٩٩٥: ٤). فالإمام فى المسجد والمنادى (فى المدينة) كانا يلعبان دورًا فى نشر المعلومات وإيصال الرسائل ذات المغزى المهم من الجهات الرسمية إلى الشعب (ايالون، ١٩٩٥: ٦)، و كانت المراسلات الرسمية فى الإمبراطورية الإسلامية فقط من أجل وظيفة رئيسية واحدة ألا وهى "الترويج للطريقة الإسلامية فى الحياة وغرسها فى الأذهان" (تاش، ١٩٨٣: ٢٤).

كانت هناك أيضًا قنوات أخرى مثل نميمة "السوق" حيث القيل والقال والاتصالات الشخصية تلعب هى الأخرى دورًا مهمًا فى نشر الخبر هنا وهناك، فقد ظل للاتصالات الشخصية غير الرسمية دورها المهم بين العرب حتى وقتنا هذا (تاش، ١٩٨٣: ٣٥)، ولا يزال للمسجد دوره الرئيسى فى اليمن، فصلاة الجمعة يحضرها ٣٠٪ من الشعب اليمنى[٢]، ولهذا كانت الحاجة الفعلية للمزيد من وسائل الاتصال المتقدمة مثل الصحف محدودة فى زمن ما قبل القرن التاسع عشر (ايالون ١٩٩٥: ٦).

---

(٢) انظر تقرير مركز ستان هوب لبحوث سياسة الاتصالات حول قوانين الصحافة اليمنية. متوفر على الموقع الإلكترونى www.internews.org/arab_media_research (مارس ٢٠٠٤).

ومــع ذلك فـهنــاك مؤسستان ســاهمتــا فى إدخـال الصحافة إلى العالم العربى، ألا وهما السلطات الاستعمارية والإرساليات المسيحية، فكلاهما أدخلتا الطباعة كعلامة على الحداثة والتـحـضـر، وفى عـام ١٦١٠ جلب الكهنة المارونيـون آلة طابعـة مـزودة بحروف سيريانية للدير اللبنانى، وشـهدت العقود التالية لذلك منافسة بين الإرساليات المسـيحـيـة فى لبنان (الكاثوليكيـة والأرثوذكس اليـونانيينو البـروتوسـتـانت)، حـيث استخدمت الطباعة لترويج عقائدهم لعامة الشعب (دجانى، ١٩٩٢). وبغض النظر عن أهدافـهم الخـاصـة فقد سـاهمت جـهودهم فى نشـر القراءة والكتابة وبخـاصـة فى لبنان، ومن هنا نرى أن كثـيرين من رواد الصـحـافة الذين سـاعدوا فى تقديم صـحـافـة مـهنية متخصصة فى المنطقة هم من أصل لبنانى. وعلى الرغم من ظهور العديد من الصحف بداية فى مصر خلال القرن التاسع عشر، فإن لبنان كانت الحاضنة للحصة الأكبر من الصحف مقيسة بنصيب الفرد (مـاكفدن، ١٩٥٣: ٢). ورغم دخـول الطباعة إلى العالم العربى خلال القرن الثامن عشر فإن أول جريدة عربيـة ظهرت جـاءت فى القرن التـالى له، مما يؤكد للمرة الثـانية أهمية دور الاتصـالات الشخصية. عــلاوة على هــذا، يقـال إن الثـقـافـة المطبــوعـة ترتبط بوجـود الطبـقـة الوسطى (البـرجـوازية) والتى بزغت فى المنطقــة العـربيـــة خــلال القـرن التــاسـع عـشــر، وبخــاصــة فى مــصــر ولبـنـان وســوريا (خضور، ١٩٩٧:٥).

وتحــت حكم قــصــيـر الأجل للفـرنسـيـين فى مــصــر أصــدر نـابليــون بونـابرت (١٧٩٨–١٨٠٠) أول جـريدة فى المنطقــة وإن كـانت بالفـرنسـيـة (ايـالون ١٩٩٥:١٢)، وكانت "التنبيه" أول صحيفة باللغة العربية إذ ظهرت أيضًا خلال الحكم الفرنسى حسب أبى بكر (١٩٨٥:١٨)، على الرغم من أن بعض الباحثين يشيرون إلى "جونرال العراق" الذى صـدر فى العراق عـام ١٨١٦ باعتبـاره أول صـحـيفـة عربيـة (أمين، ٢٠٠١: ٢٤). كانت هناك أيضًا بعض الصحف العربيـة / التركية، مثل "الوقائع المصرية" الصـادرة عام ١٨٢٨ (ايلون ١٩٩٥، أبوبكر ١٩٨٠) والجزائرية "المبشر" التى صدرت عام ١٨٤٧ (عبد الرحمن، ١٩٩٨). وبعدها تدفقت الصحف، وجاء بعضها كمبادرة فردية من بعض المسـاهمين العـرب مثـل الجـريدة الفـرنسـيـة العربيـة "حدائق الأخبـار" فـى عـام ١٨٧٠

(دجانى، ١٩٩٢).وخضعت الصحف الصادرة فى المنطقة مع بدء منتصف القرن التاسع عشر لسيطرة الإمبراطورية التركية (أصولامى، ٢٠٠٠). فى دول المغرب العربى (المغرب والجزائر وتونس)، أصدر المستعمر الفرنسى الصحف على اعتبار أنها همزة الوصل بين المستعمرة الجديدة والجزر الرئيسية (كيرات ١٩٨٧: ٢١، عبد الرحمن، ١٩٩٨).

أما فى مصر، فقد كان الحاكم (محمد على ١٨٠٥-١٨٤٨) يرعى إصدار الصحف لكونها وسيلة تمدن وتحضر فى البلاد، واقتفى أثره حفيده الخديوى إسماعيل (١٨٦٣-١٨٧٩)، حيث أجاد استخدام الصحافة فى خططه التحديثية (إيالون ١٩٩٥:١٦)

كان محتوى الصحف الأولى فى المنطقة قاصراً على الرسائل الرسمية من المؤسسة السياسية الخاصة بالشئون الداخلية وأيضًا الخارجية. وبتفحص أحد إصدارات جريدة "الوقائع المصرية"، والذى يرجع لعام ١٨٣٠ على سبيل المثال (إيالون ١٩٩٥: ١٧)، نجد أن المواد التى كانت تتضمنها الصحيفة كانت عشوائية وتفتقر للتصنيف الواضح الذى يتم تطبيقه اليوم فى الأخبار، وكانت القضايا تحتوى على بعض الشئون الداخلية مثل قضية (المواد الحافظة فى الطعام) والمحاكمات المدنية، كما تحتوى على قصص حول العلاقات مع الدول الأخرى، وكانت الأخبار السياسية عن أحوال الدول الخارجية هى الغالبة، وهو التوجه نفسه الذى نراه واضحاً فى الصحف الأولى للبلدان الأخرى (دور الأخبار الخارجية فى الصحافة سيتم دارسته جيداً بمزيد من التفصيل فى الفصل الرابع).

شهدت العقود الأولى القليلة للصحافة العربية حداثة المضمون وتطور الشكل، ويرجع هذا للنخبة المتعلمة من الصحفيين الرواد الأوائل وبخاصة فى لبنان وسوريا، الذين لم يدخلوا مهنة الصحافة من أجل الربح، بل فى الحقيقة لم تكن الصحافة كمهنة مصدراً للربح (أبو زيد ١٩٩٣: ١٧). ونظراً للقيود المفروضة من قبل السلطات التركية والدينية والصراعات العرقية فى بلادهم، كان على الصحفيين اللبنانيين والسوريين أن

يفروا إلى أماكن أخرى داخل المنطقة وخارجها، مثل أوروبا وروسيا والولايات المتحدة (أبو زيد ١٩٩٣: ١٧).

أما فى مصر فكان الحاكم الفرنسى كرومر ينظر لهؤلاء الصحفيين على أنهم صفوة المجتمع فى الشرق الأدنى، إذ إنهم لا يسيطرون فقط على مهنة الصحافة، بل جعلوا منها أيضًا مجالا جذابًا يتطلع إليه كل المتعلمين (ايالون ١٩٩٥: ٥٢). من جهة أخرى، ساهم الاستقرار السياسى فى مجتمعاتهم الجديدة واحتكاكهم بثقافة الطباعة المتقدمة للمطبوعات الغربية فى السماح لهؤلاء الصحفيين المغتربين وغيرهم من المفكرين بتطوير أسلوبهم ومحتوى مطبوعاتهم وشكل إصداراتهم، وكانت أول صحيفة عربية مهاجرة هى "مراية الأحوال" الصادرة فى ١٨٥٥ فى تركيا، والمُستغلة من قبل مؤسسها رزق الله حسون الحلبى كقناة لنشر المقالات السياسية الناقدة لسياسات الإمبراطورية العثمانية، التى تسببت فيما بعد فى إغلاق الجريدة بعد عام من مولدها (أبو زيد ١٩٩٣: ٢١). جريدة أخرى (Birjis Baris) هى بيرجية باريس، التى صدرت لأول مرة فى ١٨٥٨، و كانت رمزًا لثراء المحتوى وحداثة الأسلوب الصحفى، وكانت الأساليب السياسية والأدبية فى هذه الجريدة متميزة، حيث اعتبر مؤسسها واحداً من رواد الحداثة فى لغة الصحافة العربية بإدخال كلمة "صحيفة" بالعربية (إيلون ١٩٩٥:٤٦).

٦

وسرعان ما أدرك المثقفون العرب سلطة الصحافة كأداة تعبئة سياسية ووسيلة لنشر قناعاتهم السياسية والأيدلوجية، فأولى المسلمون فى دول المغرب العربى المزيد من الاهتمام لدور الصحافة فى تعزيز هويتهم أو شخصيتهم الإسلامية (عبد الرحمن ١٩٩٨). كما ساهم الحكام أيضًا فى تأكيد هذه النظرة النفعية للصحافة وبدأوا فى تأييد الصحف التى تهلل لسياساتهم، فعلى سبيل المثال، اشترى الخديوى إسماعيل حفيد محمد على (١٨٦٣-١٨٧٩) أسهمًا فى جريدة لو تمب le temps الفرنسية كى يضمن التغطية التى تنحاز لشئون بلاده، كما رشا العديد من الصحف المحلية وناصر بعض الصحفيين فى مصر (إيالون ١٩:١٩٩٥)

خدمت الصحافة الأغراض السياسية والقومية فى العديد من الدول العربية فى نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، لكن القناعات السياسية المطروحة فى الصحافة لم تعكس آراء المثقفين المحليين ولا مجموعات الأجانب المتعاطفين؛ ففى الجزائر، حيث التاريخ الصحفى المتميز فى العالم العربى، كانت الصحافة الاستعمارية المُؤسسة كى تخدم السلطات مصحوبة بصحافة المستوطنين والمتعاطفين مع أهل البلد التى تنقل التعاطف مع مشكلاتهم، دون التطرق لمسألة الوجود الفرنسى هناك (كيرات ١٩٨٧:٢٣)، ونادت هذه الصحافة بالمزيد من الحقوق لأهل البلد، ووفرت لهم منبرًا لمناقشة بعض المشكلات البسيطة.

وانطلاقًا من الحس المنادى بالوطنية فى أوائل القرن العشرين لم يستخدم الصحفيون الصحافة لنقل الخبر، بل للتعبير عن آرائهم ووجهات نظرهم فى صورة "مقال"، كما كانت فترة اختبار للهوية القومية والإرث الثقافى لأولئك المثقفين. ربما كان هذا أحد الأسباب وراء نجاح الصحافة بتحولها لمنبر للمناظرات السياسية فى البلاد مثل مصر ولبنان وسوريا والجزائر، حيث يوجد الاستعمار الأوروبى وهو التهديد الأكبر للحفاظ على الهوية القومية، فى حين نجد أن السعودية والأردن اللتين تتمتعان باستقرار سياسى واستقلالية لم يُوجدا التقليد الصحفى الجديد نفسه (إيالون ١٩٩٥: ٧٤). وبالتالى كانت الصحافة العربية ومنذ فجرها مرتبطة بالسياسة، التى خدمت فى البداية أهداف المستعمرين ولكنها فيما بعد عملت لصالح الوطنيين (ماكفادين ١٩٥٣: ١). كذلك اختلطت نسبة الأمية المرتفعة مع قلة العوائد الإعلانية فى المنطقة فى أوائل القرن العشرين، وأجبرت الصحف على الاعتماد على إعانات الفصائل السياسية المختلفة كى تستمر، ومن جانبها رأت تلك الفصائل فى الصحافة قناة ممتدة الأذرع للترويج لمبادئها (ماكفادن ١٩٥٣: ٧)، بينما كانت الصحافة فى البلدان الأخرى التى تتمتع بالاستقرار السياسى قناة من أجل المثقفين لنشر إنتاجهم الأدبى، مع تركيز أقل على المحتوى السياسى، وإن كانت هناك بعض الأخبار التى تتعلق بالأحداث القومية (تاش ١٩٨٣: ٣٩). وفى مصر طغى الأسلوب الأدبى على بعض المطبوعات المصرية، مما شكل مصدر

إلهـام لتطوير الصـحـافـة فى البلدان الأخـرى داخل المنطقـة، وكـان الجيل الأول من الصحفيين فى تلك الدول هم المصريون (تاش ١٩٨٣: ٣٩)

تم استيحاء الصيغة الأدبية من التقليد الأوروبى لتلك الفترة وبخاصة الفرنسى، فلقد اعتاد الصحفيون الأوربيون تصنيف أنفسهم على أنهم "مبدعو أدب رفيع و مفكرون سياسيون عالميون" (سكودسن ٢٠٠٣: ٨٥)، فلم يعبأ الفرنسيون بجمع الأخبار مكتفين بترجمة محتوى الصحافة البريطانية، بينما ركزوا على كتابة تعليقاتهم حيث كان الحد الفاصل بين الواقع ومجرد الرأى غير واضح (سكودسن ٢٠٠٣: ٨٥). يقول رو (١٩٨٧:١٩) إن الصحفيين العرب المحترفين دائمًا ما ينتمون للنخبة المتعلمة، والذين لديهم فى الغالب وظائفهم خارج مجال الاتصال الجماهيرى، ثم يستكمل حديثه قائلاً " لهذا السبب فإن الصحافة العربية لا تزال تحتوى على أقسام أكثر أدبية بالمقارنة بالصحف الغربية". فالأدب يخدم وظيفة أخرى وهى فرض الهوية الثقافية العربية، تمامًا مثلما تفعل الميديا الإلكترونية عندما تنقل الموسيقى والدراما العربية (رو ١٩٨٧:٢٠).

الأخبار كأداة توحيدية

بعد الحصول على استقلالها، رأت الحكومات العربية القومية الجديدة فى الصحافة الوعد والوعيد، متمثلا فى قدرات الصحافة على تعبئة الرأى العام وبخاصة بين النخبة، وفى المقابل سلطتها فى تهديد الأسس الأيدلوجية للحكومات، وبالتالى فإن الرقابة التى فُرضت من قبل القانون على الصحفيين قبل الاستقلال لم تنته بحلول الحكومات القومية: فالقانون الفرنسى لعام ١٨٨١ الذى فُرض على دول المغرب العربى لم يشترط لمنح رخصة الصحيفة طلب المؤسسيين للجنسية الفرنسية فحسب، بل أيضًا تبنى اللغة والثقافة الفرنسية أيضًا (عبد الرحمن، ١٩٩٨)، وعليه فلقد حرم الكثير من القوميين المسلمين من حق الدخول لساحة الصحافة. وبعد استقلال الجزائر تجنست الصحافة وتحولت إلى لسان حال السياسات التنموية الحكومية. وفى تونس وعلى الرغم

من انتماء الصحافة للقطاع الخاص فإنها كانت تُظهر الولاء لسياسات الحكومة، فى حين نرى أن الصحافة فى المغرب كانت أكثر تنوعًا وبالتالى تمتعت بخاصية الحكم الذاتى (عبدالرحمن ١٩٩٨)(١).

شهدت السنوات الأولى من الاستقلال فى العديد من الدول العربية تأسيس الصحافة اليومية، والتى كان هدفها الأول الترويج لمصالح الحكومات، لكن كثيراً من الصحف الموجودة اضطرت للتوقف عن النشر لافتقادهم الدعم السياسى أو الاقتصادى، أو لأن القوانين واللوائح الجديدة حالت دون بقائهم.ففى مصر اضطرت الصحافة الحزبية للتوقف عن النشر بعدما قامت الحكومة بحلها وصادرت أموالها عام ١٩٥٣ (عبدالرحمن ١٩٨٩: ١٨٩)؛ فقد كانت العلاقة بين الضباط الأحرار الذين قادوا الثورة فى مصر عام ١٩٥٢ والصحفيين عدائية لحد ما، إذ لم يقبل الضباط الحرار آراءهم التى طُرحت فى الصحافة المصرية آنذاك، ومن ثم تم إعادة فرض الرقابة بواسطة العديد من القوانين وأولها القانون العسكرى رقم ٥١ لعام ١٩٥٣ "لحفظ النظام وضمان الأمن" عبدالرحمن ١٩٨٩: ١٩ وقد اعتبر هذا (عبد الرحمن ١٩٨٩:٢٢) بداية انفصال الإعلام المصرى عن وظيفته الرئيسية وهى إخبار القراء، ومع ذلك لم تتجاهل الحكومة الجديدة أهمية دور الصحافة، فلقد أشرف عبد الناصر (١٩٥٢-١٩٧٠) بنفسه على مهمة تعيين رؤساء تحرير الصحف، وهى سياسة اتبعها خليفته أنور السادات (١٩٧٠-١٩٨١) (ناصر ١٩٩٠). وعليه تم دفع الصحفيين داخل حلقة مفرغة من الرقابة الذاتية لضمان نشر أعمالهم. عبد الناصر نفسه صرح فى إحدى المناسبات بأنه لا توجد إجراءات مقيدة للصحافة وأن الصحفيين أنفسهم قد اختاروا تجاهل قضايا بعينها من منطلق الرقابة الذاتية (ناصر ١٩٧٩). لكن هذه الحلقة قد انكسرت لفترة وجيزة بعد حرب ١٩٦٧ حيث أشارت الصحافة إلى أن هزيمة العرب هى النتيجة الطبيعية لفشل السياسات العربية، وهنا فقط سمحت السلطات

---

(١) كان تصنيف الصحافة العربية باعتبارها تعبوية وموالية ومتنوعة هو نموذج للصحافة مقترح من وليام رو (١٩٨٧، ٢٠٠٤). انظر المزيد من هذا النموذج ونقده فى الفصل الثالث.

المصرية بهذا النقد باعتباره "وسيلة لامتصاص غضب الشارع العربى" فى ذلك الوقت (عبد الرحمن ١٩٨٩: ٣٣).

وبصورة عامة، كان قد تم تنظيم الصحافة وضبطها كى تروج للأهداف التنموية للحكومة، وذلك بالكتابة حول المشروعات الحكومية وتشجيع الأفراد على شراء المنتجات المصنعة محليًا، وبالتالى تحولت الصحافة إلى لسان حال الحكومات القومية. وحتى فى المملكة العربية السعودية حيث يتمتع الأفراد بحرية إصدار صحف، قامت الحكومة بتحويل المجلس العام للبث الإذاعى والصحافة والنشر لوزارة المعلومات، وعهدت إليها بمهمة الأمور المنظمة لملكية الصحافة، ولقد أوصت اللجنة بحلين أولهما: توجيه الإعلانات الحكومية لجريدة واحدة (أم القرى الصادرة فى عام ١٩٢٤) وتعويض باقى الصحف المطبوعة من خلال دعم سرى، أو تحديد عدد الصحف المملوكة لهيئات وترك حق ترخيص الصحف وأيضًا مسئولية تعيين رئيس رؤساء التحرير للحكومة، وقد اختارت الحكومة السعودية الحل الثانى والذى تم تطبيقه عام ١٩٦٣ (تاش، ١٩٨٣: ٤٠).

أدخلت الكويت والبحرين الجرائد خلال العقود الثلاث الأوائل من القرن العشرين[٤]، أما قطر والإمارات وعمان فكان عليهم الانتظار قليلا حتى السبعينيات من القرن العشرين كى ينشئوا صحفهم القومية، والتى زادت فى العدد تدريجيًا مما ميز مسيرة هذه الدول نحو الحداثة (موآد، ٢٠٠٠:١٢) .

شهدت لبنان فى أعقاب استقلالها عام ١٩٤٣ ظهور عدد من الصحف التى كان مؤسسوها يرون فيها مؤسسة تجارية أكثر من كونها مشروعًا ثقافيًا (دجانى، ١٩٩٢)،

(١) ظهرت أول صحيفة مطبوعة فى الكويت عام ١٩٢٨ وفى البحرين عام ١٩٣٩، لكن لم تطور هاتان الدولتان ثقافة الصحيفة المطبوعة المتطورة فيما يخص المضمون والشكل حتى الستينيات، فقد شهدت الكويت أيضًا تأسيس عدد من المجلات والتى أحدثت تطورًا نوعيًا فى الميديا الكويتية. من بين هذه المجلات مجلة "العربى" التى أسستها وزارة المعلومات بالكويت عام ١٩٥٨، وربما كانت المجلة الأكثر انتشارًا وقراءة فى الوطن العربى، حيث كان عدد النسخ الموزعة شهريًا ٣٦٠٠٠٠ (عام ١٩٩٣). وكان على المجلة أن تتوقف عن النشر فى أعقاب حرب الخليج ١٩٩١ لكنها استأنفت النشر فى الأول من سبتمر عام ١٩٩١ (كازان ١٩٩٤: ١٤٨).

وقد عكست الميديا اللبنانية تنوع فئات المجتمع اللبنانى عندما مثلت كل جريدة أو وسيلة إعلامية فئة سياسية أو دينية. ومع ذلك نجحت لبنان فى أن تكون منارة المنطقة العربية وبخاصة فى الخمسينيات من القرن العشرين، عندما خضعت الصحافة المصرية للتأميم ولم تستطع الإيفاء بدورها الإقليمى العربى أكثر من ذلك، لكن اندلاع الحرب الأهلية فى لبنان من ١٩٧٥ وحتى ١٩٩٠ تسبب فى تراجع عدد الصحف، ناهيك عن القوانين التى فُرضت على الصحافة فى تلك الفترة الحرجة (حمود وعفيفى ١٩٩٤، ١٦٢). وقد دفع الصراع الذى نشب بين الفصائل السياسية والدينية المختلفة فى لبنان الصحفيين إلى تجاهل قوانين الصحافة والتى تكمن بها المشكلة الرئيسية للصحافة اللبنانية، وهى "عجزها عن خدمة المصالح الحقيقية للمجتمع اللبنانى" بدلا من الانغماس فى الدعاية السياسية والدينية التى تخدم ممموليهم (دجانى ١٩٩٢: ٤٤).

كان هذا الاتجاه مألوفًا فى العالم العربى، ففى عام ١٩٣٧ وصل عدد المطبوعات فى مصر إلى ٢٥٠ مطبوعة، على الرغم من أن نسبة الأمية آنذاك وصلت ٨٦٪، فى حين أن عدد المطبوعات الآن لا يتعدى ٥٥ مطبوعة، على الرغم من انخفاض معدل الأمية إلى ٤٥٪.

وفى العراق كان يوجد ما يقرب من ٣٩ جريدة فقط تحت حكم صدام حسين، أما الآن فقد غرق القراء العراقيون فى جرائد جديدة وصل عددها إلى ٢٠٠ جريدة تقريباً منذ نهاية حرب العراق، حيث مثلت كل جريدة فصيلا سياسيًا أو اتجاهًا دينيًا ما فى البلاد (سولواى، ٢٠٠٣).

توازى هذا العدد الهائل من المطبوعات مع العائد المنخفض من الإعلانات والأوضاع الاقتصادية السيئة فى العديد من الدول العربية أدى إلى ضرورة لجوء بعض المطبوعات إلى البحث عن الدعم والاعتماد عليه من أجل الاستمرار، كما دفع الصحفيين إلى العمل للتخديم على أهداف ممموليهم فى بلادهم، وأيضًا أثناء التغطية الإقليمية والدولية (دجانى، ١٩٩٢).

المغرب كان هو البلد الذى تمتع نسبياً بقدر متنوع من الصحافة على الرغم من التزام الصحف بالولاء لمتبرعيهم .ويمكن تقسيم المغرب إلى ثلاث فئات، مناصرى الحكومة وناقدى الحكومة ومعادى الحكومة (عبد الرحمن، ١٩٩٨) . وقسم أمين (٢٠٠١: ٢٥) نظام الصحافة فى المغرب إلى فئتين رئيسيتين: مناصرى الحكومة ومعارضيها. وبعيداً عن الصحافة الموالية للحكومة فقد منحت الحكومة قدراً من حرية النقد " مادام هناك احترام للخط الرسمى" (أمين، ٢٠٠١: ٢٥)، فعلى الرغم من تمتع البلد بعدد هائل من المطبوعات العربية والفرنسية، علاوة على أكثر من ١٠٠٠ صحيفة من البلاد الناطقة بالفرنسية وأخرى عربية وأوروبية (عبد الرحمن، ١٩٩٨)، لكن الحكومة لا تزال متحكمة فى الميديا.

وبصورة إجمالية، يمكن تقسيم ملكية الصحافة فى العالم العربى فيما بعد استقلال الدول العربية إلى ثلاث فئات كبيرة:

١- ملكية خاصة (السعودية والكويت ولبنان وتونس والمغرب والسودان والأردن والإمارات العربية)

٢- ملكية مختلطة و فيها تخضع الملكية الخاصة لسيطرة الحكومة (مصر والجزائر واليمن) .

٣- ملكية عامة (سوريا، على الرغم من السماح لها الآن ببعض الصور المشروطة من الملكية الخاصة، وأيضًا ليبيا والنظام العراقى السابق) (خضور، ١٩٩٧:١٣).

أنماط الملكية

على الرغم من أن الملكية الخاصة للصحف كان مسموحًا بها فى العديد من الدول العربية لكن الحكومات العربية احتفظت لنفسها بحق منح تراخيص النشر، ويختلف قانون إصدار الترخيص من بلد لآخر؛ ففى الكويت نجد أن مسئولية إصدار الترخيص تقع بين يدى وزارة المعلومات، بينما يختص وزير المعلومات بذلك فى السعودية

والبحرين . أما فى الامارات فالحق مخول بواسطة مرسوم من مجلس الوزراء . وفى لبنان وعلى الرغم من أن وزير المعلومات هو صاحب الكلمة العليا والمتحمل للمسئولية النهائية نجد أن ترخيص الصحيفة يُعرض أولا على مجلس الصحافة القومية للحصول على الموافقة . ويعد هذا الوضع انتهاكًا لجوهر حرية الرأى والاتصال فى العالم العربى (الجمال، ٢٠٠١: ١٣٠).

ومما يزيد الأمر تعقيداً أن دخول مهنة الصحافة فى حد ذاته كان خاضعًا لسياسات بعض الدول، على الرغم من أن معظم دساتير الدول العربية لم تتناول القواعد المنظمة لذلك، و كانت السلطات تعلل هذا التدخل بالحاجة للحفاظ على الاستقرار السياسى والاجتماعى، وقد تعاملت هذه القواعد بصورة مباشرة مع صحفيى البث وصحفيى الأعمال المطبوعة، فى حين لم تتأثر صناعة الإعلان بصورة مباشرة . أما مصر والسودان والسعودية ولبنان وتونس والمغرب فلم تحد من حق الدخول لهذا المجال، بينما اشترطت الكويت والبحرين وقطر وعمان وسوريا واليمن وليبيا والجزائر حصول الصحفى على ترخيص.

حتى بعدما تعامل مؤسس الجريدة مع هذه القضايا كانت هناك قضية أكبر وهى قضية التابوهات (المحرمات) كما تعرفها المواثيق الأخلاقية والقوانين القومية؛ ففى الجزائر على سبيل المثال يشدد قانون المعلومات لعام ١٩٨٢ على التزام الصحفيين "بأهداف ثورة الجزائر" والتى حددها حزب جبهة التحرير الوطنية (كيرات، ١٩٨٧: ٨٥). فى العادة قد تخفى الحكومة بعض المعلومات إذا ما زعمت أنها تعرض أمن الدولة للخطر أو تكشف بعض استراتيجيات الدولة الاقتصادية أو العسكرية.

وفى اليمن، تم صدور قانون جديد للصحافة والطبع عام ١٩٩٠ يضمن أن تكون المقالات المطبوعة "فى حدود الأطر التى وضعها القانون". وفى مصر[٥] حوّل قانون رقم ١٥٦

(٥) انظر مركز ستانهوب لبحوث سياسة الاتصالات "دراسة قوانين الميديا وسياساتها للشرق الأوسط والمغرب" متوفر على الرابط الإلكترونى: www.internews.org/arab_media_research.

لعام ١٩٦٠ الصحفيين إلى عاملين بالدولة، وأعطى القانون رقم ١٦٢ لعام ١٩٥٨ لرئيس الدولة الحق فى إعلان حالة الطوارئ وفرض رقابة على المطبوعات وعرقلة حرية الرأى إذا ما تعارضت والمصالح القومية. لا يزال القانون الأخير ساريًا وقد تم تعديله عامى ١٩٨٠ و ١٩٨١، و يتم الرجوع إليه فى الكثير من الأحوال وبصورة متكررة .

نجحت الحكومة المصرية فى مد العمل بهذا القانون لثلاث سنوات أخرى طبقًا لقرار مجلس الشعب فى ٢٠٠٣[١]. وعلى الرغم من السماح بالملكية الخاصة التى تم إعادة تنفيذها بقانون[٢] فى عام ١٩٨٠ لكن الحكومة فى ذلك الوقت وتحت حكم السادات فرضت قانون "العيب" (رقم ١٤٨)، والذى يحظر طبع صور أو نصوص قد تسىء لكرامة الدولة أو بثها (ناصر، ١٩٩٠). وفى سوريا تم تقنين الملكية الخاصة عام ٢٠٠١ بالمرسوم رقم ٥٠، ولكن الحكومة أبقت على حقها فى رفض التراخيص لأسباب تتعلق بالمصلحة العامة[٣].

وبجانب "الموضوعات الخطرة" والتى تُعد تهديدًا لاستقرار الدولة، كانت هناك أيضًا بعض الموضوعات التى تُعد غير ملائمة للنشر، فعلى سبيل المثال تحظر بعض الدول العربية نشر قصص الجريمة حتى لا تتسبب فى فقدان الإحساس بالأمان بين المواطنين، بينما تسمح دول أخرى بنشر مثل هذه الأخبار إذا ما أرادت تصوير الأمن باعتباره العين الساهرة و يؤدى واجبه على أكمل وجه (الجمال، ٢٠٠١: ١٥٢).

وتتفاوت العقوبات التى قد يتعرض لها الصحفيون لاختراقهم هذه القواعد بين العقوبات الإدارية والقضائية، فالسعودية وقطر وعمان وسوريا واليمن وليبيا تمد السلطات الإدارية بالحرية لمصادرة المطبوعات وحظر تداولها وتوزيعها فى الحالات التى

---

(١) انظر مركز ستانهوب لبحوث سياسة الاتصالات .

(٢) كانت الملكية الخاصة مسموحًا بها قبل الانقلاب العسكرى عام ١٩٥٢ عندما أعلن الضباط الأحرار الاستحواذ على السلطة فى مصر وقاموا بتأميم الصحافة، وبعدها تم حظر الصحافة الخاصة ونصف الخاصة .

(٣) انظر مركز ستانهوب لبحوث سياسة الاتصالات حول قوانين الصحافة فى سوريا .

يقـيّمون فيها سياسة الجريدة بأنها تتعارض مع سياسة الدولة أو تخدم مصالح أنظمة أجنبيـة، بينما تطبق مصر والسـودان ولبنان العقوبات القضـائيـة في تلك الحـالات، في حـين تخلط البـحـرين والإمـارات وتونس والجـزائر والمغـرب مـا بين العـقـوبات الإدارية والقضائية (الجمال، ٢٠٠١: ٦٢).

وقد تم تطبيق الممارسة نفسها التي فُرضت على الصحف على الميديا الإلكترونية مثل الإذاعة والتليفزيون. وفي الواقع تحتكر الدولة البث الإذاعي والتليفزيون كليًا لثلاثة أسباب، **الأول** هو أن البث قد مُنح أولوية أكثر من الصحافة المطبوعة لقدرته الخاصة على الوصول لكل المواطنين بصرف النظر عن تعليمهم، وبالتالي لم تحرمهم أميتهم حق الاستمـاع للإذاعة أو مشاهدة برامج التليفزيون، والتي عادة ما يتم تقديمها بالعامية الدارجة. **ثانيًا**، تقوم الميديا بدور رئيسي في نشر الإحساس بوحدة المجتمع والإبقاء على هذه الوحدة. **ثالثًا**: قد تقوم الميديا الإلكترونية بعمل الوسيلة الأهم في آلية الدعاية السياسية، والتي قد تُعد وسيلة شديدة الخطورة في اليد المعادية (أمين، ٢٠٠١: ٢٩). وحتى تطوير التلفزيون جاء تعبيرًا عن احترام الدولة لهذه العوامل نفسها(٩)؛ فالحكومة السعودية مثلاً يبدو أنها أوجدت البث التليفزيوني فقط كي تأخذ الموطنين بعيداً عن البرامج الأجنبية، وتمدها بحس وحدة المجتمع، وتخدم المشروعات التنموية بالمملكة عن طريق البرامج التـثقيفيـة (تاش ١٩٨٣:٥١). هناك سبب آخر أيضًا لإيجاد الميديا الإلكترونية، وبخاصة التليفزيون، حيث يمثل رمزًا من رموز عملية التحديث القومية.

يشير الشريف (١٩٨٠: ٢٨) إلى قدرة بعض الإمارات الصغيرة في الخليج على العيش بدون جيش مادام بمقدورهم توفير صحفهم اليومية وإذاعتهم وتليفزيونهم، باعتبارها علامات على الرفاهية الاقتصادية والاندماج في العالم الحديث. ويقسم أمين (٢٩،٢٠٠١) نظم البث العربي لنموذجين رئيسيين، من ينتمون للوحدة القومية والتعبئة

(١) بدأ البث الإذاعي لأول مرة في الجزائر عام ١٩٢٥، وفي مصر عام ١٩٢٦، قبل انتشاره بعد ذلك في البلدان الأخرى. أما بالنسبة للبث التلفزيوني فبدأ في المغرب عام ١٩٥٤، ثم بعد سنتين في الجزائر والعراق ولبنان قبل الوصول لباقي البلاد في الستينيات والسبعينيات (أمين، ٢٠٠١: ٢٩)

(الجزائر وليبيا ومصر والعراق وسوريا واليمن والسودان)، ومن ينتمون لفلسفة "ليفعل ما يحلو له" laissez-faire philosoph ويتمثلون فى بقية البلدان العربية ماعدا لبنان والمغرب فهما يهيمنان على ميديا البث لكنهما لا يمارسان هذا الحق بالصرامة نفسها التى يمارس بها الفريق الأول.

ويقال إن الثقافة الشفهية للمنطقة هى السبب الذى يعلل الدور المهم للإذاعة كوسيلة جماهيرية، وبخاصة عندما تظل نسبة الأمية مرتفعة، وقد أولى بعض السياسيين العرب اهتمامًا كبيرًا لاستخدمات الإذاعة والتليفزيون كقناة لنشر عقائدهم السياسية، ليس فقط داخل حدود الدولة بل بين الشعوب الأخرى بالمنطقة العربية أيضًا.

المثال على ذلك مافعله الرئيس المصرى جمال عبد الناصر (١٩٥٢ - ١٩٧٠) عندما اتخذ من الإذاعة وسيلة أولية لتعزيز موقفه فى مصر وفى الوطن العربى عامة (غريب،٢٠٠). كذلك استخدمت محطات الإذاعة خلال الستينيات والسبعينيات من القرن العشرين كأسلحة رئيسية فى الصراعات الطائفية مما أفقد الإذاعة شعارها "الراديو فى خدمة التنمية" (خضور ١٩٩٧: ١٩). صاحب الشعار نفسه بدء البث التليفزيونى فى الكثير من الدول العربية، لكنه لم يدم طويلا حتى تحولت وسيلة الأخبار إلى مجرد أداة تعبوية أخرى على الساحة السياسية العربية، وفى الواقع، يعتقد خضور (٢٢:١٩٩٧) أن بدء البث التليفزيونى كان نتيجة لقرارات سياسية بدون إعداد، سواء على مستوى التقنيات أو على مستوى القوى العاملة والتى كان عليها أن تأتى من الصحافة والإذاعة .

لم تكن القوانين والقواعد فقط الأداة الوحيدة لضبط الصحافة، بل جاء انضباط آخر من داخل مجال الصحافة نفسه، هو أن يضبط الصحفيون أنفسهم ذاتيًا؛ ففى الأراضى الفلسطينية يتجنب الصحفيون التطرق لبعض القضايا نتيجة لقناعتهم بأن مهنة الصحافة هى "مهمة وطنية" (الخطيب، ١٢:٢٠٠٢)، وفى الجزائر اعتاد الصحفيون تجنب القضايا المعقدة التى قد تثير حفيظة السلطات حتى وإن كانت قضايا يرغب القارئ فى معرفتها أكثر من غيرها (كيرات ١٩٩:١٩٨٧). وقد أكدت

دراسة التركستانى (١٩٨٩: ٢٤٩) لمؤسسات الميديا فى أربع بلدان عربية الميل نحو الرقابة الذاتية، والتى تنبع من ضبط النفس والاعتراف بحدود تغطية الخبر وكيفية تقديمه. هذا ويفضل الكثير من المحررين، إن لم يكن جميعهم، لعب هذا الدور بصورة آمنة والبعد عن تغطية المواد المثيرة للجدل.

يعطى رئيس التحرير التعليمات فيما يخص ما يجب تغطيته وما يجب تجنبه، وهى أمور يحددها وضع الحكومة. ويعترف جهاد الخازن رئيس تحرير "الحياة" بأن الرقابة الأكثر شيوعًا الآن هى الرقابة الذاتية، فلقد كان الاهتمام الأساسى لجريدته اليومية على سبيل المثال هو عدم إثارة الصراعات القومية فى السعودية، حيث لا يمكن للجريدة أن تتعرض للحظر أو لأى صورة من صور المنع الذى قد يسبب لها "خسارة عشرات الآلاف من الدولارات من عائد الإعلانات". أما إذا نظرنا للسودان حيث العملة المحلية لا قيمة لها فيُعد حظر الجريدة شيئًا لا يُشكل مثل هذا التهديد المالى (خازن، ١٩٩٩)

جاء مفهوم الأخبار باعتبارها "معرفة عامة" لأول مرة على أيدى السلطات الاستعمارية بهدف رئيسى هو إخبار المسئولين فى إدارتهم المحلية بالقوانين والقواعد المفروضة بالخارج، و كان الهدف بالدرجة الأولى هدفًا تعليميًا، ولهذا فأصحاب الأرض وبخاصة المثقفون رأوا فى الصحافة شكلاً جديداً من أشكال الاتصال، وهى قناة من الدرجة الأولى لعرض مناظراتهم الفكرية وإنتاجهم الأدبى. فى النصف الأول من القرن العشرين وقبل استقلال العديد من الدول العربية استخدم مواطنو هذه الدول القوميون الصحافة منبرًا لمناقشة استقلالهم، واعتبر هذا الدور دورًا مهمًا ومؤثرًا فى تعبئة الرأى العام ضد القوى الإمبريالية، ولهذا الدور نفسه أدركت الحكومات المستقلة الجديدة أن الصحافة سلاح فعال وسعوا وراء احتكاره، وعلى الرغم من أن الوقت كان مناسبًا للصحافة لتناول قضايا الشئون الداخلية التى كانت مهمشة من قبل، مفسحة الطريق أمام الآراء المناهضة للإمبريالية، لكنها لم تستغل هذه الفرصة.

أرادت الحكومات القومية استخدام ميديا الأخبار لتعزيز سياساتهم التنموية القومية وتعبئة الرأى العربى القومى العام، فعلى سبيل المثال استخدم ناصر الإذاعة

المصرية "صوت العرب" لتعبئة الرأى العام، وحتى الأعمال الثقافية الشعبية تم الانتفاع بها فى معركة التعبئة، لكن المحطات الإذاعية المصرية قد اتبعت استراتيجية جديدة منذ بداية الحرب على العراق الأخيرة، فلقد قاموا بإذاعة أغان تحث على القومية العربية والسلام وتساند الانتفاضة الفلسطينية، واختفت أغانى الحب الحديثة من البرامج لتحل محلها الأغانى الدينية والوطنية (الشرق الأوسط، ٢ أبريل ٢٠٠٣).

لم يساهم الفقر وارتفاع معدلات الأمية فى المنطقة فى استخدام الميديا على نحو يدر ربحًا تجاريًا لصالح البرجوازية الجديدة كما هو الحال فى الولايات المتحدة، على الرغم من أن التغيرات الحالية على ساحة الميديا العربية تفترض ظهور الميديا التجارية، لكن المشاهد العربى لايزال يحصل على جرعة كبيرة من النقاشات السياسية والقضايا ذات الاهتمام العربى المشترك وقضايا الشئون الخارجية، وعلى الجانب الآخر يحصل على جرعة ضئيلة فيما يخص مشكلاته الاجتماعية الداخلية، ويرجع هذا إلى أن القنوات الجديدة وبخاصة الفضائية منها ذات الانتشار الكبير والصحف العربية المطروحة كان عليها ببساطة أن تركز على قضايا العلاقات الخارجية كى تجذب المشاهد من جميع أنحاء المنطقة، و يبدو هذا أكثر وضوحًا فى اللغة المستخدمة، فمؤسسات هذه الميديا تستخدم اللغة العربية الفصحى الحديثة MSA أكثر من العامية الدارجة فى مناقشاتها، وهو ما يميز شخصيتهم العربية الإقليمية (سيتم مناقشة مسألة استخدام اللغة العربية الفصحى الحديثة بتفصيل فى الفصل السادس والسابع).

وبما أن الشئون الخارجية هى القوى الدافعة وراء المناقشات السياسية فإنه لن توجد قناة تسلط الضوء على القضايا المحلية. وتلعب الثقافة السياسية أيضًا دورًا مهمًا فى تعزيز هذا الاتجاه، فمن الناحية العملية ليس للرأى العام تأثير على السياسات الحكومية ولا ميديا الأخبار، بصرف النظر عن مدى ديمقراطية هذه الحكومات، لهذا لا يمكن لأى قناة أن تصير بديلا للمؤسسات السياسية التى تشرك الشعب فى صنع سياساتها. بمعنى آخر، لا يملك المواطن العربى القدرة على المشاركة السياسية من خلالها. على سبيل المثال لا دور لصناديق الاقتراع والتصويت العام فى

صياغة السياسات القومية أو الإقليمية، و ربما لهذا السبب تجذب الصحف الصفراء، كما يسميها المعلقون العرب، القارئ بتسليط الضوء على الشئون المحلية (سيتم مناقشة دور الصحف الصفراء فى الفصل الرابع).

لم تخدم فكرة تأسيس مؤسسات ميديا إخبارية بمفردها نوايا الأنظمة العربية ما لم تتحكم هذه الأنظمة أيضًا فى قنوات تدفق المعلومات لهذه الميديا، ولذلك قامت كل دولة بإنشاء وكالة أنباء قومية، باعتبارها الحارس الإعلامى البيروقراطى الذى يصل بين مصادر الأخبار الأجنبية وميديا الأخبار المحلية .

وكالات الأنباء

حارس البوابة الإعلامية البيروقراطى

يرجع تاريخ تأسيس وكالات الأنباء العربية لسنة ١٩٥٦ عندما أُنشئت وكالة الأنباء المصرية - وكالة أنباء الشرق الأوسط MENA - كى تخدم الإقليم بأكمله (أبو بكر ١٩٨٥)، لكن بعض الباحثين يزعمون أن وكالة الأنباء السودانية قد تأسست عام ١٩٤٥، وبالتالى فهى الأقدم فى المنطقة (الجمال، ٢٠٠١، خليل، ١٩٨٣). بالإضافة إلى هذا فقد شهد عام ١٩٥٩ ميلاد أربع وكالات أنباء جديدة وهى: وكالة الأنباء العراقية والصحافة الإفريقية التونسية وصحافة المغرب العربى (المغرب) ووكالة الأنباء القومية اللبنانية[١]، ثم بعد ذلك جاءت وكالتا الأنباء الأردنية والسورية فى عامى ١٩٦٤ و١٩٦٥ على التوالى. وقد شهدت سبعينيات القرن العشرين تأسيس وكالات أنباء خليجية (المملكة العربية السعودية والقطرية والكويتية والإمارات المتحدة) بجانب وكالات أنباء يمنية وفلسطينية[٢].

(١) صرح دجانى (١٩٩٢) بأنه يوجد فى لبنان ٢٨ وكالة إخبارية مرخصة و١٠ مكاتب مسجلة لوكالات أخبارية إقليمية ودولية.

(٢) بحسب ما يراه أبو بكر (١٩٨٥) فإن وكالة الأخبار السودانية قد تأسست أيضًا فى عام ١٩٧٣ .

كان دور وكالات الأنباء العربية محدوداً (خليل، ١٩٨٣:١٣٦) لندرة الموارد المالية والفنية والبشرية المتوفرة فى المقابل لوكالات الأنباء الغربية. وساهم الرابط الثقافى الخاص لدول الخليج فى تأسيس العديد من المشروعات شبه الإقليمية ومن بينها "رؤية الخليج ووكالة الأنباء الخليجية" (عبد الرحمن، ١٩٨٩:٥٤)، ويرجع الفضل فى هذه الغزارة إلى الثروة البترولية والتكنولوجية المتطورة التى تمتلكها الوكالات الإقليمية (هاريس ومازيك، ١٩٧٩: ٦)، وكان القاسم المشترك لكل هذه الوكالات هو تبعيتها جميعاً للحكومة (الجمال، ٢٠٠١)، وبالتالى كان العاملون بها يُعدون موظفين حكوميين، والأكثر من هذا نجد أن مراسلى وكالة الأنباء السورية كانوا بمثابة الدبلوماسيين (أبو بكر، ١٩٨٥: ٢٣)

فى الفترة التى سبقت الحرب العالمية الأولى كانت الأخبار التى تتدفق من وإلى المنطقة العربية محكومة بالوكالات الإخبارية البريطانية والفرنسية، وقد أنشأت رويتر عام ١٨٦٦ مكتبها الإقليمى فى مدينة الإسكندرية بمصر (أيلون ١٩٩٥: ١٩)، وسيطرت على المقاطعات البريطانية المستعمرة، فى حين أن الوكالة الفرنسية أسست مكاتبها المحلية فى دول المغرب العربى وفيما بعد فى سوريا ولبنان (رو ١٩٨٧: ١٣٤). انكسر هذا الشكل من الاحتكار بعد الحرب العالمية الثانية على أيدى الأسوشيتدبرس الأميركية AP والدولية المتحدة للصحافة UPI التى حسب (رو ١٩٨٧:١٣٥) كانت استجابة لطلب الميديا العربية لسد حاجة الطلب المتزايد من جمهورها على الأخبار الخارجية، وللتحرر من الاحتكار الأوروبى للمجال. ورغم أن اهتمام الشعوب العربية بالأخبار العالمية قد زاد بصورة هائلة بعد الحرب العالمية الثانية وزادت أيضاً استقلاليتهم، فإن هناك بعض الدلائل التى تشير إلى أن هذا الاهتمام كان قد بدأ منذ زمن بعيد قبل هذا[1]. بالإضافة لذلك، كان مركز وكالة الأنباء الفرنسية AFP ورويترز قد زاد صلابة فى المنطقة بعد الاستقلال.

---

(١) على سبيل المثال تذمر إبراهيم اليازيدى (١٨٤٧ - ١٩٠٦) من أن الأخبار الأجنبية فى الصحافة المصرية تحتل مساحة كبيرة جداً، كما يشك أن مثل هذه الأخبار تهم بأى درجة القراء المصريين (عبود ١٩٨٤).

قدمت الأسوشيتدبرس الفرنسية AFP خدمتها باللغة الفرنسية لسوق شمال إفريقيا المتمثل فى الجزائر وتونس والمغرب وأيضًا للبنان. وفى محاولة لوكالة الأنباء رويترز لمنافسة الأسوشيتدبرس الفرنسية قامت بتقديم ترجمة بالفرنسية فى نشراتها الدورية، مما دفع الأسوشيتدبرس إلى تقديم ترجمة باللغة الإنجليزية فى نشرة دورية لها (رو ١٩٨٧:١٣٧). وقد جعل الوضع المهيمن لكل من وكالات الأنباء البريطانية والفرنسية و"لحد ما الصحافة الأمريكية" بعض الباحثين العرب يتوخون الحذر إزاء انهمار المنتجات الثقافية الغربية إلى داخل الإقليم، وخاصة بسبب انشغال وكالات الأنباء المحلية بصراعاتها الداخلية مع النظم العربية الحاكمة (عبد الرحمن، ٢٠٠٢). وقد ختم أحد الباحثين المصريين دراسته حول سيكولوجية الأخبار فى الصحافة المصرية بالتوصية بتأسيس لجنة ذات اختصاصات عدة كى تتدارس ما هو قادم من أخبار من الوكالات الغربية، والتشديد على ما يُعتقد أنه مناسب، حيث يرى الباحث أن المراسلين العاديين غير مؤهلين للتعامل مع النوعية الدقيقة من هذه الأخبار بأنفسهم (عادل نبيل، ١٩٨٩).

ازدادت صلابة موقف الوكالتين الأوروبيتين (رويترز والأسوشيتدبرس) أكثر بتقديم نسخة عربية لأخبارهما فى نشرات دورية خلال الستينيات (رو ١٩٨٧:١٣٧)، وتغير الوضع فيما بعد، فى أواخر السبعينيات من القرن العشرين، نتيجة لاتساع ساحة التنوع وتعدد المصادر المتاحة للمحررين العرب من دول أخرى، لكن الميديا العربية كانت لا تزال تفضل المصادر الأمريكية والبريطانية والفرنسية (رو ١٩٨٧:١٣٩).

كانت الوظيفة الرئيسية لوكالات الأنباء العربية المحلية هى مساندة الحكومة فى نشر معلوماتها والتحكم فى الأخبار القادمة من المصادر الخارجية (خليل، ١٩٨٣، ورو ١٩٨٧)، و كانت الأخبار التى تتحكم الحكومة فى تدفقها هى الأخبار القادمة من وكالات الأنباء القومية، وبعض الوكالات التى تحتكرها الدولة، والقنوات الرئيسية للأخبار الخارجية التى تخضع لإعادة الصياغة حسب سياسة الميديا التابعة للدولة (الجمال ٢٠٠١: ٩٠). فعلى سبيل المثال لم تحتكر وكالة الأنباء الليبية فقط الأخبار

المحلية، بل أيضًا عملت كالحارس والموزع الأوحد للأخبار القادمة من الخارج (أمين ٢٠٠١، ٢٦). فى بعض الدول كانت وكالات الأخبار المحلية هى الأجهزة الوحيدة التى يجوز لها الاشتراك فى مصادر الأخبار الخارجية (رو ١٩٨٧: ١٤٣) بهدف منع تسريب الأخبار السلبية التى تخص الحكومة، وكما جاء على لسان مسئول تونسى وهو مذكور فى (رو ١٩٨٧: ١٤٤) "نحن نحمى تونس ضد الأكاذيب ونهتم بعدم إثارة الرأى العام". وفى السعودية وقطر والكويت والمغرب كانت الميديا المحلية مخولة فى الحصول على الأخبار الخارجية مباشرة من المصادر الدولية (رو ١٩٨٧:١٣٥).

وقد بدا أن هيمنة وكالات الأنباء المحلية هو السبب الأساسى وراء رتابة الأخبار فى معظم الصحف اليومية. هنا نرى أحد الصحفيين السعوديين الذى سخر يومًا قائلا إن الصحف اليومية تقوم باقتباس الأخبار الجادة التى تأتى من وكالة الأنباء السعودية كما لو كانت "نصًا مقدسًا"، بينما الاختلاف الوحيد المسموح به يتم فقط عند تغطية الأخبار الرياضية والترفيهية (كوبيل، ١٩٨٩:٣). وعلى الرغم من توفر المعدات ذات الدقة والتقنية العالية وبخاصة فى دول الخليج فإننا نجد أنهم يعانون بعض المشكلات الفنية التى تحول دون تبادل الأخبار مع الوكالات الإخبارية الخارجية بصورة كافية (عبد الرحمن، ٢٠٠٢: ٩١). حتى عام ١٩٨٣ لم تكن بعض الوكالات المحلية تحتفظ بإحصائيات أو سجلات عن الأخبار المتبادلة (خليل، ١٩٨٣: ١٢٧)، كما كانت هناك مشكلة أخرى تواجه العديد من الوكالات المحلية وهى الافتقار الواضح للتدريب الكافى للعاملين فيها (خليل ١٠٩٨٣، أبو بكر ١٩٨٥). الباحث خليل (١٩٨٣) كان قد زار العديد من الوكالات المحلية وعقد مقابلات مع المسئولين هناك حول أداء طاقم العاملين، ويمكن القول عن اثنتين فقط منها إن لديهما قوى عاملة ذات أداء مرض (خليل ١٢٧:١٩٨٣)، وقد امتزجت هذه القضية مع النقص فى التكنولوجية الحديثة، والأنشطة المتبادلة المحدودة بين الدول العربية، وهى المشكلة الأكبر التى تواجههم (أبو بكر ١٩٨٥: ٢٤)، فعلى الرغم من العوامل التى تربط الدول العربية مثل لغة الكتابة الموحدة والاهتمامات والاستراتيجيات المشتركة (الجمال ٢٠٠١: ٩١) فإن تبادل الأخبار بينهم كان محدوداً بنسبة ٢٪ (عبد الرحمن ٢٠٠٢).

وقد وجد تركستانى (١٩٨٩) أن الدول الأربعة التى تضمنهم بحثه (السعودية وتونس والجزائر والكويت) كان لديهم أخبار عربية محدودة، وهى القادمة عن طريق وكالات محلية من خلال التبادل مع الأراب سات (التركستانى ٢٣٨:١٩٨٩). إن التوجه المحافظ فى بعض الدول وبالأخص دول الخليج هو أحد الأسباب وراء محدودية التبادل المعلوماتى فى المنطقة (التركستانى ١٩٨٩: ٢٦٧)، وقد قاد مذهب المحافظين صحف لبنان ومجلاتها إلى طباعة أعداد مختلفة بنسخ محافظة يقتصر توزيعها فقط على منطقة الخليج. مثال على هذا، المجلة اللبنانية "الشبكة" التى اضطرت فى ١٨ مارس ١٩٧٣ إلى طباعة أعداد للمجلة على غلافها صورة لفتاة ترتدى البيكينى (ملابس سباحة للنساء من قطعتين) بينما أصدرت نسخة أخرى كى يتم توزيعها فى السعودية وليبيا وعليها فقط وجه الفتاة (دجانى، ١٩٩٢). سبب آخر لمحدودية التبادل المعلوماتى هو تلك العلاقة الثنائية القائمة مع الدول الأخرى التى تحدد نوعية الأخبار المرسلة والقادمة لهذه الدول، وعلى وجه الخصوص أخبار دول الخليج (خليل، ١٩٨٣: ١٣٧).

وبصورة عامة يُعد غياب التنسيق بين المسئولين العرب فى مجال الميديا والبيروقراطية واختلاف الاحتياجات من دولة لأخرى من بين الأسباب الرئيسية لمحدودية التبادل الإخبارى فى المنطقة (تركستنانى ١٩٨٩: ٢٥٦). وبالنسبة للباحث عبد الرحمن (٢٠٠٢) فهو يرى أن الوكالات العربية أكثر انشغالا بالترويج لأنظمتها الحاكمة عن التنسيق بصورة جادة لتبادل الأخبار بين بعضهم البعض، مما سمح للوكالات الغربية بلعب دور جوهرى فى نشر الأخبار.

هناك سبب آخر هو مستوى التقنية العالية للأخبار القادمة من الغرب، علاوة على ما تميزت به هذه الأخبار من توخى الموضوعية وتوفير خلفية من المعلومات عن الموضوع المطروح، وهى مسألة تفتقر إليها الأخبار العربية (تركستانى ١٩٨٩: ٢٥٥)، وقد أسفر ذلك عن عدم توازن فى تدفق المعلومات بين الغرب والشرق متمثلا فى عدم مبالاة الوكالات الإخبارية الغربية بالدول النامية مصحوبًا فى الوقت نفسه بإعجاب الوكالات العربية بنظرائهم الغربيين (خليل ١٩٨٣: ١٤٠)، مما يعنى تدفق المعلومات من جانب واحد، أى من الغرب للشرق. كانت هذه دراسة أُعدت مسبقًا عام ١٩٧٦ حول

تدفق الأخبار بين الشبكة الفضائية الأوروبية Eurovision ونظام التليفزيون المصرى، حيث أوضحت أن الشبكة الأوروبية قد عرضت موضوعًا واحدًا فقط من مصر، وهو الموضوع الوحيد المرسل، بينما نجد أن الجانب المصرى قد عرض ١٥ موضوعًا من بين ١٦١ تم إرسالها من Eurovision (رو ١٩٨٧: ١٤٦)، هذا على الرغم من احتلال أخبار الشرق الأوسط الأولوية فى الأخبار فى الوكالات الأوروبية (هجفارد ١٩٩٥:٢٠٦). من ناحية أخرى وجد تركستانى (١٩٨٩: ٢٣٨) أن الأخبار المحلية يتم تغطيتها من قبل وكالات الأخبار المحلية، فى حين أن الأخبار العربية - إن وجدت - يتم الحصول عليها من خلال اتفاقيات متبادلة مع الدول العربية، أو من خلال تبادل الأخبار الدولية، وأيضًا وجد أن حجم الأخبار العربية فى بث الأخبار فى التليفزيون محدود بدرجة كبيرة.

تلعب وكالات الأنباء العالمية دورًا مهمًا فى توفير الأخبار الدولية سواء بالصور أو بالنصوص، وتعد وكالة الأسوشيتدبرس الفرنسية AFP هى الأكثر استخدامًا من قبل الجزائر وتونس، أى المستعمرات الفرنسية السابقة (تركستانى ١٩٨٩: ٢٣٨). فى إحدى الدراسات حول تغطية حرب الخليج عام ١٩٩١ فى الصحف المصرية يبين عبد الرحمن (٢٠٠٢) أن وكالات الأنباء الدولية كانت المصدر الرئيسى لأخبار الميديا العربية، وحتى أخبار العراق والدول العربية الأخرى كانت تأتى من وكالات الأنباء الدولية، حتى جريدة "الأهرام" المصرية التى تتمتع بعدد كبير من المراسلين والمكاتب بالخارج كانت تعتمد على هذه الوكالات. بحث آخر تناول وفرة المصادر المجهولة فى الموضوعات المنشورة، وهى الموضوعات التى لا تحمل اسم المصدر أو مكانته الاجتماعية لصعوبة تحديد ذلك.

وكما تقع وكالات الأخبار المحلية تحت ضغوط مالية وسياسية من الأنظمة المحلية، فمن الناحية الاقتصادية نجد أن الأجهزة التابعة للدولة تُظهر تفضيلها للصحف الموالية لها بإبرام عقود للإعلان معها واستبعاد أولئك الذين لا يظهرون الولاء نفسه (كوبيل، ١٩٨٩)، وقد تنوعت الضغوط السياسية الواقعة على مصادر الأخبار بحسب سياسة

النظام الحاكم، لكن بصورة عامة داومت وكالات الأنباء العربية على التهليل "لإنجازات العديد من قطاعات الدولة" (أمين، ٢٠٠١: ٢٥).

لم تستثن سيطرة الدولة أحداً، حتى مؤسسات الأخبار الأجنبية خضعت لضغوطها، و بحسب ما جاء فى (كوبيل ١٩٨٩: ١٢) فإن الحكومة السورية لم تسمح للوكالات الإخبارية الأجنبية بتأسيس مكاتب دائمة لها فى سوريا، كما حصرت مهمة جمع الأخبار على الصحفيين المحليين، كما لجأت لبعض الإجراءات مثل تقصير مدد تصاريح إقامة المراسلين الأجانب فى المنطقة، أو قد يواجه هؤلاء المراسلون احتمال الطرد من البلاد أو حرمانهم من تأشيرة الدخول إذا أساء عملهم للسلطات (كوبيل ١٩٨٩: ١٢). حتى الصحفيون المحليون الذين يعملون لصالح الوكالات الإخبارية الأجنبية لم يُنظر إليهم باعتبارهم ممثلين حقيقيين لهذه الوكالات، حيث كان دورهم مقتصراً على كونهم مراسلين مأجورين بالقطعة، لا يتمتعون باتصال مباشر مع المكاتب الأساسية فى أوروبا أو الولايات المتحدة الأمريكية، بل فقط مع المراسلين المعينين (حراس البوابة الإعلامية) للوكالات فى المنطقة الذين يتمركزون فى العادة فى القاهرة أو قبرص أو بيروت (الإمام، ٢٠٠٢). ولذلك يبدو أن دور الوكالات الأجنبية هو جمع الأخبار من خلال مراسليهم المعينين فى المنطقة، وبعد ذلك يتم إعادة اختيار الأخبار وتحريرها كى تناسب سياسة مؤسسة الميديا (الإمام، ٢٠٠٢).

فى الواقع، لفتت التحقيقات الإخبارية الأجنبية انتباه الكثيرين من الباحثين العرب لما رأوه من تبعية الميديا العربية الكلية للوكالات الإخبارية الدولية باعتبارها مصادر جديدة للحصول على الخبر، فهم يرون فى هذه المصادر توجهاً غربيًا يعمل كأداة تعبوية من نوع ما من أجل حكوماتهم، على الرغم من إمكانية تصديق هذا الزعم على الصحافة المطبوعة فقط، نظراً لمحدودية الموارد المالية المتاحة لها لتعيين مراسليها. ويعترف المحررون العرب أنهم يختارون التركيز على الأخبار الأجنبية أكثر من المحلية، لما تعرف به الأخبار المحلية من تقليدية فى العرض ورتابة فى الأحداث (تركستانى ١٩٨٩: ٢٥). كما يبدو أن الميديا تقوم بانتقاء الأخبار بحسب خطة عمل مسبقة فقط فيما يخص الشئون الخارجية (سكودسن ٢٠٠٣: ١٦٠، الهاقيل و ميلكوت ١٩٥٥: ٣٤)

الأخبار الخارجية

منذ نعومة أظافر الصحافة فى العالم والصحافة الخارجية تعمل باعتبارها مؤشراً لحداثتها وربما مؤشراً للمجتمع ككل. خلال الفترة الاستعمارية كان المحررون الأمريكيون مكتفين بملء صفحات جرائدهم بأخبار من أماكن أخرى، وكان القراء فى عطش شديد لسماع المزيد من الأخبار من أوروبا، وبخاصة فترات العمليات العسكرية (كسارة ٢٠٠٢، ٢٤٨). وعليه كانت الأخبار الخارجية عامل منافسة بالنسبة للصحافة رخيصة السعر، وكان المراسلون يذهبون لأوروبا للكتابة عن الأحداث المهمة ويرسلونها فى رسائل لصحفهم كى تُنشر، هنا جاء "اسم المراسلات الخارجية" (كسارة ٢٠٠٢، ٢٤٨). لم يُبد المحررون أو حتى القراء أى اهتمام فى تتبع الأحداث المحلية والتى كانت معلومة للجميع، بالإضافة إلى ذلك كانت الكتابة الأكثر أماناً هى ما يُكتب حول الأخبار الخارجية وليس ما يُذكر من الأحداث المحلية، وذلك للهروب من الرقابة الحكومية (جرين، ٢٠٠٢: ٣٧). حتى فى مصر أيضاً كانت الأخبار الخارجية يتم تجميعها وترجمتها من بعض المصادر مثل "التايمز وورلد والإندبندنت بيلج ورويتر" ومصادر أخرى عدة (هيرى، ٢٠٠٤: ٧٤).

جاء إبراهيم اليازيدى (١٨٤٧ – ١٩٠٦)[1] لينتقد حجم الأخبار الخارجية فى الصحافة المصرية بنهاية القرن التاسع عشر، فهو لم يستطع تفسير قيام الصحافة بكتابة التقارير حول السياسات الأوروبية أو الحرب بين اليابان والصين أو كل تلك الأحداث التى لا تهم المصريين (عبود ١٩٨٤: ١٦). ومع ذلك نجد أن تطوير الصحافة العربية ارتبط بزيادة حجم الأخبار الخارجية، ولم تكن هذه الأخبار مقدمة أو مترجمة من قبل المصادر الخارجية فحسب بل أيضاً مقدمة من مراسلى الصحيفة نفسها المدركين مدى افتتان قرائهم بالثقافات الأخرى.

---

(١) اليازيدى (١٨٤٧ -١٩٠٦) صحفى لبنانى الأصل ومترجم، جاء لمصر و أسس فيها ثلاث صحف.

يقول محمد حسنين هيكل الذى أصبح فيما بعد رئيس تحرير جريدة الأهرام فى استرجاع لذكرياته وأوج أيام عمله بوصفه أول مراسل صحفى مصرى بالخارج: " كان الجميع مفتون بتجربتى الخارجية ومعرفتى بالانقلابات العسكرية coups d'etat". فلقد كان هيكل واحداً من نجوم مصر، وكانت عناوين الأخبار المثيرة دائمًا ما تقترن بقصصه التى يستخدمها للحديث عن مغامرات صحفى شاب مثل "هيكل يدخل كوريا"، "هيكل يكتب من إيران"(١). فلقد كان يعترف بأن تغطية الأخبار الخارجية، بغض النظر عن مدى خطورة المحاولة، صنعت له وضعًا له هيبته وامتيازه وأضافت لعمله أكثر من مجرد إعداد تحقيقات عن الشئون السياسية المحلية "خلف الأبواب المغلقة". فقصصه لا تُعد فقط أعمالاً أسطورية وخلابة لجمهوره، بل أهلته فيما بعد لوظيفة حكومية مرموقة. كان التحقيق الإخبارى الخارجى بالنسبة لكل من القارئ والصحفى بمثابة مسرح لتقديم عرض مثير، فلقد كانت الأخبار الغربية فى العادة تبدو وكأنها تستهدف طبقة معينة من الجمهور، وهم المتعلمون تعليمًا عاليًا، والذين على قدر عال من الاطلاع والمعرفة (هولم ٢٠٠٠: ٢٢)

بالنسبة للصحفيين - وبشكل أساسى - كان العمل على المستوى الدولى له امتيازه الخاص أكثر من تناول المحليات فقط (هولم،٢٠٠٠:٣٧). لم تكن الأخبار الخارجية والغربية فقط علامة على حداثة الأمة وانفتاحها، بل كانت أيضًا المناخ الذى يبرع فى استعراض صورنا وصورهم. جاءت السبعينيات والثمانينيات من القرن العشرين لتحمل اهتمامًا واسعًا بالتغطية الاخبارية الدولية، قُدمت على إثرها عدة شكاوى من العديد من الدول النامية يزعمون فيها سوء تقديمهم فى عالم صناعة الميديا، وكى تتم مناقشة هذه المسألة نظمت هيئة اليونسكو حلقة نقاش دولية تحت عنوان "عالم المعلومات الجديد ونظم الاتصال" (The New World Information and Communication Order)، وقد أسفرت هذه المناقشة عن العديد من الدراسات حول تغطية الأخبار الدولية، ومن بينها ما قدمه سيربرنى محمدى (١٩٨٦) وإستفينسن وشاو (١٩٨٥)

(١) مذكورة فى ناصر (١٩٧٩: ٣٢).

دارت المناقشة حول زعم أن ميديا الأخبار فى الدول المتقدمة تتجاهل الدول الفقيرة، وتفضل تعيين مراسليها فى العواصم الغنية محدودة العدد، حتى وعندما تحتل الدول الفقيرة الصفحات الأولى فهى عادة ما يرتبط اسمها بوقوع كارثة أو نشوب أعمال عنف، وبالتالى التأكيد على الفكرة النمطية المألوفة عن هذه الدول باعتبارها مناطق شغب واضطرابات.

حتى وقبل تلك المناقشة كانت تغطية الأخبار الدولية فى الصحافة العربية تخص فقط المهتمين بالميديا، حيث كانت الصحافة العربية لا تعير الاهتمام اللازم للأحداث الخارجية، وربما يعود ذلك للاحتلال الأوروبى للجزء الأكبر من المنطقة. سعى أبو لغد (١٩٦٢) فى بحثه للأخبار الدولية فى سبعة صحف يومية لتحديد كم الأخبار الدولية التى تُطرح أمام القارئ العربى ونوعها، والتوجهات الغالبة تجاه الدول الأجنبية المشار إليها فى الأخبار، فلاحظ أن هناك تغطية شاملة للولايات المتحدة وبريطانيا والاتحاد السوفيتى وفرنسا، كما كان هناك توجه إيجابى واضح فى تغطية الاتحاد السوفيتى ثم الولايات المتحدة، بينما كانت تغطية كل من بريطانيا وفرنسا سلبية لحد كبير.

لم يتساو الحجم المتاح للأخبار الخارجية المطروحة فى الصحف العربية؛ فمن الناحية العملية نجد أن صحافة المملكة العربية السعودية تظهر ميلا كبيراً للتركيز على الأخبار المحلية أكثر من الدولية التى كانت تحتل ٩٪ فقط من إجمالى المساحة الإخبارية (أبولغد ١٩٦٢: ٦٠٣)، و تأكدت هذه النزعة التى ظهرت فى الصحافة السعودية – وفى صحافة الخليج ككل – فى دراسات أتت فيما بعد مثل (هاريس ومالزيك ١٩٧٩، ودجانى ١٩٨٩)، فعلى الرغم من أن تركيزهم كان منصباً على كيفية تقديم الدول الأخرى فى الصحافة العربية، فإن الصحفيين العرب أيضاً تناولوا كيفية تقديم المنطقة العربية فى الصحف الأخرى . كما أظهر مسح بين الصحفيين الجزائريين أنهم ينظرون للأخبار باعتبارها أداة "للهجوم المضاد على الدعاية الأجنبية"، ووسيلة لتوفير المعلومات الحقيقية (كيرات ١٩٨٧: ١٦٩).

فى المنطقة العربية، كانت الأخبار العربية أو (العربية الإقليمية) لها الأولوية فى الصحافة العربية، وربما كان هذا على حساب الأخبار الخارجية التى لا تضم أطرافًا عربية. أظهر تحليل للمضمون لجريدة "الحياة" أن الأخبار العربية تحتل ٦٨٪ بينما الخارجية تحتل ٣٢٪ (أبو زيد ١٩٩٣:٣٩٢)، وتعتمد الجريدة نفسها فى مصادرها على مراسليها (٤٣٪) ومكتبها فى لندن (٢٢٪) أكثر من الوكالات الإخبارية الدولية (٩٪) (أبو زيد ١٩٩٣: ٣٩٢). وقد أكد تحليل آخر حول العديد من الصحف العربية الأولوية المعطاة للأخبار العربية (الجمال، ١٩٩٠). وأشار تحليل آخر لمضمون الأخبار الخارجية فى جريدتين أردنيتين إلى الأولوية المعطاة للأخبار الخارجية التى تضم أطرافًا عربية ومن ثم تساهم فى زيادة أخبار العالم الثالث. لاتزال الأخبار السياسية هى الأخبار صاحبة الهيمنة الأكبر فى الأخبار الخارجية (الجمال ١٩٩٠، عبد العزيز ١٩٨١، أبو لغد ١٩٦٢، رشتى ١٩٧٨، أبو زيد ١٩٩٣، دجانى ١٩٨٩، سرايرا ١٩٨٦)

كما نجد أن الجرائد اليومية الفلسطينية انتقلت من تغطية الشئون الداخلية للتركيز على السياسة الخارجية للسلطة الفلسطينية (الجمال، ٢٠٠١: ٢٧).

من ناحية أخرى، أظهرت عدة مسوح أجريت حديثًا بين الجمهور الأمريكى بأنهم لا يشعرون بأنهم على اطلاع كامل على وضع العالم الحالى، ولذلك يبحثون عن المزيد من التغطيات الأجنبية للأخبار، فعلى الرغم من استغلال ميديا الأخبار الأمريكية تجاريًا وخضوعها لإحتياجات الجمهور فإن كمية الأخبار الدولية فى تراجع مستمر، مما أعطى المزيد من المساحة للأخبار المحلية[١]، وهو تناقض كبير بالنظر إلى هيمنة الولايات المتحدة الأمريكية باعتبارها القوة الكبرى والوحيدة. كان لتوجه الميديا الأمريكية للأخبار المحلية وإعطائها الأولوية، وفرضية أن هذا هو بناء على حاجة

---

(١٥) من تقرير " Bringing the World Home" ١٩٩٩، الجمعية الأمريكية لمحررى الصحف. وحسب ما جاء فى دراسة أخرى فى هذا التقرير، هناك ٤٧٪ من الأمريكيين يطلقون على بوريس يلتسن رئيس روسيا. وفى دراسات أخرى تم الاستشهاد بها تؤكد قلق الأمريكيين حول افتقار التغطية الدولية لأخبار مثل ذلك المسح الميدانى الذى أجرى بواسطة Freedom Forum's Newseum.

الجمهور، صداه إذ بدأت الكثير من الدول فى الاهتمام بأمورها المحلية. من ناحية أخرى نجد أن كمية الأخبار الخارجية فى الميديا العربية أكثر مما فى الميديا الأمريكية، وقد أظهر تحليل للمضمون للأخبار الأجنبية فى أربع صحف أمريكية وخمس عربية أن الصحف العربية تكرس أكثر من ٣٠٪ من أخبارها للأخبار الدولية فى حين أن الصحف الأمريكية تخصص ١١٪ فقط (عبد العزيز ١٩٨١). ومن الطريف أن الميديا فى كلتا المنطقتين تحتل المرتبة الثانية فى قائمة الدول أو الأقاليم الأكثر تداولا فى الأخبار. ومن ثم، تحتل الولايات المتحدة الأمريكية ثانى أكبر مساحة فى الأخبار الخارجية العربية وبالمثل تحتل المنطقة العربية ثانى أكبر مساحة فى الصحف الأمريكية، فى كلتا الحالتين تحتل أوروبا المرتبة الأولى فى التحقيقات الإخبارية الخارجية (عبد العزيز ١٩٨١). وعلى عكس شكاوى الدول النامية فى السبعينيات والثمانينيات حول انخفاض التغطية لأخبارهم يشير الباحثون العرب إلى زيادة كم أخبار العالم النامى المتضمنة فى الأخبار العربية (الجمال ١٩٩٠، السرايا ١٩٨٦)، وإن كان يمكن تفنيد هذا التحليل، حيث إن كم الأخبار المثارة حول منطقة معينة لا يعنى بالضرورة أولوية أخبار هذه المنطقة، بل يعكس مدى توفر مثل هذه الأخبار من مصادر الأخبار مثل الوكالات الإخبارية .

بدا دور وكالات الأنباء، وعلى وجه الخصوص الوكالات الأربعة الكبرى[١٦]، كأكثر العوامل أهمية وانسجامًا فى تحليل تغطية الأخبار الخارجية (ريشتى ١٩٧٨ ودجانى ١٩٨٩ والجمال ١٩٩٠)، فى حين أن بعض الباحثين ينظرون بشكل من الريبة فى دور وكالات الأنباء الدولية باعتبارها المصدر الرئيسى للأخبار (ريشتى ١٩٧٨، عبد الرحمن ١٩٨٩ والجمال ١٩٩٠)، ويفسر آخرون زيادة الاعتمادية والتبعية على هذه المصادر كمؤشر للانفتاح فى الدول التابعة (دجانى، ١٩٨٩).

---

(١٦) تشير الدراسات المذكورة هنا إلى وكالات الأنباء الكبرى الأسوشيتدوبرس الأمريكية والأسوشيتدوبرس الفرنسية ورويتر والدولية المتحدة للصحافة لكن الدولية المتحدة للصحافة لا تلعب دوراً مؤثراً الآن لتناقص المقدم منها بصورة مؤثرة وكبيرة.

وتشتمل الأخبار الغربية التى تقدمها الوكالات الإخبارية الدولية حول المنطقة العربية على عناصر "الدعاية الخارجية" وليس مجرد الأخبار المحضة، ويحذر عبد النبى فى مجموعة من التوصيات للصحافة المصرية (١٩٨٩) الصحفيين المصريين من المسئولية الكبيرة التى تقع على عاتقهم فى التعامل مع الأخبار التى تأتيهم من وكالات الأخبار الدولية، وهى مسألة تتطلب المزيد من المؤهلات والخبرة، لهذا فهو يقترح تشكيل لجنة رقابة داخلية متخصصة لتناول هذا النوع من الأخبار، وعدم ترك هذا المهمة للصحفيين المبتدئين ممن لا يقدرون على استيعاب التداخلات والتشابكات الكبيرة وراء هذا الكم الهائل من المعلومات التى تأتى إليهم. لهذا السبب جاء تباهى رئيس تحرير "الحياة" باعتماد جريدته على مراسليها لتغطية الأحداث الدولية وبخاصة فى حرب الخليج ١٩٩١ أكثر من اللجوء والاعتماد على مجموعة الأخبار الجاهزة التى يحصلون عليها من المصادر الأربعة الكبرى (أبو زيد، ١٩٩٣: ٣٩٢)[1]. ويزعم إستيفنسن وشاو فى كتابهما (٥٦:١٩٨٦) بأن وكالات الأنباء الدولية ليست بالقوة نفسها للوكالات المحلية والصحفيين المحليين وتأثيرهما (حراس البوابة الإعلامية)، وقد قاما بإجراء تحليل لمضمون الأخبار فى العديد من البلدان النامية، وبحثا الاختلافات فى الأخبار الخارجية التى يتم تغطيتها فى كل بلد داعين إلى إعادة تعريف الأخبار باعتبارها سياسة. كما أشارا إلى الكم الهائل من المعلومات التى يتم تزويدهما بها من خلال الوكالات الغربية، والتى تفوق بكثير جداً كم المعلومات المستخدمة من قبل وكالات البلدان النامية، ومن ثم فإن هذا الكم الهائل فى المعلومات يفترض اختيار نوعية الأخبار وأيضاً الرؤى المتبعة فى توصيل هذه الأخبار .

كانت فكرة إيجاد وكالة إخبارية عربية مشتركة لتحقيق التوازن فى ظل هيمنة الوكالات الأجنبية فكرة مطروحة منذ فترة، لكنها ظلت كامنة طيلة أربعين سنة،

---

(١) فى تحليل لمضمون الأخبار فى "الحياة" فى الفترة التى تم اختيارها عام ١٩٩٠ يشير أبو زيد (١٩٩٣) للدور المهم الذى يلعبه مراسلو الأخبار بتزويدهم بـ ٤٣٪ من التغطية الدولية، ويأتى بعدهم مكتب لندن الذى يوفر ٢٢٪، ووكالات الأخبار والت يُقدر ما تقدمه بنسبة ٩٪ فقط .

وعلى ما يبدو فإن الحكومات العربية التى تتحكم فى مؤسسات الميديا سواء بطريقة مباشرة أو غير مباشرة لم تتفق سواء على شكل هذه الوكالة الإخبارية أو حتى مضمونها (القلاب، ٢٠٠٢)[١]، فهم لم يتفقوا على الشكل الذى يجب اتخاذه، حيث إن بعض البلدان تريد الريادة وترغب فى أن يتناسب عدد العاملين فيها مع عدد سكانها، بينما يعتقد البعض الآخر أن الموارد المالية يجب أن تكون هى المعيار. تختلف الحكومات العربية أيضًا حول مضمون توزيع الأخبار، فبعض الدول تريد توجيه الدعاية الإعلامية ضد أمريكا والغرب ويرون الصراع العربى الإسرائيلى باعتباره صراعًا مع القوى الغربية أيضًا، بينما يفضل آخرون توجيه الدعاية ضد مخاطر الاشتراكية التى تقلص سلطة الدين، ويُعد غياب السياسة العربية الخارجية الموحدة واحدًا من المعوقات أمام هذا التعاون (القلاب، ٢٠٠٢).

وقد وضع رو (١٩٨٧: ١٤٨) القائمة التالية التى تتضمن أسباب فشل إيجاد وكالة إخبارية عربية مشتركة:

١- غياب الميديا ذات التوجه التجارى المشروط والموجودة فى الغرب .

٢- غياب نظام الميديا المركزية نظرًا لاختلاف السياسات بين البلدان العربية.

٣- غياب الموارد المالية (على الرغم من أن هناك بعض البلدان الثرية والتى باستطاعتها تمويل هذا المشروع بمفردها).

٤- الصراعات الأيدلوجية بين البلاد العربية .

لقد برهنت المشروعات الإعلامية والاتصالاتية المشتركة بين البلاد العربية أنها أقل من مثمرة، فعلى سبيل المثال لم يحقق القمر الصناعى المشترك "أراب سات"[٢] الغرض منه بتعزيز التبادل ما بين العرب أو المساهمة فى عملية التنمية (جوايبس، ٢٠٠٢).

---

(١) صلاح القلاب، وهو وزير المعلومات الأردنى السابق ومعلق/ الشرق الأوسط - ٢٧ يونيو ٢٠٠٢

(٢) تم إطلاق القمر الصناعى أراب سات فى عام ١٩٧٦ لكنه استغرق عقدًا من الزمن كى يبدأ عمله فى الفضاء. بحلول عام ١٩٩٧ تم إضافة قمرين صناعيين للأراب سات وهما أراب سات ١-سى و ٢ إيه (عايش ٢٠٠١: ١١٧)

كان هناك أمل فى أن يلعب المكتب المصرى لوكالة أنباء الشرق الأوسط (مينا) دوراً جوهرياً فى المنطقة، لكنه كان محدوداً بإلحاقه بالحكومة المصرية وسياساتها (الإمام، ٢٠٠٢)، وكنتيجة لهذا فإن الصحفيين المصريين قد يعرفون القليل عن الأحداث التى تجرى فى البلدان العربية الأخرى(١). ومن ثم فإن الأخبار التى تخص المنطقة يتم الحصول عليها من وكالات الأنباء الدولية (على وجه الخصوص الوكالات الأربعة الكبرى)؛ فلقد كانت وكالة الأنباء الفرنسية توزع الأخبار عن لبنان ورويترز تتولى الأخبار عن المغرب، بينما تختص الأسوشيتدبرس بتوزيع أخبار مصر، لكن ثورة القنوات الفضائية وشبكة مراسليهم المؤسسة بشكل جيد فى الدول الغربية جاءت لتعوض هذا الاختلال (الإمام، ٢٠٠٢).

هناك سبب آخر لهذا الاختلال وهو عدم رغبة الصحفيين العرب أو اهتمامهم بإعداد التحقيقات الصحفية حول الأخبار الروتينية، وبخاصة عند الوضع فى الاعتبار غياب التحقيقات البحثية. عوضاً عن هذا نجد أن الصحفيين الناشئين يسعون وراء صناعة اسم لهم ككتاب عمود بالجريدة، وبذلك يضمنون تحقيق شهرة فى المهنة (فادنى، ٢٠٠٣). ومن ثم فإن مهمة توزيع الأخبار بين أقسام الصحيفة أثبتت ببساطة أن الأخبار القادمة من وكالة الأنباء رويتر تذهب لصفحة الأخبار، والآتية من وكالة الأنباء الفرنسية تذهب لقسم التحقيقات، وأخبار النيويورك تايمز إلى قسم التحليل (فاندى، ٢٠٠٣). أما بالنسبة للمحتوى فكانت الأولوية دائماً وأبداً ما تُعطى للأخبار السياسية وتتبعها الأخبار الاقتصادية، أما الأخبار الثقافية والإنسانية فكانت فى العادة لا تحظى بالطلب بين وكالات الأنباء العربية (خليل، ١٩٨٣). وبالمثل، لم تلق أخبار التنمية من المنطقة الاهتمام الذى تلقاه فى شتى الدول (تركستنانى، ١٩٨٩: ٢٥٤).

كانت الأخبار المقدمة من قبل الوكالات الإخبارية الدولية تتميز بدرجة تقنية عالية مع تغليفها بخلفية كافية عن الأحداث ومدة تسجيل كافية للخبر فى نشرات الأخبار

---

(٢٠) فى تعليقه على "الشرق الأوسط" فى ٢١ مايو ٢٠٠٢، يعتبر غسان الإمام معرفة الصحفيين المصريين بالدول العربية الأخرى لا تزيد عن معرفتهم بما يجرى بتايوان أو نيبال.

وصياغة موضوعية، وهى الأسباب وراء اعتماد مصادر الأخبار العربية حتى الآن على الوكالات الدولية (روف، ١٩٨٧، تركستنانى ١٩٨٩).

فشلت وكالات الأخبار العربية فى توفير مصدر غنى للأخبار العربية الإقليمية للميديا العربية، وبذلك تقلل من اعتمادها على مصادر الأخبار الغربية. ويرجع هذا الإخفاق لانشغال الوكالات الإخبارية بخدمة الأنظمة الحاكمة، أو تغطية الأخبار المحلية الروتينية وهى الموضوعات التى نادراً ما يتم تبادلها فى وكالات الأنباء العربية، أضف لهذا سبباً آخر وهو غياب التخطيط المسبق والجيد لكل قطاعات الميديا فى المنطقة، حيث لم يسبق إنشاء هذه الوكالات الإخبارية تخطيط استراتيجى جيد من جهة المؤسسين (الحكومات) فيما يخص الأهداف المرجوة والسبل لتحقيقها، بل كانوا يعتبرونها مجرد مؤشر للجهود العربية للنهوض ببلادهم (خضور، ١٩٩٧: ١٦). ويمكن أن يُقال الشىء نفسه عن مبادرة البث التليفزيونى (الشريف:١٩٨٠)، حيث يمكن تعميم المبدأ نفسه على المؤسسات التعليمية الصحافية، فعلى سبيل المثال نجد الطلاب فى الجزائر يعملون فى الصحافة المطبوعة بينما تفتقر الدولة لقوى عاملة فى قطاع البث الإذاعى (كيرات ١٩٨٧: ٧٦).

لقد جاء تأسيس إدارات الاتصالات فى البلاد العربية عنوة بدون تناول النتائج الخطيرة التى قد تنجم أو حتى الداوفع الحقيقية وراء هذا العمل، مثل الحاجة لعمالة مدربة واحتياج كل دولة على حدة (الجمال، ٢٠٠١: ٢١٣)، و لم يعن زيادة عدد هذه الإدارات وبالتالى عدد الخريجين أن جميعهم ضمنوا الوظيفة الملائمة فى صناعة الاتصالات. فى الواقع كان الطلاب يميلون إلى التخصص فى موضوعات أخرى غير الصحافة، وكان جزء من هذا الميل راجعاً إلى رغبتهم فى ضمان وظائف ملائمة فى الخدمة العامة، وجزء آخر يرجع لخشيتهم من التورط فى صراعات مع السلطات الحكومية التى تحكم قطاع الصحافة سواء بشكل مباشر أو غير مباشر (الجمال ٢٠٠١: ٢١٣).

٣- الصحافة العربية

استعراض نموذج رو

"أينما وجدت الأخبار فهى مسموح بتداولها من منطلق كونها معلومة منشورة ومتاحة، ودرجة إتاحة هذه المعلومة متوقعة لأى شخص يرغب فى الحصول عليها، والغاية هنا ليست بالضرورة تعزيزًا للحس الوطنى وتقوية له "

مايكل سكودسن - سيكولوجية الأخبار

إذا اعتبرنا أن الأخبار منتج ثقافى إذًا فهى تعكس مجتمعها والمعايير المهنية المتبعة فى المؤسسات الصحفية المتواجدة بهذا المجتمع، وبالتالى لا يمكن القول إن هناك تصنيفًا عالميًا موحدًا للصحافة، بل يمكن القول إن هناك عددًا من التصنيفات تحاول إحصاء كل الاختلافات الثقافية، إحدى هذه المحاولات كانت تصنيف الصحافة وفقًا للعلاقة القائمة بين الميديا والمجتمع. ووفقًا لهذه النظرية نجد أن هناك أربعة نماذج للصحافة، السلطوية والمتحررة والشيوعية والصحافة ذات المسئولية الاجتماعية (ماك كويل ٢٠٠٢، جولدنج واليوت ١٩٧٩)

يشير النظام السلطوى إلى المعايير القمعية للتحكم فى الصحافة وحظر انتشارالآراء التى قد تهدد أيدلوجيات النظام الحاكم، ونجد النظام المتحرر متجذرًا فى الكتابات الكلاسيكية (للوك وميل)، مروجًا لنوع جديد من المجتمع الديمقراطى حيث تُباح الملكية الخاصة للصحافة. وتتحرك الأفكار والآراء ويتم تبادلها بحرية. أما النظام الشيوعى فهو يشير إلى الأنظمة الشيوعية وبخاصة فى الاتحاد السوفيتى السابق، حيث تُعد الميديا أداة أخرى للنظام الحاكم كى ينشر أيدلوجيته الخاصة للعامة من

الشعب، ومن الطبيعى أن الاحتكار العام للميديا عوضًا عن الملكية الخاصة كان هوالشكل الوحيد المسموح به تحت ظل هذه الأنظمة.أما نظرية المسئولية الاجتماعية فتشير إلى النظام الذى تُظهر فيه الميديا اهتمامًا أكبر برفع جودة محتواها وخدمة جميع الأذواق، وتقديم مساحة كاملة لكل الآراء، ويتعلق هذا النظام بنظام البث العام فى العديد من الدول الغربية الأوروبية.

ويقترح ريموند وليامز (ماك كويل و جولدنج واليوت ١٩٧٩: ٤٦) تصنيفًا يضم أربعة أنظمة، وهو تصنيف يقوم على الشكل المؤسسى أكثر منه على الأيدلوجيات الفكرية، ويشمل النظام السلطوى والأبوى حيث الممارسة السلطوية لها أسسها الأخلاقية التى تفرض رقابة شديدة على الميديا لنشر القيم التى تُعتبر فقط ذات أفضلية ونفع للناس، كما يشمل النظام التجارى و الديمقراطى. ويوجد تصنيف آخر ويُعرف بنظرية التنمية، وهو مقترح من قبل عدد من الباحثين (انظر McQuail, 2002:155ff لمناقشة أكثر شمولية) مشيرًا للدول التى تمر بمرحلة انتقالية من الحقبة الاستعمارية إلى الاستقلال حيث أساسيات تحرير قطاع الميديا واستغلالها تجاريًا لم تستقر بعد.

ويفضل الباحثون العرب توصيف أنظمة الميديا العربية إما من حيث المسئولية الاجتماعية أو النظرية التنموية، ويعتبر حمادة (١٩٩٣:١٧٢) نظرية المسئولية الاجتماعية هى الأكثر واقعية للتطبيق فى المنطقة العربية، ويُرجع هذا إلى الدور الإلزامى للميديا فى البلدان النامية والذى يحث على الاستقرار التنموى والسياسى المطلوب فى هذه المجتمعات، لكن هذا لا يعنى بالضرورة أن على الحكومة الإبقاء على احتكارها لميديا الأخبار، بل يجب أن تسمح بالملكية الخاصة، مع فرضية أن مؤسسات الميديا هذه سواء كانت خاصة أم عامة عليها الالتزام بالمعايير الأخلاقية والشرعية للبلد.

وبحسب هذه المنظومة تلعب ميديا الأخبار دورًا مزدوجًا، الأول هو توفير قدر كاف من المعلومات لتعزيز مشاركة المواطن فى العملية السياسية، والثانى هو جعل الحكومة مسئولة عن سياساتها فى شكل رقابى. ويتبنى أبو زيد (٢٠٠٠:٣٥) نظرية التنمية لتوصيف نظام الميديا المثالى فى المنطقة العربية، وحسب هذه المنظومة فإن الأخبار

تلعب دوراً حاسماً فى تنمية المجتمع، وبذلك تضمن للمواطن المشاركة الكاملة فى الخطط التنموية. إن الدقة والموضوعية شرطان يجب أن يتحققا فى ميديا الأخبار ليس استجابة للمحددات الأيدلوجية أو السلطوية الموضوعة بل انطلاقًا من الحاجة لتطبيق وممارسته الواجب المهنى لخدمة المجتمع . ويقترح عبد الرحمن (١٩٨٣، فى حمادة، ١٩٩٣: ١٦٩) تصنيفًا ثالثًا أطلق عليه "نظرية التبعية"، وتنبع هذه النظرية من تفسير الاقتصادى المصرى سمير أمين للتخلف الاقتصادى للمنطقة العربية، وبحسب هذه النظرية تعتبر أنظمة الميديا العربية نتاج قرون من الاستعمار والقمع، وبالتالى فهى تتبع وتعتمد على ميديا الأخبار الدولية كمصدر وإلهام لوضع ممارسات صحفية جديدة.

وفى ضوء النظريات الغربية اقترح وليام رو (٢٠٠٤) تصنيفًا للصحافة العربية وضعه فى أربع صور تنظيمية وهى: التعبوية والموالية والمتنوعة والانتقالية، ويُعد نموذج رو واحداً من عدة دراسات قليلة متوفرة وبالغة الأهمية حول الصحافة العربية فى توصيف أنظمة الميديا العربية.

لكن هذا النموذج كان له نقاط ضعفه مما جعله محل نقد الكثير من الباحثين العرب نتيجة ارتكازه على تصنيفات غير واضحة المعالم. من نقاط الضعف الواضحة فى هذا النموذج حتى فى نسخته المعدلة أنه لم يدرس الوضع الجديد لميديا الأخبار العربية حتى الآن، والتى تمر بحركة تطويرية متسارعة منذ التسعينيات. والهدف من هذا الفصل هو إفساح المجال أمام النقد، والتركيز على مواطن الضعف لنموذج (رو) وخاصة تجاهله لعوامل عدة مثل دور صحف المهجر، وسوف يبدأ الفصل باستعراض موجز للنموذج قبل البدء فى دراسة أوجه انتقاده فى ضوء بحث سابق للميديا العربية، وسوف يتم إضافة ثلاثة عوامل مهمة لهذه المناقشة:

١- العلاقة بين الرأى العام والصحافة.

٢- دور الصحف العربية بالخارج .

٣- تحيز رو ضد الصحافة العربية، وبخاصة عند عقد مقارنة بينها وبين الصحافة الأمريكية.

تقييم التبولوجى

فى تحليل رو للصحافة العربية قام بتصنيفها إلى أربعة أشكال وهى:

١- صحافة تعبوية فى سوريا وليبيا والسودان، حيث تستخدم الحكومات القومية الميديا كأداة تعبئة سياسية. و الشيء المشترك بين هذه الدول هو أنها جميعًا كانت تحت الاستعمار الأوروبى، وأنهم أوجدوا أنظمتهم الإعلامية فى حقبة زعزعة سياسية.

٢- الصحافة الموالية فى السعودية وعمان وفلسطين والبحرين وقطر والإمارات العربية المتحدة، وهنا نجد قدرًا من الحرية الممنوحة للصحافة، كما أن الملكية الخاصة مسموح بها، لكن السيطرة غير المباشرة على الصحافة لا تزال تُمارس من قبل الحكومات القومية، ويُظهر ملاك الصحافة أنفسهم ولاء كبيرًا للأنظمة السياسية الحاكمة الموجودة ولأيدولوجيتها.

٣- تتميز الصحافة المتنوعة فى الكويت والمغرب واليمن والعراق ولبنان بأنها أقل خضوعًا للسلطة و أكثر تنوعًا فى الآراء.

٤- نظم الصحافة الانتقالية فى الجزائر ومصر والأردن وتونس، والتى كتب عنها رو "ليس واضحًا فى أى طريق تسير أو أنهم بالفعل فى مرحلة انتقالية لشكل مختلف من النظام الذى يمكن له أن يستقر ويبقى وقتًا أطول" (٢٠٠٤: ١٣٤). وقد صنع رو مستوى مسطحًا لهذا النموذج (٢٠٠٤: ٢٥٣) كما هو مصور فى الجدول التالى:

نموذج رو للصحافة العربية (شكل ١.٣)

	تعبوية	موالية	متنوعة	انتقالية
الملكية	الحكومة	خاصة	خاصة	خليط
الموقف من النظام الحاكم	مدعم	مدعم	مناصر ومعادى	مناصر ومعادى
مناظرات	لا يوجد	لا يوجد	نشطة	نشطة
الدول	سوريا وليبيا والسودان	البحرين وعمان وفلسطين وقطر والسعودية والإمارات العربية	لبنان والمغرب والكويت واليمن والعراق	الجزائر ومصر والأردن وتونس

تتضمن المنظومة الأولى التى تختص بالصحافة التعبوية الدول التى تسعى حكوماتها إلى القضاء على كل أشكال المعارضة، وتفضل استغلال الميديا كجزء من خططها الثورية. المنظومة الثانية هى للصحافة الموالية وتشمل تلك الدول التى لا تسعى حكوماتها لتغيير الوضع الحالى بل ترتضى سلبية العامة من الشعب. فالصحافة على الرغم من تبعيتها للقطاع الخاص فهى تتجنب القضايا المثيرة للجدل أكثر من سعيها وراء تعبئة الرأى العام. المنظومة الثالثة، وهى الصحافة المتنوعة وهى صحافة القطاع الخاص التى يرعاها النظام الحاكم والتى لا تبغى إخماد كل صور المعارضة. وفى الحقيقة، يرى رو أن الصحافة المتنوعة توفر للقارئ "تنوعًا حقيقيًا"، وتمكنه من الحصول على القصة الكاملة لقضية ما فى مختلف الطبعات والتأويلات المتاحة فى الصحافة "يمكن تسميتها بالصحافة المتنوعة لأن أكثر خاصية تميزها هى أن الجرائد تختلف بشكل واضح عن بعضها البعض فى المضمون وفى التوجه السياسى الواضح، كما تختلف فى الأسلوب الذى تنتهجه، فالجرائد ذات ملكية خاصة وتعكس مختلف وجهات النظر" (٢٠٠٤: ٨٧). وأخيراً المنظومة الانتقالية وهى تتضمن النظم الصحفية التى لم يتضح بعد شكلها النهائى (روف ٢٠٠٤: ١٣٤).

لكن رو (٢٠٠٤: ٢٥٤) يعترف أن هذا التبولوجى (النموذج) شديد التعرج، وأن منظومة الصحافة العربية لا يمكن تقسيمها إلى أشكال مصنفة تصنيفًا دقيقًا، وقد تعرض هذا النموذج لانتقادات من قبل الباحثين العرب حيث يرون أنه يفتقر إلى أساس نظرى؛ إذ يشير الجمال (٢٠٠١: ١٥٠) إلى حقيقة أن منظومات الصحافة العربية، فيما عدا "لبنان"، فى جوهرها موالية وتعبوية فى آن واحد.

ويمكن القول إن الصحف القومية تسعى إلى تعبئة الرأى العام وبخاصة بين النخبة المتعلمة والمثقفة، لكن بالنسبة للصحافة الحزبية، كما فى مصر، فهى تسعى لإنجاز هذه المهمة مع الإبقاء على ولائهم للفصائل السياسية.

وبما أن الصحافة دائمًا وأبدًا ما ترتبط بالسياسة، بل وقد تكون صنيعة القوى السياسية (ماك فدن، ١٩٥٣: ١)، فإنه من المتوقع أن تحقق الصحافة المهمة التعبوية

لحد ما. إن اعتمادية الصحافة على الإعانات كى تستمر هو السبب وراء ولاء الصحفيين، وإن يكن مؤقتًا، لأيدلوجيات معينة (ماك فدن ١٩٥٣: دجانى، ١٩٩٢). يعى الصحفيون العرب أنفسهم مواطن ضعف تغطيتهم والسياسة المتوارثة التى يلتزمون بها، فعلى سبيل المثال، يبين بخيت (١٩٩٨) فى دراسة له للصحفيين المصريين أن الصحفيين القوميين يعترفون بأن صحفهم تنشر القليل عن الفضائح والمشكلات الاجتماعية، بينما الصحفيون فى الصحافة الحزبية يزعمون أنهم يستخفون فى تغطيتهم بالإنجازات الإيجابية لحكومتهم بالتركيز على إنجازات أحزابهم من ناحية وكشف الفضائح الخاصة بمسئولى الحكومة والوزراء من ناحية أخرى. هذا وكانت الصحافة الحزبية قد أعلنت أن أخبار الفضائح الخاصة بالمسئولين الحكوميين وأخبار مراسم الاستقبال والتوديع الدبلوماسية الخاصة بالقادة يجب أن تحتل مساحة أقل من التغطية فى المستقبل، وقد صرح صحفيو الصحافة القومية التصريح نفسه فيما يخص تغطيتهم حول الأنشطة الحكومية، وعليه نرى أن كلا الفريقين يبدى ولاء جذريًا لموليهما و بهذا يتحولان إلى أداتين تعبويتين ومواليتين.

هناك نقطة حساسة أخرى حول نموذج رو تخص التصنيف الثالث وهو "صحافة التنوع"، ويناقش (سينسج دابوس: ٢٠٠٠) فى دراسة له أن الانشقاق فى الصحافة اللبنانية (كعكة الإعلام) يعكس الانشقاقات والانقسامات السياسية والدينية فى لبنان، حيث يتم استغلال وسائل الإعلام كأداة تعبئة للفصائل السياسية أو الدينية التى تتبعها:

"..... وبناء على ذلك فالزعم بأن هناك توازنًا بين وسائل البث الإعلامية الخاصة والتعددية وحرية التعبير يعد فكرة خاطئة فى لبنان، وعلى الرغم من أن حرية التعبير والإعلام مكفولة للكل فى الدستور اللبنانى فإن الميديا المملوكة فقط للفرق الاقتصادية أو الطوائف الدينية القوية ذات النفوذ هى التى تحصل على تراخيص العمل ويُكفل لها حرية التعبير. أما عن حال المجموعات ذات الأفكار السياسية أو الاقتصادية وكذلك الطوائف الدينية الهامشية فلقد تم حرمانها من الحصول على رخصة للتعبير عن نفسها وبالتالى حرمت من الاشتراك فى الحوار العام" ص ١٤ .

وجدير بالذكر أن الحكومة اللبنانية تحتفظ بحقها فى حرمان بعض المؤسسات الإعلامية من الترخيص، مثل تلك المؤسسات التى تقع تحت إشراف حزب الله والفلانج أو الشيوعيين وقيادتهم (حافظ، ٢٠٠١: ٦).

ينتمى تبولوجى رو إلى النماذج الغربية المذكورة أعلاه التى تربط الصحافة بالسياسة والاستبداد والشيوعية ونماذج المسئولية الاجتماعية، ومع ذلك تعرضت هذه النماذج لانتقادات لعدم جدوى تطبيقها فى البلاد النامية، والتى من المفترض أنها فى مرحلة " البين - بين " وتنتهى بتحرير وسط الميديا الخاص بها. ويرى بحث سابق أن الميديا العربية تقدم خليطًا من الملامح المشتركة بين الاستبدادية والنماذج التنموية (نوسيك و ريناو ٢٠٠٢: ١٨٥).

علاوة على ذلك تتمتع الكويت بالفعل بتنوع صحفها التى تعكس مختلف التوجهات، لكن الجميع متفق على إبداء الدعم والمساندة للأسرة المالكة "بصرف النظر عن خلافاتهم" (كازان، ١٩٩٤: ١٤٦). ويشير حافظ فى (٢٠٠١: ٥) إلى أن الحكومة الكويتية ضيقت الخناق على الصحافة فى أعقاب حرب الخليج عام ١٩٩١، حتى تكونت لدى الصحفيين أنفسهم نزعة كبيرة نحو الرقابة الذاتية .

وفى عام ٢٠٠٣ قرر رئيس الوزراء الكويتى إصدار عقوبات ضد رئيس تحرير جريدة "الوطن" لانتقاده عضواً فى الأسرة المالكة فى لقاء عام . و كان المحرر قد هاجم فى عمود له فى الجريدة قرار الحكومة بفرض قانون جديد يمنح النائب العام الحق فى إصدار عقوبات ضد الصحفيين إذا تطلب الأمر "الشرق الأوسط ٩ يونيو ٢٠٠٣". تتمتع الصحافة الكويتية بقدر كبير جداً من الحرية، ولكن عندما تمس هذه الحرية الشئون القومية فإنها تمارس نوعًا من الرقابة الذاتية حتى تتطابق الآراء التى يتم التعبير عنها فى الإعلام مع تلك التى لدى الأسرة المالكة، وقد سمح ولى العهد لرؤساء التحرير بمرافقته خارج البلاد حتى يصيروا على علم بالعلاقات الكويتية الثنائية وبلقاءاته المختلفة لمناقشة القضايا العربية (الشرق الأوسط، ٢٥ يناير ٢٠٠١).

وعلى صعيد آخر فإن بعض الدول الأخرى - على سبيل المثال الإمارات العربية - كانت قد أجازت إنشاء قطاع الإعلام الخاص بها، فلقد قال وزير المعلومات والثقافة فى كلمة له أمام نادى الإعلام العربى "رفعت الإمارات العربية يديها عن أكبر مجموعة إعلام فى البلاد، وهى مجموعة إعلام الإمارات" التى تتمتع الآن بالاستقلالية والحرية لكتابة ما يحلو لهم، لكنهم لا يزالون يعتمدون على دعم الحكومة (البيان ٤ مايو ٢٠٠٣).

أضاف عبد الرحمن عدداً من النقاط الحساسة لتيبولوجى رو والتى يمكن أن يتم تلخيصها بصورة عامة فى أربع حجج رئيسية:

١- ينبع التبولوجى (نموذج رو) من النظريات الغربية للصحافة ويعوزه التقييم النقدى لمدى صحة تطبيقها على ميديا الأخبار العربية، بغض النظر عن بعض الإشكاليات؛ مثل كيف تعكس الصحافة العربية التقاليد الاجتماعية والثقافية لمجتمع عربى إسلامى؟ وكيف يتم تفسير تنميتها فى ضوء نظرية جديدة بعيداً عن تلك التى أوجدتها السياقات الغربية؟

٢- يعانى نموذج رو من قدر هائل من التبسيط والتعميم، ونرى هذا عندما يشير الكاتب إلى أن الصحافة العربية منذ ميلادها وهى تتعلق بالأنظمة الحاكمة القومية. هذه حقيقة فى حالات كثيرة فى العالم العربى لكن بعض الدول خرقت هذه القاعدة، مثلما حدث على سبيل المثال فى الجزائر التى تختلف جذورها عن جذور باقى الدول فى المنطقة، فلقد جاءت الصحافة فى الجزائر من خلال أربع حركات مختلفة:

(أ) الصحف الرسمية وتمثل السلطات الفرنسية .

(ب) صحافة المستوطنين وتمثل القاطنين الفرنسيين فى الجزائر.

(جـ) الصحافة الفرنسية الحرة والتى أسسها المثقفون الفرنسيون، الذين قاموا بتعيين عدد من الكتاب الجزائريين .

(د) الصحافة القومية التى تأسست على أيدى مسلمى الجزائر .

٣- لا يعكس نموذج رو السياقات الثقافية والاجتماعية المحيطة بالصحافة العربية، فعلى سبيل المثال يمكن تقسيم الدول العربية إلى أربع مجموعات:

(أ) دول المغرب العربى

(ب) دول وادى النيل

(جـ) دول المشرق

(د) منطقة الخليج

ونجد نموذج رو يضع دولة مثل المغرب مع الكويت ولبنان.

٤- لا يأخذ نظام نموذج رو فى اعتباره محتوى الصحافة بالتركيز فقط على متغير وحيد وهو العلاقة المتبادلة بين الصحافة والحكومة، كما أن رو متهم أيضًا بعدم الالتزام بطريقة منهجية محددة المعالم، وأيضًا بتجاهله للصحافة فى فلسطين .

وعلى الرغم من إضافة رو فيما بعد للصحافة الفلسطينية للتبولوجى (٢٠٠٤) فإنه صنفها "بالموالية"، رغم أنها قد تظهر ملامح لمنظومات صحفية أخرى؛ فقبل اتفاق أوسلو (١٩٩٣) مثلت الصحافة الفلسطينية مصالح سياسية متنوعة، وجاء الدعم الاقتصادى من أربعة مصادر الأردن ومنظمة التحرير الفلسطينية والحكومة الإسرائيلية والحزب الشيوعى الإسرائيلى (نوسيك وريناوى ٢٠٠٣: ١٨٦). كانت هناك صحيفة واحدة فقط متواجدة فى الأرض المحتلة فى الفترة ما بين ١٩٦٧ و١٩٩٣، لكن عدد الصحف قفز من مجرد صحيفة واحدة فى ١٩٦٨ إلى ٤٠ فى عام ١٩٩٠، وتميزت هذه الصحف بتنوع أيديولوجياتها ومضمونها، أما بعد اتفاقية أوسلو فقد انتقلت الصحافة الفلسطينية لأيدى السلطة الفلسطينية والتى كان دعمها المالى هو كل شىء نظرًا لغياب الاستثمار الخاص فى هذا القطاع، وقد اتخذ جزء من هذا الدعم صورة الإعلانات والإشعارات الرسمية والمناقصات، ومن ثم فإن الميديا انقسمت ما بين هؤلاء الذين يعتمدون جزئيًا أو كليًا على إعانات السلطة الفلسطينية، والمستقلين (نوسيك وريناوى ٢٠٠٣) .

نوسيك ورينااوى ٢٠٠٣: ١٨٦ - أوجزوا تحليلاتهم عن الصحافة الفلسطينية بالتصريح بالتالى:

"تشير مظاهر حرية الصحافة وآليات الرقابة فى ظل الاحتلال الإسرائيلى وحكم السلطة الفلسطينية إلى أن التشريع الرسمى تحت حكم الجيش الإسرائيلى يشابه ممارسات الأنظمة الحاكمة غير الديمقراطية، فى حين أن قوانين السلطة الفلسطينية ولوائحها تحمى حرية الصحافة رسميًا. من ناحية أخرى إذا نظرنا إلى كيفية تنفيذ القوانين واللوائح ذات الصلة نجد صورة مخالفة تمامًا؛ فالعلاقة الفعلية بين السلطة الفلسطينية والإعلام الفلسطينى هى صورة من صور الهيمنة الصارمة وقد تصل إلى حد العنف من خلال الرقابة المفروضة، والتى لا تخضع إلى أى نوع من الإشراف القضائى أو العام، وهكذا فإن السلطة الفلسطينية تؤول قانون الصحافة الغامض الخاص بها كى تفرض رقابة على محتوى الميديا من خلال صور قانونية ورسمية. وحيث إنه لا يوجد قانون حالى للسلطة الفلسطينية يُشرع وجود هيئة رقابة رسمية أو آلية ما للرقابة فى مرحلة ما قبل النشر، لهذا فإن الرقابة الفعلية تتم من خلال الرقابة الذاتية وبعد مرحلة النشر" (ص ١٩٩).

من هنا نرى أن ميديا الأخبار الفلسطينية هى نتاج سياقها السياسى؛ الاحتلال الإسرائيلى فى الضفة الغربية وغزة والقدس المحتلة منذ ١٩٦٧، واتفاق أوسلو والانتفاضة الثانية، ولهذا تعتبر ميديا الأخبار انعكاسا لهذا الوضع السياسى. ونظرًا لحساسية هذا الوضع فإن الصحفيين الفلسطينيين أنفسهم يمارسون شكلا من الرقابة الذاتية. فالضغط الذى تفرضه منظمة التحرير الفلسطينية على الصحافة تمارسه حتى فى صحافة المهجر (الخطيب، ٢٠٠٢). يُقال على الصحف اليومية الفلسطينية إنها مرآة لكتابات أخرى تأتى من وكالة الأخبار الفلسطينية WAFA باعتبارها المصدر الرئيسى، بدلا من الارتكاز على تحقيقاتهم الخاصة (جمال، ٢٠٠١).

من ثم فإن نموذج رو غير ذى جدوى فى تصنيف الميديا العربية فيما يخص حرية التعبير (حافظ ٢٠٠١: ٦).

من زاوية أخرى فإن النقلة الكبيرة فى الأيديولوجيات السياسية فى العديد من الدول العربية مثل مصر ما بين فترة حكم السادات والآن فترة حكم مبارك، وكذلك فى المغرب والأردن، أى فى الأنظمة التوارثية، هذه النقلة تسمح بالمزيد من التنوع أكثر مما فى الأنظمة التكنوقراطية مثل الحكومة السورية، لذلك من الصعب تعميم القيود المفروضة على مؤسسات الميديا المختلفة، فعلى سبيل المثال فى إيران وحيث تخضع الصحف لقيود ثقيلة تتمتع المجلات بتنوع أكثر (حافظ، ٢٠٠١: ٦).

إضافة إلى ذلك دعت التنمية فى ساحة الميديا العربية لوجود نموذج جديد (تيبولوجى) فى العديد من الدول عندما شهدت المؤسسات الحكومية نقلة من الأجيال الأكبر للأجيال الأصغر سناً (قطر والأردن وسوريا)، أو عندما تم الإطاحة بالنظام الحاكم كما فى العراق.

فى الإمارة الخليجية الصغيرة قطر نجد أن قناة الجزيرة استطاعت أن تجذب انتباه ميديا العالم لما تقدمه من تقارير إخبارية مثيرة ومناقشات حادة، مما تسبب فى حظر تقارير مراسلى هذه القناة فى بعض البلدان مثل البحرين والأردن والسعودية، فى اعتراض على البرامج الجدلية والمناقشات الاستفزازية التى تقدمها هذه القناة حول تلك البلدان فيما يخص شئونها الداخلية والخارجية. ومع هذا فإن الشئون الداخلية لدولة قطر لا تحظى بالمزيد من الاهتمام من قناة الجزيرة بالقدر الذى تحظى به جيرانها (النواوى وإسكندر ٢٠٠٢)، بما يشير إلى أن الحرية الظاهرية لا تمتد إلى مؤسسات الميديا المحلية، على الرغم مما قام به أمير قطر حمد بن خليفة آل ثان من خطوات لإظهار حداثة حكومته للعالم فى أعقاب الانقلاب الأبيض الذى قام به عام ١٩٩٥ كان إنشاء قناة الجزيرة بمنح حكومية مبادرة كبيرة، ولا يزال الصحفيون المحليون يمارسون قدراً كبيراً من الرقابة لتجنب انتقاد الأمير وسياساته، كما أن الحكومة لا تزال متحكمة فى عملية إصدار تراخيص العمل لمؤسسات الميديا، وهى تفرض عقوبات لأى تعديات على القوانين القومية والأخلاقية المفروضة على ميديا الأخبار، كما فى حالة انتقاد الأمير أو طباعة الأخبار التى قد "تضر بمصالح الدولة

العليا". بالإضافة لهذا فإن الحكومة هى التى تحكم توزيع المطبوعات الأجنبية فى قطر، كما تحكم أيضاً حرية المواطن القطرى فى الدخول على المواقع الإلكترونية(١).

فى أعقاب حرب الخليج الأخيرة لم تختبر العراق تغيير الحكومة فقط بل أيضاً تغيير ساحة الميديا: فبعد ثلاثين عاماً من العمل على وتيرة واحدة وهى التصفيق والتهليل لنظام صدام حسين اختبرت الميديا العراقية تنوعاً كبيراً وانفتاحاً لم تشهده من قبل، لكن الصحفيين العراقيين لا يزالون يمارسون شكلا من الرقابة الذاتية، ويرجع هذا بشكل جزئى إلى أن الوضع الأمنى الحالى للعراق لا يسمح بالمزيد من الإثارة والاستفزاز بين الفصائل العرقية والدينية المختلفة، إضافة إلى أن قوى التحالف الأمريكية لم تمنح الحرية الكاملة للميديا العراقية(٢). جدير بالذكر أن عدد الصحف التى خرجت للنور منذ نهاية الحرب حتى الآن قد وصل ٢٠٠ مطبوعة باللغة العربية، ست منهم بلهجة أهل بغداد (سولواى: ٢٠٠٣).

يمكن تجسيد مدى عطش العراقيين للأخبار فى عدد أجهزة استقبال القنوات الفضائية ومقاهى الإنترنت (يوجد فى بغداد وحدها ٢٠ مقهى)، التى توفر قدراً غير محدود من المعلومات، وكما ذكر أحد حراس المحال التجارية العراقيين "العراقيون يفضلون إنفاقاً أقل على الطعام فى مقابل الحصول على طبق استقبال للقنوات الفضائية.. حتى صناع الأحذية يشترون أطباق الستاليت(٣)"، وأولئك الذين يتمتعون بالقدرة على مشاهدة القنوات الفضائية يعملون كمصدر معلومات للآخرين الذين لا يتمتعون بالإمكانية نفسها (لينواند ٢٠٠٣). وقد ساهمت الولايات المتحدة فى ثورة المعلومات هذه بتمويل عدد من مؤسسات الميديا لاطلاع المشاهد فى الأساس على أعمال قوى التحالف. من بين هذه الصحف اليومية "الصباح"، وشبكة الإعلام العراقى IMN،

---

(١) انظر www.cpj.org/attacks02/mideast02/qatar.html

(٢) انظر تقرير "صحفيون بلا حدود" حول العراق: الميديا العراقية بعد مرور ثلاثة شهور على الحرب. حرية جديدة لكنها هشة . www.rsf.org

(٣) تقرير "صحفيون بلا حدود "حول العراق.

وقد عينت قوى التحالف بقيادة أمريكا مفوضًا للإشراف على الميديا (لينواند ٢٠٠٣). كان لدى العراقيين مشاعر مختلفة تجاه شبكة الميديا العراقية والتى تميزت صناعة الأخبار فيها بالافتقار إلى الخبرة والحرفية، واستخدام طاقم صحفى غير مدرب (سولواى، ٢٠٠٣). من جانب آخر حظى العراقيون بفرصة مشاهدة القنوات الفضائية العربية[١] جنبًا إلى جنب مع دول الجوار، إضافة إلى مشاهدة القنوات الأجنبية مثل السى إن إن وبى بى سى.

وقد عبر تنوع المؤسسات الإعلامية عن تنوع الميول الأيدلوجية أيضًا، وعمل الجميع معًا من أجل مستهلك الميديا العراقى الذى قد يتساءل عن مدى مصداقية الميديا ودقتها[٢]. أكثر الصحف مصداقية بحسب ما جاء بتقرير "صحفيون بلا حدود" هى صحيفة "الزمان"[٣] التى تأسست فى لندن عام ١٩٩٦ على أيدى أحد رجال ميديا الأخبار الهاربين من حكم صدام .تبيع هذه الصحيفة حوالى ٣٠٠٠٠ نسخة فى بغداد، وتتباهى بكونها "صحيفة تعددية" (لينواند ٢٠٠٣، صحفيون بلا حدود، يوليو ٢٠٠٣).

يبقى رو على قوله بأن "إصرار سلطات الاحتلال على تأسيس نظام سياسى ديمقراطى وصحافة حرة كان واضحًا منذ البداية، وأن القادة العراقيين تجاوبوا مع

---

(١) أظهر الاقتراع الذى تم بين العراقيين فى الفترة ما بين ٢٨ أغسطس و٤ سبتمبر ٢٠٠٣ أنهم يفضلون قناة العربية والجزيرة وبعض القنوات الفضائية الأخرى. حصدت قناة العربية ٩٤٪ من إجمالى الأصوات لموضوعيتها فى تغطية الحرب، بينما حصلت الجزيرة على ٤٠٪ فقط وحصلت أبوظبى على ٢٩٪، فى حين حصلت شبكة الإعلام العراقى المدعومة من قبل الولايات المتحدة الأمريكية IMN على ٢٤٪، ويأتى فى ذيل القائمة البى بى سى ٦٪ والسى إن إن ٢٪ . مع ذلك وضع العراقيون حسب هذا الاقتراع قناة العربية والجزيرة بجانب العديد من القنوات العربية الأخرى كقنوات تنحاز لأحد الجانبين الأمريكان ونظام صدام حسين. ويذكر مصدر فى جريدة الشرق الأوسط، ١٣ نوفمبر ٢٠٠٣ أن المشاهد العراقى يفضل العربية أكثر من الجزيرة.

(٢) لينواند (٢٠٠٣) يستشهد بعدد من المواطنين العراقيين الذين عبروا عن ريبتهم فيما يتعلق بما تقدمه الميديا من تقارير، حيث قال أحدهم "الغالبية من الصحافة المحلية تكذب، كما كانت الصحف أيام صدام حسين تكذب أيضًا، فنحن يتم استخدامنا فى كل الأحوال"

(٣) صحفيون بلا حدود: الميديا العراقية بعد مرور ثلاثة شهور على الحرب. حرية جديدة لكنها هشة www.rsf.org.

هذه الرغبات، فالمجتمع العراقى التعددى بتقسيماته العرقية والدينية قد يصنع صحافة تنقل التنوع نفسه بصورة طبيعية مادامت الحكومة المركزية تسمح بذلك".

وكان إحكام سلطات الاحتلال لقبضتها على البلاد مؤقتًا بدءًا من سنة ٢٠٠٤، لهذا فإن الصحافة المطبوعة التى تعكس الوضع الكائن تناسبت تمامًا مع فئة الصحافة المتنوعة" (٢٠٠١، ١١٧)، ومع ذلك كان ذلك التنوع الذى تعيشه الميديا العراقية فى هذه اللحظة مهددًا بمخالفة القانون؛ فقد تردد الصحفيون فى الكتابة عن بعض القضايا خشية أن تتسبب كتاباتهم فى إغضاب الفرق السياسية. وعلى الرغم من تلاشى سيطرة صدام بانهيار نظامه الحاكم فإن الإدارة الأمريكية فرضت عددًا من القيود والموانع على أنشطة الميديا، كما حدث فى أمر الحاكم المدنى لقوات التحالف بول بريمر رقم ٧ بحظر كتابة تحقيقات من شأنها إثارة كراهية عرقية أو دينية أو التسبب فى أعمال عنف ضد القوات الأمريكية. وكما جاء على لسان أحد الصحفيين، الذى رفض ذكر اسمه، فإنه يرى تشابهًا بين سياسة بول بريمر وممارسات حكم صدام حسين الدكتاتورى عندما يصدر الحاكم الأمريكى مراسيم تعسفية.

ويشير ظهور هذا العدد الهائل من الصحف لعدم دقة القواعد المانحة لتراخيص مؤسسات إعلامية جديدة وذلك فى ظل الحكومة العراقية الانتقالية[١].

وبشكل عام يمكن أن نقول إن تصنيف رو للإعلام كان مبهمًا فى تعريفاته، حيث إنه لم يضع خطًا فاصلاً بين الصحافة التعبوية من ناحية والصحافة الموالية من ناحية أخرى. وكما رأينا فيما عرضناه آنفا فإن العديد من الدول ظهرت بها ملامح لصحافة التنوع، علاوة على ذلك فقد بدا أن رو يتجاهل دور الصحفيين، ولم يكترث بالثقافة الصحفية وهى الثقافة التى تختلف من بلد لآخر فى المنطقة العربية؛ فعلى سبيل المثال يرى صحفيو المملكة العربية السعودية أن دورهم منحصر فى تعزيز القيم الإسلامية، وهم على قناعة بفكرة توظيف كامل مواهبهم فى تحقيق الأهداف التنموية للبلد (تاش، ١٩٨٣).

---

(١) انظر تقرير" صحفيون بلا حدود "حول العراق.

بالإضافة لهذا، نجد أن التقاليد الدينية والأعراف وأيضًا الخلفية الاجتماعية تلعب دورًا مهمًا فى تشكيل قيم الصحفيين، مثل صحفيى السعودية والجزائر (تاش ١٩٨٣، كيرات ١٩٨٧)؛ فالصحفيون الجزائريون يرون أن مهمتهم ذات وجهين، أولاً تثقيف قارئيهم وفى الوقت نفسه العمل على تحقيق أهداف الثورة الاشتراكية (كيرات، ١٩٨٧). من زاوية أخرى، يتفق الصحفيون المصريون على أن مهمتهم هى نقل المعلومات للقارئ بدلاً من مجرد التعليق على الأحداث أو تفسيرها، ومرة أخرى يتفق الصحفيون المصريون فى الصحافة القومية على أنه تقع على عاتقهم مسئولية اجتماعية تجاه وطنهم، وأن يداً تدفعهم إلى الإبقاء على الأوضاع الراهنة، بينما اليد الأخرى تضيق الخناق على دورهم الرقابى فيما يتعلق بالعلاقة مع مسئولى الحكومة (بخيت ١٩٩٨: ٢٥٧) .

هذا ويرجع التدهور فى سمعة الصحافة فى مصر والجزائر إلى وجود الرقابة وأيضًا للوضع الاقتصادى المتدنى للصحفيين. وبعكس ذلك نجد أن الصحفيين فى السعودية يحصلون على تعويض مادى كاف، وأنهم يغالون فى إبراز أهمية دورهم فى الصحافة وفى تقدير عملهم بين قرائهم. لهذا فمن الحتمى استعراض المعايير المهنية فى البلدان العربية والتى تأثرت بتوجهات الصحفيين والمحررين تجاه مضمون الأخبار. من هذه النقطة نجد أن الصحفيين يرون دورهم كمعلمين وتعبويين ومخبرين محترفين، أو قد يكونون خليطًا من كل ما سبق، وبالتالى فمن الضرورى عرض الكيفية التى يساهم بها الهيكل المؤسسى فى غرفة الأخبار فى إرساء المعايير الصحفية وممارستها؛ بمعنى أنه قد ترغب المؤسسة السياسية فى استخدام الصحافة كأداة تعبوية لكن الحد الذى يتحقق به هذا الدور يخضع للثقافة الصحفية وممارستها فى البلد. وأخيرًا من الضرورى أيضًا تحليل كيف يرى الصحفيون دورهم على ضوء توجههم السياسى والإرث التاريخى وفكرة الدور المنوط ببلدهم . هناك عامل آخر وهو دور "الصحافة الصفراء" (عبد الرحمن ٢٠٠٢) التى انتشرت فى العديد من البلدان العربية وأوجدت لنفسها دورًا بعيدًا عن دور الصحافة القومية، مثل التحقيقات الصحفية المثيرة، وسيتم مناقشة دور الصحافة الصفراء فى الفصل الرابع من هذا الكتاب.

وفى النهاية، اعتمد رو فى نظريته فى الأرجح على الملكية، ومن ثم فإن الملكية العامة للصحافة من شأنها فرض الدور التعبوى، فى حين أن الملكية الخاصة تؤكد على الدور الموالى، أما الملكية المختلطة فسوف تعزز التنوع فى المضمون. وبعد سماح الحكومات فى مصر وسوريا والأردن بتملك القطاع الخاص لبعض الصحف فمن الممكن الزعم أن الأدوار المذكورة أعلاه يمكن أن تُمارس فى البلد نفسه من مختلف الصحف العامة والخاصة، وعلى هذا يمكن أن نقول إن الصحافة القومية المصرية على سبيل المثال قد تقوم بدور الصحافة التعبوية، فى حين أن ملامح كل هذه الأدوار يمكن أن تبديها الصحافة الحزبية، وأن الميديا المستقلة يمكن تصنيفها بالمتنوعة.

بجانب فرضية أن الصحافة فى بعض البلدان تلعب دور التعبئة أو الموالاة، قد يكون من الضرورى معرفة توجه الشعب تجاه المعلومة التى يحصل عليها، وبخاصة عندما تتوفر لديهم إمكانية الحصول على المعلومة من وسيلة إعلامية أجنبية، وما إذا كان تأثير الصحافة على الرأى العام قد يشوبه بعض المغالاة، وبخاصة فى حالة الوظيفة التعبوية حيث لا يوجد حتى الآن ما يبرهن على هذا التأثير. علاوة على هذا، فمن غير الواضح تمامًا لماذا قد تحتاج بعض الحكومات العربية للإبقاء على نظم الصحافة الاستبدادية إذا كان المشاهد بالفعل على دراية كافية بمجريات الأمور، وبمقدوره قراءة ما بين السطور.

يؤكد رو كذلك أن أكثر فئات الشعب علمًا وثقافة ومعهم عدد كبير من الأفراد لا يقبلون الأخبار القادمة إليهم عن طريق وسيلة أخبار حكومية عامة حسب ما يبدو منها على السطح، لكن دائما ما يفترضون عدم موضوعيتها أو مصداقيتها الكاملة، ولهذا يقبل القارئ على قراءة ما بين السطور باحثًا عن بعض الأفكار المؤثرة التى تم إغفالها أو محوها أو ربما توجد بشكل ضمنى داخل الأخبار"(٢٠٠٤: ١١)، وسوف نقوم فى القسم الثانى بمناقشة تفصيلية للعلاقة بين الصحافة والرأى العام فى العالم العربى.

حيث إن التركيز الأساسى لميديا الأخبار هو العلاقات الدولية وقضايا السياسة الخارجية، فمن المتوقع أن تأثيرها على الرأى العام سيكون قاصراً على هذه القضايا، فعلى سبيل المثال أثناء الحروب نرى أن ميديا الأخبار تلعب دوراً مهمًا فى تعزيز "الإحساس بالنصر"، كما حدث فى الحرب العراقية الإيرانية، حيث تم استخدام الصحافة فى كلا البلدين كأداة استراتيجية للإعلان عن مستجدات الأمور وإعلان النصر، فى حين تقلل من شأن العدو وقدراته بدون الاضطرار للقيام بواجبها الطبيعى فى إخبار العامة بتطورات الوضع (كوبيل ١٩٨٩: ١)

لكن هذا لا يعنى بالضرورة أن ميديا الأخبار تفرض توجهًا معينًا على العامة، بل يمكننا القول فى الواقع إنها تشبع رغباتهم تجاه أمر معين، كما فعلت ميديا الأخبار الأمريكية التى تروج للحس الوطنى خلال حرب العراق وربحت النصيب الأكبر من المشاهدة. وكما ذكر محلل أمريكى "إن تصوير أحداث الحرب من زاوية البطل الوطنى كان يجذب المزيد من المشاهدين أكثر من أسلوب استعراض الحقائق فحسب" (شاركى: ٢٠٠٣: ١٨). وعندما تأمل بعض الصحفيين السعوديين تغطيتهم الخاصة لحرب العراق ومدى موضوعيتهم وجدوا أنهم كانوا محددين بتوجه الرأى العام أكثر من قدرتهم على التأثير على هذا الرأى العام، فعلى سبيل المثال، نرى أتباع بعض الصحف اليومية السعودية والقنوات الفضائية اتبعوا خطًا "موضوعيًا" فى الأيام الأولى للحرب، لكنهم سرعان ما تخلوا عن هذا الخط كى يجذبوا عدداً أكبر من المشاهدين (الشرق الأوسط، ١٨ أبريل ٢٠٠٣).

أضف لهذا فإن وظيفة الأجندة الموضوعة لميديا الأخبار الأمريكية تبدو وكأنها تقتصر فقط على قضايا السياسة الغربية والتى،على سبيل المثال، تميز بين الولايات المتحدة وهولندا حيث نجد أن للصحافة الإخبارية تأثيراً طفيفًا، وربما يشوبه شىء من العشوائية، على اهتمامات العامة تجاه الشئون الخارجية (إسكودسن ٢٠٠٣: ١٦٠). أما بالنسبة للشئون الداخلية فنجد أن بعض استطلاعات الرأى لعينات من عامة

الشعب الأمريكى تظهر أن المشاهد الأمريكى غير راض عن الأخبار وهى (بحسب جانجز، ٢٠٠٢: ٣٣) مشكلة عامة تتعلق بعدم قناعتهم بمدى دقة التقارير الإخبارية والتغطيات الخاصة التى تتجاهل مشكلاتهم لصالح مصالح الأثرياء. هذه واحدة من ملامح التشابه بين ميديا الأخبار العربية والأمريكية. أظهر أيضًا أحد الأبحاث المسحية السعودية على العاملين بالملكة أن الميديا السعودية كان لها تأثيرها وفعاليتها فى طرح الأجندة الدولية بين المواطنين السعوديين مقدمة لهم أفكارًا حول "ماذا يفكرون" الهاقيل و ملكوت ١٩٩٥: ٣٤)، لكنهم عندما تطرقوا لأجندة الشئون الداخلية كان هناك تناقض وتعارض هائل بين أجندة الميديا وأجندة الشعب، فأخبار الميديا تتبع خطًا "رسميًا" متجنبة إعداد تقارير حول الموضوعات المثيرة للجدل، مثل تكلفة المعيشة أو المشكلات الاجتماعية والدينية، بغض النظر عن كون هذه الموضوعات هى القضايا التى تحتل القمة فى قائمة أولويات المتلقى فيما يخص الأجندة الشخصية (الهاكيل وملكوت ١٩٩٥: ٣٢)[1].

لا يُعد الانغماس فى قضايا السياسة الغربية شيئًا له أصوله فى تاريخ تقارير الأخبار فى المنطقة العربية فحسب، بل أيضًا فى توجهات المسئولين تجاه ميديا الأخبار التى تعتبر أداة من الدرجة الأولى فى يد السياسة الخارجية، فعلى سبيل المثال، انتقد وزير المعلومات المصرى ميديا الأخبار العربية لتقصيرها فى العمل على استراتيجيات التضامن مع القنوات والصحف الأخرى أو وكالات الأنباء الدولية التى طرحت للبيع، بدلا من السماح للميديا "الصهيونية" بالتحكم فى مؤسسات ميديا الأخبار الغربية بما يسمح بترويج أيدولوجياتهم (البيان ٢٥ اكتوبر ٢٠٠٢)، فلقد دعت مقالة افتتاحية فى صحيفة "الشرق الأوسط" المستثمرين العرب لشراء أسهم فى وكالة أنباء السى إن إن التى انخفضت أسهمها على نحو مستمر فى أعقاب هجمات الحادى

(١) اختار "الهاقيل ومليكوت " ١٩٩٥أن يقتصر بحثهما على العاملين بالدولة لما يتميز الدخول لهذه الفئة بالسهولة، حيث إن توصيل الرسائل للمنازل لا يوجد فى السعودية، وبالتالى فأفضل مكان كى يصلا للمتلقين هو فى مقر عملهما.

عشر من سبتمبر، وبالتالى يمكن لها ضمان وجود أسهم فى قوة إعلامية تبدو وكأنها تفوق الأسلحة النووية (أبو خضرة، ٢٠٠٣).

وكما يقال فإن للرأى العام نفوذه على الصحافة الحزبية فى مصر بدلا من حدوث العكس، لكن الصحافة الحزبية العربية تفتقر لعنصر مهم وهو نجاحها كوسيلة إعلامية بديلة أى كصحفيين محترفين. فمعظم كتابات الصحفيين للصحافة الحزبية هى صدى لكتابات قادة الحزب وليس الصحفيين المهنيين، فالأيدولوجيات المنعكسة فى كتاباتهم تنتمى للشخصيات القائدة للحزب وبالتى لا تعكس تنوع وجهات النظر التى تظهر بين الأعضاء العاديين، ومن ثم فإن الصحافة الحزبية لا تعمل عمل المنبر الذى يتم عليه تبادل وجهات النظر، بل كوسيلة دعائية فى أيدى القادة الذين يركزون على الرائج من القضايا على الساحة الإعلامية وفق أهوائهم[1].

توصلت أول دراسة عربية تبحث فى دور الأجندة الخاصة بالميديا (حمادة، ١٩٩٣) إلى التأثير الطفيف للميديا على الرأى العام، ومع ذلك نجد أن الصحافة المطبوعة قد أعطيت دورًا يفوق بكثير الميديا الإلكترونية، وهذا ربما لأن الميديا الإلكترونية قد عُهد لها بمهام أخرى مثل التسلية والترفيه، والتى اختصرت حدود الأجندة الموضوعة لها ويشير (حمادة ١٩٩٣: ٢٩٦) للأسباب العديدة لهذا، ومن بينها غياب المعلومات المتوفرة للعامة للمشاركة سياسيًا وعجزها عن ترجمة استيائها فى صورة فعل سياسى، و بالإضافة لهذا فاقتراع الرأى لم يتم تطبيقه كأداة ناجحة لقياس الرأى العام فى القضايا السياسية والاجتماعية، ويرجع هذا إلى القيود المحيطة بهذا النوع من البحث من ناحية، وإلى تحيزات الباحثين أنفسهم من ناحية أخرى.

علاوة على ذلك كان لهذا العدد الهائل من المطبوعات باللغة العربية المتواجدة فى العواصم الغربية قراؤها داخل المنطقة العربية، وكانت بعض هذه الصحف ممولة من الأنظمة العربية، على سبيل المثال ليبيا، وصحف أخرى شبه مستقلة.

---

(١) وفيق الدورى "طبيعة الصحافة الحزبية وتطورها" تحميل من موقع البحث العربى حول الاتصال الجماهيرى http.:t1t.net/89s.htm

تزعم القليل من الصحف مثل جريدة الشرق الأوسط والحياة بأن لهما دوراً عربياً إقليمياً. لا تُعد صحافة المهجر ظاهرة جديدة ترجع فقط لربع قرن من الزمن كما يؤكد رو (٢٠٠٤: ١٦٧)، فجذورها فى الحقيقة ترجع لنهاية القرن التاسع عشر، ولم يضع تصنيف رو فى اعتباره بشكل مباشر الدور الذى يلعبه هذا الشكل من الصحافة فى الرأى العام، فهو يوفر تنويعًا فى الآراء أو ببساطة يحقق الدور التعبوى أو الموالى لأنظمة حاكمة معينة، يتناول القسم التالى قضية صحافة المهجر .

الصحف العربية بالخارج

شهدت العقود الثلاثة الأخيرة ظاهرة الصحف العربية الإقليمية التى يتم نشرها خارج المنطقة العربية مثل لندن وباريس، ولا تُعد هذه الظاهرة جديدة فلقد بدأت فى القرن التاسع عشر عندما ظهر عدد من الصحف العربية خارج المنطقة (أبو زيد، ١٩٩٣) على أيدى بعض المهجرين الهاربين من الأوضاع السياسية والاقتصادية فى موطنهم. تضمنت الموجة الثانية بعض الصحف فى منتصف السبعينيات من القرن العشرين. وفى مقارنة عقدها (أبو زيد ١٩٩٣:٤٥٤) بين الموجة الأولى والثانية حدد أوجه التشابه بينهما، مثل حقيقة أن موجة المطبوعات الأولى ظهرت إبان فترة استعمار المنطقة وأنها كانت مستخدمة من قبل القوى الاستعمارية فى محاولة لكسب الرأى العام لصالحهم. من بين هذه المطبوعات "مرآة الأحوال" الصادرة فى لندن كى تخدم مصلحة الإمبراطورية البريطانية، والصحيفة الفرنسية الموالية برجيه بارى "Berjis Baris".

وعلى الرغم من أن الموجة الثانية من الصحف كانت فى أعقاب استقلال الدول العربية فإنها جاءت لتخدم الهدف السياسى نفسه فى أيدى الأنظمة الحاكمة العربية، الأنظمة التى استخدمتهم أثناء التناحرات الأيدلوجية والسياسية الخاصة بها. لكن كان هناك عدة اختلافات يجب ذكرها، ففى حين أن الموجة الأولى كانت مطبوعات من مصر ولبنان وسوريا، نجد أن الموجة الثانية تتألف من مطبوعات تمثل دولا أخرى فى المنطقة، وجاءت المطبوعات الإخبارية الأولى بواسطة أولئك الذين فروا لمناطق أخرى هاربين من

الصراعات العرقية والدينية التى سادت بلادهم، ولكنهم بقوا داخل الإقليم العربى، فقد هاجر مثلا الصحفيون اللبنانيون والسوريون إلى مصر التى كانت تحت الاحتلال البريطانى فى القرن التاسع عشر، أما الموجة الثانية فقد تميزت بالهجرة خارج المنطقة العربية . وكانت مطبوعات الموجة الأولى أولا وأخيراً سياسية الطبع، حيث كانت تخدم الأغراض السياسية والأيدلوجية لمؤسسيها ومموليها، فى حين أن الموجة الثانية كانت تتألف من مطبوعات متخصصة مثل مجلات المرأة والمجلات الثقافية والرياضية (أبو زيد ١٩٩٣: ٤٥٤)

يناقش الجمال مجادلا (٢٠٠١: ١٢٨) أنه لا توجد جريدة واحدة يمكن أن تطلق على نفسها "جريدة العرب"، كما يحاول تدعيم رأيه فى مكان آخر بقوله إن هناك عدداً كبيراً من الاختلافات بين البلدان العربية، ومن ثم فقد يكون من الأصوب وصف جريدة ما بحسب الأيدلوجيات والاهتمامات القومية التى تمثلها. وبالمثل، فإن تصنيف كل الصحف الصادرة بالعربية من خارج المنطقة العربية تحت مسمى صحف المهجر "émigré press" هو فكرة خاطئة (الجمال ٢٠٠١: ١٣٤، وأبو زيد ١٩٩٣: ٤٤٨).

هذا ومن الممكن تقسيم الصحف العربية الصادرة من العواصم الأوروبية إلى ثلاثة أنواع:

١- صحف ظهرت بواسطة عرب ممن هاجروا لمناطق أخرى بغرض توطيد علاقاتهم مع وطنهم الأم، مثل الصحف التى لا تتقيد بأيدلوجيات سياسية أو تخدم المصالح القومية، وهى فى العادة مطبوعات متخصصة تخدم أغراضاً دينية أو ثقافية أو اجتماعية، والمثال على ذلك المطبوعات التى ظهرت للنور على أيدى اليمنيين المقيمين فى إندونسيا وسنغافورة، أو تلك التى يصدرها اللبنانيون فى أمريكا اللاتينية.

٢- الصحف والمطبوعات التى أُنشئت بواسطة مؤسسات الميديا القومية فى الخارج كى تعمل عمل الذراع الممتد خارج البلاد من أجل الدعاية القومية، وبعض هذه المطبوعات تحرك لخارج المنطقة العربية لأسباب تقنية أو تسويقية مثل "جريدة الشرق الأوسط" على سبيل المثال.

٣- الصحف التى انتقلت لخارج المنطقة نتيجة لتدهور الوضع الأمنى فى وطنها الأصلى، وهو النوع الوحيد الذى يمكن وصفه بـ"صحافة المهجر"، ومن بين هذه المطبوعات تلك التى تعود للبنانيين الذين اضطروا للهجرة إلى لندن وباريس وقبرص وأماكن أخرى فارين من الحرب الأهلية التى وقعت فى لبنان فى الفترة (١٩٧٥-١٩٩٠).

وفى تحليل شامل للصحف العربية التى تصدر خارج المنطقة يرفض أبو زيد (١٩٩٣: ٤٤٨) تصنيفها بالمطبوعات "الدولية"، حيث إن هذا التعريف لا يتماشى مع تعريف المطبوعات الدولية التى يجب أن:

١) تُوزع دوليًا

٢) تؤثر تأثيراً كبيراً داخل المنطقة وخارجها

٣) تتسم اللغة المستخدمة فى النشر بأن تكون لغة يشترك فيها عدد كبير من القراء داخل الحدود القومية للبلد وخارجها، أو أن يكون هناك بديل وهو وجود إصدارات بعدة لغات.

وقد مكن العامل الثالث "عامل اللغة المستخدمة" المطبوعات الناطقة بالإنجليزية من تصنيفها بـ" الدولية " نظراً لهيمنة اللغة الإنجليزية باعتبارها لغة سائدة، أما اللغة العربية الحديثة فعلى الرغم من كونها اللغة الرسمية لـ ١٦٠ مليون عربى فى المنطقة[١٠]، فإنه لا يمكن اعتبارها لغة دولية، ولهذا فإن المطبوعات الناطقة بالعربية تستهدف فقط المجتمع الذى يتحدث العربية داخل المنطقة العربية وخارجها، و هى لهذا السبب تجد صعوبة فى تحقيق ذلك التأثير العظيم الذى أحدثته المطبوعات التى تُنشر باللغة الإنجليزية. كما يناقش أبو زيد (١٩٩٣: ٤٥٣) أنه لا يستقيم أن تطلق تلك الصحف على نفسها "إصدارات دولية"، مثل "الأهرام الدولى" فى مصر و"القبس الدولية" فى الكويت، بل يجب بالأحرى أن تسمى نفسها "إصدارات للعرب"، حيث إن المضمون لا يختلف عن تلك "الإصدارات الإقليمية".

---

(١) بحسب سليمان (٢٠٠٤) فإن اللغة العربية هى اللغة الشائعة لمئة وأربعين مليون شخص.

ويوجز أبو زيد (١٩٩٣: ٤٧٠) دراسته حول مثل هذه المطبوعات بوضع فرضية تنص على أنه "كلما انخفض سقف الحرية الإعلامية زادت احتمالية الفرار خارج المكان"، هذا بينما يختلف باحثون آخرون معه، حيث لا يرون فى الصحافة المبعثرة هنا وهناك ما يشير إلى أنها ذات حرية أكبر لأن "يد الدولة طويلة" (كوبيل ١٩٨٩: ١)

مع ذلك فإن الأسباب التى دفعت هذه الصحف للهروب للخارج مثل الافتقار للتكنولوجيا وإمكانية الحصول على المعلومات والخضوع للرقابة قد انتهت تماماً، حيث بدأت الآن الكثير من الصحف العربية الإقليمية فى العودة للعالم العربى، فعلى الرغم من أن الرقابة لا تزال تُمارس بطريقة أو بأخرى فى البلدان العربية فإن التقدم التكنولوجى وثورة المعلومات فى المنطقة توفر وتمد الصحف بالأساس المطلوب كى تعمل داخل العالم العربى (غريب، ٢٠٠٠).

لهذا فقد يصح أن نفترض أن صحافة المهجر تفى بالعديد من الأغراض مثل التعبئة وخدمة أنظمة حاكمة معينة والتنوع فى العرض وتقديم آراء تعددية وتوفير المعلومات والدعاية من خلال المطبوعات المتخصصة، كما قد ترعى دولة ما مؤسسات إعلامية متنوعة حيث تعمل كل مؤسسة منها على خدمة غرض معين كما يحدث فى الصحافة التى ترعاها السعودية

وكى نوجز ما سبق، فإن تصنيف رو للصحافة العربية على الرغم من كونه يمثل واحدة من الدراسات القليلة الشاملة والمتاحة فإنه يُظهر بعض نقاط الضعف التى تحول دون تطبيق مثل هذا النموذج كما يبدو فى ظاهره، وبالنسبة لى فإن مواطن الضعف الثلاثة الرئيسية فى التبولوجى (نموذج رو) هى:

١) الواقع الذى يتجاهل دور الصحفيين وعاداتهم واجتماعياتهم فى ضوء التطورات الجديدة على ساحة الميديا العربية .

٢) لا يضع فى اعتباره دور الصحافة خارج الحدود أو صحافة المهجر وكيف تتوافق مع النموذج المقترح .

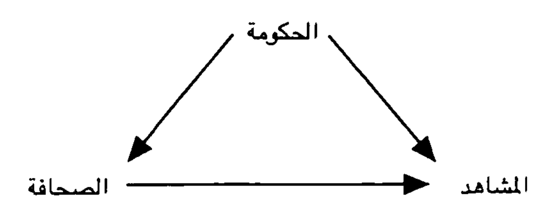
٣) يضمر رو تحيزاً ضد الصحافة العربية كما سنتناول بالدراسة فيما بعد؛ فعلى سبيل المثال يقدم رو الأدلة (١٩٨٧: ١٦٥) على أن الصحفيين العرب ربما نجحوا فى الهروب من التحكم الحكومى الصارم عندما تحصنوا بفصائل سياسية ذات نفوذ، فاستطاعت الصحافة الحزبية المصرية الهروب من الخط "الرسمى" للصحافة لكنها وقعت فى المقابل تحت وطأة سياسة صارمة للأحزاب السياسية . كما يرى رو أن الثقافة السياسية فى المنطقة العربية لا تسير بالضرورة فى اتجاه الصحافة الحرة والناقدة كما يحدث فى الولايات المتحدة الأمريكية، ويمكن تصور هذا عندما ننظر إلى عدم مبالاة صحفيى السعودية بتأسيس نقابة خاصة بهم وقبولهم وجود هذه النقابة تحت رعاية الحكومة (تاش، ١٩٨٣). علاوة على ذلك فإن التصنيف القاسى لصحافة السعودية بأنها صحافة موالية لا يضع فى حسبانه تأسيس أباطرة الأعمال السعوديين لمؤسسات الميديا التى تسعى لاستثارة الرأى العام العربى حول قضايا سياسية واجتماعية رافضة للإبقاء على الوضع الراهن.

وبحسب تصنيف رو فإن الحكومات العربية تمارس نفوذاً قوياً فى رسم سياسات الإعلام بالنسبة للصحافة وبخاصة الأنظمة التعبوية والموالية، لكن هذا يضع قواعد لدور الصحفيين وكيف يوجدون دورهم فى المجتمع . قد يستلهم الصحفيون على سبيل المثال كيفية الارتقاء بسمعتهم المهنية ومعاييرها بتحديث تقديمهم للأخبار، حتى وإن كانت تحت رقابة محكمة من جانب الدولة. لقد استطاع محمد حسنين هيكل رئيس تحرير جريدة الأهرام المصرية الأسبق إيجاد وسيلة لانتقاد سياسات الحكومة صراحة وعلى الملأ فى تعليقاته، متكئاً على العلاقة الطيبة التى ربطت بينه وبين الرئيس الراحل عبد الناصر الذى كان يستشيره فى أمور سياسية متعددة (ناصر، ١٩٧٩)

وعليه، فإن تصنيف الصحافة العربية لأربع فئات استنادا إلى الرقابة التى تمارسها الحكومة لا يضع فى اعتباره العلاقة التكافلية التى تحدث بين ثلاثة أطراف تعمل معاً فى إعداد الأخبار وهى: الحكومة والصحفيون / المحررون والجمهور، بل لقد أسندت الحكومة لنفسها الدور الأكبر فى هذه العلاقة ثلاثية الأطراف، فهى لحد ما

تتحكم فيما ينشره الصحفيون من جهة، ومن جهة أخرى تتحكم فيما يحصل عليه المشاهد كما هو مصور فى الشكل ١:٣

النظام السلطوى للصحافة



ووفقًا لهذا النموذج فإن الجمهور يقف فى زاوية يحكمها طرفان: الحكومة التى تتحكم فى تدفق المعلومات من ناحية والصحافة التى تسيطر على مضمون الأخبار التى توفرها من ناحية أخرى، لكنه عادة ما تتوفر لدى الجمهور إمكانية الدخول إلى منتجات إخبارية أخرى مثل الميديا الخارجية، أو على الأقل قسم اللغة العربية الذى توفره قنوات الأخبار الأجنبية مثل البى بى سى وإذاعة صوت أمريكا. وأيضًا تتميز الميديا الأجنبية بتأثيرها المهنى على الصحفيين والمحررين كمصدر إلهام لمبادرات الحداثة لدى الصحفيين.

إن التصنيف التعبوى للأخبار الذى يعنى ضمنيًا أن الحكومة تتحكم فى محتوى الأخبار والبث التلفزيونى بفرض سياسات تحكم الميديا يعد خطأ فادحًا، فالصحفيون الجزائريون على سبيل المثال يشتكون من غياب سياسات إعلامية حكومية واضحة المعالم (كيرات، ١٩٨٧). وبدلاً من هذا يمكن القول بأن الحكومة تضع القوانين التى ترسم حدود الصحافة وما يجب على الصحفيين تجنب الكتابة فيه، فليست القوانين هى التى تحدد ماذا يتحتم عليهم أن يكتبوا، فمن خلال حدود الحرية التى تمنحها الحكومة تعمل الصحافة الحزبية والصحافة المستقلة فى العديد من البلدان العربية، حتى وإن كان جميع الصحفيين يخضعون للقوانين والعقوبات نفسها. من ناحية أخرى، فإن الصحافة تحاول جاهدة دفع سقف الحرية المسموح به عاليًا بقدر المستطاع، فتقوم

الصحافة الحزبية بالتركيز على الفضائح (بخيت، ١٩٩٨)، إذ تلعب دور العين الحارسة، بينما نرى أن الصحافة القومية تتبنى دوراً آخر وهو الدور الخاص بالمسئولية الاجتماعية، وذلك بتسليط الضوء على الجانب الإيجابى لإنجازات الحكومة، ثم نجد الصحافة المستقلة التى تعمل حسب قانون السوق، بمعنى أن العرض خاضع للطلب من جانب جمهورها، مثل التحدث عن الصراعات السياسية الداخلية، أوالقيل والقال و الشائعات التى تدور حول المشاهير، أوالفضائح، أو الفساد.

فى النموذج المذكور أعلاه نجد أن هناك عاملاً آخر يمارس صورة من صور السلطة على الصحافة، ألا وهو عامل الجمهور؛ فالجمهور يسعى وراء القراءة عن القضايا الداخلية ذات الشعبية العالية، وهذا هو السبب وراء نجاح الصحف الصفراء أكثر من الصحف القومية فى العديد من الدول العربية وعلى رأسها مصر. كما يسعى الجمهور وراء المعلومات التى تختص بالخدمات مثل قسم الإعلانات المبوبة، وهنا نلمس سبب نجاح جريدة الأهرام مثلا، لما توفره من مساحة هائلة من الجريدة لهذه الخدمة، كما توفر الجريدة أقساماً للترفيه والتسلية، ولهذا السبب أيضاً نجد أن مبيعات شهر رمضان تفوق بكثير أرقام مبيعات باقى السنة، ففى الأيام العادية من السنة قد يتجاهل الجمهور الصحف ويعتمد أكثر على البث التلفزيونى المعتاد للأخبار، أما فى أوقات الأزمات أو المناسبات فنرى أن نسبة توزيع الصحف يزداد بصورة هائلة[1].

---

(١) بحسب أحد أكشاك بيع الصحف السعودية فإن الناس لا تشترى فقط صحفها المفضلة لكنها تشترى أيضًا مجموعة متنوعة بمتوسط ثلاث صحف أخرى، كما حدث خلال الحرب الأخيرة على العراق. فى المغرب، ذكر مدير شركة توزيع مغربية أن نسبة التوزيع زادت بصورة طفيفة قبل بدء الحرب بحوالى أربعة أيام، ولهذا السبب طلبت شركته من الصحف المغربية زيادة طاقة الطبع لديها بنسبة ٢٠٪. يتذكر مدير هذه الشركة الوضع أثناء حرب الخليج ١٩٩١ عندما زادت الصحف المغربية من توزيعها بنسبة ٤٠٪، لكنه لم يتوقع تكرار الوضع نفسه خلال الحرب الحالية حيث التواجد الكلى والمكتسح للقنوات الفضائية العربية التى تقوم بتقديم تقارير على الهواء من ساحة الحرب. الجريدة الرئيسية المغربية "الأحداث المغربية" زادت نسخ توزيعها من ٩٥٠٠٠ إلى ١٠٣٠٠٠ يوميًا، و"الأعلام" زادت من ٦٠٠٠٠ إلى ٨٩٠٠٠ يوميًا، لكن الصحف المغربية فى العادة لا تملك مراسلين لها فى العراق أو فى الدول المجاورة. المصدر: الشرق الأوسط – ٢٥ مارس ٢٠٠٣، المواطنون السعوديون أعادوا ترتيب أولوياتهم والصحف المغربية تزيد من توزيعها – ص ١٤

مع ذلك نجد أن تصنيف رو قد تم تحديثه ثلاث مرات خلال الخمس والعشرين سنة الماضية، لكنه لا يزال يتجنب تناول التطورات الجديدة على ساحة الميديا العربية. فلنأخذ ادعاء رو حول بعض المدارس الصحفية القليلة فى العالم العربى وفيه يقول "تعتبر مدارس الصحافة قليلة وحديثة العهد ومعظم العاملين يكسبون رزقهم من هذه المهنة" (١٩٨٧:١٢)، واستمر رو فى التمسك بالفرضية نفسها فى إصدار ٢٠٠٤، حتى وإن كان هناك بعض التنقيح الطفيف "مدارس الصحافة قليلة ومعظم العاملين يكسبون رزقهم من هذه المهنة" (٢٠٠٤: ١١). من غير المعقول قبول فكرة أن المدارس الصحفية لم تتغير كثيراً خلال العقدين الماضيين، تبين الأشكال التى ترجع إلى الثمانينيات (عبد الرحمن ١٩٩١) إلى وجود ثلاثين مؤسسة منتشرة على طول سبع عشرة دولة عربية، تتمتع مصر والسعودية بنصيب الأسد فى هذه المدارس حيث يوجد فى مصر ستة مدارس، وفى السعودية خمسة، لكن جامعة القاهرة تُعد المؤسسة الأكاديمية الوحيدة التى توفر درجات الماجستير والدكتوراه. علاوة على هذا، تؤكد هذه الأرقام أن نسبة العدد الإجمالى للصحفيين الذين يحملون درجات علمية جامعية فى الاتصالات حوالى ٦٠٪ (عبد الرحمن ١٩٨٩: ٧٨)، وتم تأكيد هذه النتائج نفسها فى دراسات أخرى تمت بين الصحفيين العرب (مثل كيرات، ١٩٨٧ وتاش ١٩٨٣). مرة ثانية نرى أن تصنيف رو يعانى بعض التعميمات والتحيزات المؤسفة مثل تحيزه ضد اللغة العربية والطبيعة الشعرية لها ووقع هذا على إنتاجها الصحفى، والمثال على هذا ما يثيره من جدل إذ يقول " توجد علاقة اعتمادية وثيقة متبادلة بين اللغة العربية والسيكولوجية والثقافة العربية، ومن ثم فبما أنهم ناقلون للغة فإن وسائل الإعلام الجماهيرى تُعد مهمة للغاية فى تواصل الخصائص الثقافية المشتركة للعرب ... تُعد اللغة العربية فى نظر الناطقين بالإنجليزية لغة المغالاة والتكرار" (ص ١٩). وترجع هذه المغالاة إلى الخرافات الكلاسيكية التى قيلت حول دور الشكل التقليدى أو المكتوب للغة العربية وهو ما سيتم مناقشته باستفاضة فى الفصل السادس.يلتقط رو هذه الصورة التى تتسم بالمبالغة مستخدماً إياها كعصا القياس التى يُقارن بها أسلوب التقارير لدى الصحفيين العرب

فى مقابل الصحفيين الأمريكيين وعندها يصرح "فى حين نجد الصحفيين الأمريكيين منشغلين بالتفاصيل الواقعية والإحصائيات، نجد العرب على الجانب الآخر يستفيضون فى الاهتمام بتصحيح هجاء الكلمة وطريقة صياغة العبارات وقواعد علم النحو التى يجب أن يستخدموها فى وصف الحدث" ص ١٩ .

إذا كانت فرضية رو حول حقيقة إهمال الصحفيين الأمريكيين لتفاصيل اللغة صحيحة، فإن هذا يمكن أن يُفسر سبب شكوى أكثر من ثلثى القراء الأمريكيين من الأخطاء النحوية واللغوية فى الصحافة الأمريكية المعاصرة (انظر المسح الذى أجرى بواسطة الجمعية الأمريكية لمحررى الصحف، ١٩٩٩)(١٢)

تستمر هذه المقارنة الدقيقة بين المعايير الصحفية العربية والأمريكية فى تصنيفه (٢٠٠٤) للصحافة العربية، ونجد هذا فى قوله: "توجد صحف حققت صيتًا وسمعة طيبة لما تقدمه من موضوعية نسبية فى تقارير الأخبار، على الرغم مما يعرف به كتاب صحفهم من تحيزات سياسية متنوعة، فإنه عادة ما ينظر الجمهور إلى معالجة المادة الإخبارية وأيضًا تعليقات الرأى فى الجريدة أو البث بقدر كبير من الشك الدفاعى مماثل لشعور الأمريكيين نفسه تجاه الإعلانات التجارية.. و تميل مصداقية كتاب الأخبار ومعلقى الأخبار السياسية فى الصحف إلى أن تكون أدنى مما لدى الغرب ... فمكانة الصحفى وهيبته أقل نسبيًا، فيما عدا عدد قليل من الصحفيين البارزين الذين لا يزيد عددهم عن أصابع اليد الواحدة فى كل بلد، والذين يكتبون التحليلات السياسية الموقعة التى تظهر فى الصحافة اليومية" ص ١١ . افترض رو فيما بعد "إنها حقيقة أن العديد من القصص الإخبارية فى الميديا العربية لا ترتقى بالمرة للدرجة المثلى التى تتوفر فى بعض الصحافة الأمريكية، كى تكون على سبيل المثال التفسير الصادق والشامل والمحنك للأحداث اليومية فى إطار السياق الذى يعطى معنى" (رو ٢٠٠٤: ١٧)

---

(١) www.asne.org/kiosk/reports/99reports/1999examiningourcredibility/

هنا يثير رو قضيتين: الأولى هى غياب المصداقية واستحقاق الاحترام التى يتمتع بها الصحفيون المحترفون فى الشرق الأوسط مقارنة بصحفيى الغرب (الولايات المتحدة)، والثانية هى الممارسات الصحفية العربية التى لا تزال بعيدة كل البعد عن النموذج الأمريكى للموضوعية والمصداقية.

فلنتناول القضية الأولى، حيث تساءل الكثير من الباحثين الغربيين عن مدى صحة القصص التى تتناولها الصحف الإخبارية اليومية أو زيفها، جاءت هذه الفكرة فى أصلها من الصحافة الأمريكية "الحرة". وبحسب ما جاء فى هاشتن (١٩٩٩: ١٤٤) فإن أخبار حرب الخليج ١٩٩١ على سبيل المثال كانت محكومة بالقادة العسكريين الأمريكيين الذين قاموا فى الغالب "بحجب" بعض المعلومات المهمة، أو ربما قاموا بلى عنق بعض الحقائق التى نشرت للجمهور.

المثال الحى هنا هو ذلك الفخر الذى انتابهم عند استخدام القنابل الذكية لضرب أهدافهم بدقة تصل إلى ٩٠٪، و سرعان ما أعقبه اعتراف القوات الجوية بأن ٧٪ فقط من المواد المتفجرة تم استخدامها فى الحرب بينما ٧٠٪ منها أخطأت أهدافها، فمشكلة المصداقية هنا ليست قاصرة على الأنظمة الإعلامية الأقل ديمقراطية وحرية.

وهنا نجد أن الصحف الأمريكية شهدت انخفاضاً ملحوظاً فى نسبة القراءة منذ الثمانينيات وهو الذى يعلله ماير فى (١٩٨٨: ٥٦٧) بأنه نتيجة لتناقص مصداقية الأخبار التى تعرضها الصحف. وبحسب المسح الميدانى التى أجراه مركز الميديا والشئون العامة (١٩٩٧) توجد فئة صغيرة من القراء الأمريكيين الذين يؤمنون بأن ميديا الأخبار تقوم بطبع حقائق صحيحة ودقيقة، بينما ٣٥٪ من القراء يعتقدون أن ميديا الأخبار لم تعر اهتماماً لتصحيح الأخطاء التى توجد فى التقارير الإخبارية، هذا بينما تؤمن الغالبية بأن الميديا الإعلامية تنحاز لصالح أحد طرفى القصة الإخبارية، كما يعتقد كم كبير من القراء أن الأخبار متحيزة سياسياً. كذلك عبر القراء الأمريكيون عن قلقهم من أن ميديا الأخبار كانت متأثرة بآراء أصحاب النفوذ سواء كانوا أفراداً أم مؤسسات، ناهيك عن نظرتهم تجاه الصحفيين حيث يرون أنهم متعجرفون ومتهكمون

وأقل رحمة من باقى الناس[1]. كذلك فان تلك الموضوعية التى يزعم رو أنها تطغى أكثر فى الأنظمة الصحافية الديمقراطية، وبخاصة النظام الأمريكى، لا يمكن اعتبارها ميديا معيارية تطمح إليها ميديا الأنظمة الأقل تحرراً، بل إنها مسألة حزمة من المعايير أو الأدوات التى قد تتنوع وتختلف من تقليد صحفى لآخر. و يعتبر ووتر ستال (١٩٨٣: ٤٠٣) استخدام كلمة "موضوعية" ككلمة فى حد ذاتها "غير ملائمة" حيث كانت لفترة طويلة محل نقاشات أكبر و أعمق عن طبيعة المعرفة، وهى المشكلة التى تنازع حولها الفلاسفة لعدة قرون. وعليه فالزعم بأن ميديا الأخبار تعتمد على "الموضوعية" فى التقارير الإخبارية لا يزيد عن كونه مجرد مؤشر لمدى التزامهم وتمسكهم بمعايير محددة سبق وضعها من قبل. على سبيل المثال، ناقش زليزر وبار وجوديلانس (٢٠٠٢:٢٩١) تلك القضية حيث أشاروا إلى أن من بين أدوات "صناعة الموضوعية" المستخدمة فى غالبية الميديا الأمريكية استخدام الحقائق والأرقام والجرافيك (الرسوم البيانية) والأدوات المساعدة المرئية الأخرى، و قد شهدت ميديا الأخبار الأمريكية، على وجه التحديد، تحركًا من كونها تصويرية وصفية رائعة فى الستينيات إلى تفسيرية متسلطة فى التسعينيات (باترسن ١٩٩٣: ٨٢)، وبحسب عدد من الباحثين فإن هذه الحركة أثمرت صحافة أكثر تحيزًا. على سبيل المثال تناول زيلر وبارك وجودلناس (٢٠٠٢) بالفحص تغطية الانتفاضة خلال ثلاثين يومًا من ذروتها فى الصحف الأمريكية الأكثر انتشاراً (النيويورك تايمز وواشنطن بوست وتربيون شيكاجو)، حيث أكدوا أن الفرضية المعيارية للصحافة تعنى الالتزام بموقف موضوعى ومحايد بالنسبة للأحداث التى انحدرت على نحو مؤسف عندما أثبتت دراسات أكاديمية بالتحليل التحيز فى تغطية الصحفيين للأحداث (٢٠٠٢: ٢٨٤) .

كما تناول "زيلر وبارك وجودلناس" بالبحث والنقاش جنبًا إلى جنب مع باحثين آخرين جوانب عدة للصراع الفلسطينى الإسرائيلى غابت عن الميديا الأمريكية، مثل

(١) مركز الإعلام والشئون العامة (سبتمبر ١٩٩٧) - ماذا يريد الناس من الصحافة - ملخص تنفيذى www.cmpa.com/archive/wdtpwftp.htm - ١٥ أغسطس ٢٠٠٣

كيف يعامل الجنود الإسرائيليون الفلسطينيين، في حين أن هذه الجوانب يتم تغطيتها في وسائل إعلامية أخرى مثل الإعلام البريطاني والإسرائيلي (زيلز وبارك وجودلناس ٢٠٠٢، ٢٨٧). علاوة على ما سبق، فإن المنظور المناصر لإسرائيل في ميديا الأخبار الأمريكية نبع من الفشل في توفير سياق تاريخي للتغطية والتي يتوفر بها القليل من التفسير لرد فعل الفلسطينيين، ولقد أوجز هؤلاء الباحثون بقولهم "من ثم فالتحيز له أبعاده المعقدة والمحكومة في الصحافة المطبوعة الأمريكية أكثر بكثير مما يبدو في الخطاب الشعبي، إن لم تكن على المستوى الأكاديمي أيضًا" (زيلز وبارك وجودلناس ٢٠٠٢، ٣٠٢). وقد برر أحد المحررين الأمريكيين مواطن الضعف في تغطية أحداث الشرق الأوسط بغياب المعرفة المطلوبة عن المنطقة "أرى أن الخطأ في التغطية الأمريكية لمنطقة الشرق الأوسط في الماضي لم يكن في الافتقار إلى الموضوعية، بصرف النظر عن معناها، بقدر ما كان في الافتقار الحقيقي للمغامرة والتخيل. إن المسألة ليست أن كل أمريكي مناصر لإسرائيل، على الرغم بالطبع من أن هناك تعاطفًا شديدًا مع إسرائيل، لكن المسألة في حقيقتها أن الميديا الأمريكية لا تعير اهتمامًا فعليًا وكافيًا للعالم العربي، فهناك هوة شاسعة من الجهل بالمنطقة، فنحن لا نملك عددًا كافيًا من المراسلين في هذه المنطقة" (روبين ١٩٧٩: ٢٢٨) .

وبهذا فإن تقديم هذه المنطقة في ميديا الأخبار الأمريكية كان دائمًا وأبدًا غير متوازن، بل قد يشوبه بعض التحيز في أحيان كثيرة عندما تكون هناك حاجة ماسة لتأكيد تفهم الشعب للسياسة الأمريكية بالمنطقة (بارانكو وشيلتس ١٩٨٨: ١٧٨).

وبصورة عامة، فإن مواطن الضعف ربما نتجت بسبب جهل رو بمجموعة الأبحاث التي كُتبت بواسطة باحثين عرب باللغة العربية، وهذه قضية أخلاقية أخرى بالنسبة لأي باحث، أعني الباحث الذي يطرح وجهة نظر "الآخر" كما يطرح وجهة نظره الشخصية، وبخاصة إذا كان متمكنًا من لغة الآخر، فيُقال عن وليام رو إنه كان يتقن اللغة العربية.يقول رو "مع ذلك فإن هذا الكتاب لا يقدم مسحًا شاملاً ونوعيًا لمحتوى الميديا، فالملاحظات المذكورة أعلاه حول مضمون الميديا هي نتيجة مجموعة آراء لمستهلكين

مخضرمين للميديا، وليست قائمة على تحليل مضمون موضوعى ونظامى للصحافة والإذاعة والتليفزيون فى الثمانى عشرة دولة عربية، فمثل هذه الدراسة لم تحدث بعد، وإن تمت ستكون مشروعًا بحثيًا هائلا وضخمًا" (٢٠٠٤: ٢٥٠). ولو أن هذه العبارة تتجاهل بكل تأكيد هذا الكم الهائل من الدراسات التى تمت حول ميديا الأخبار العربية والمقدمة باللغتين العربية والإنجليزية على أيدى باحثين عرب مثل (أبو زيد "١٩٩٣"، الجمال "١٩٩٠"، عبد الرحمن "١٩٨٩، ٢٠٠٢"، مواّد "٢٠٠٢"، السرايا "١٩٨٦"، بخيت "١٩٩٨"، عبد النبى "١٩٨٩"، عايش "٢٠٠١"، العبد "١٩٩٥"، هذا على سبيل الذكر وليس الحصر). يقدم الباحث عبد الرحمن (٢٠٠٢: ٣٢) بديلا لنموذج رو، وهو نموذج متخصص للصحافة العربية، فلقد حدد المحاور التى شغلت البلاد العربية خلال الخمسينات والستينيات، وهى تدور حول الوحدة العربية والصراع الإسرائيلى التى شجعت الوظيفة التعبوية للصحافة. فى خلال السبعينيات كانت القضايا التنموية ومحاربة التبعية من القضايا المهمة التى شغلت المنطقة، والتى روجت لوظيفة الموالاة للصحافة. أما فى الثمانينيات فقد تم توجيه انتباه العرب نحو قضايا أخرى أكثر إلحاحًا مثل الديمقراطية والإمبريالية الثقافية وتأثير الثروة النفطية على ثقافة العرب. وفى الختام جاءت التسعينيات لتشهد اهتمامًا متزايدًا بحقوق الإنسان وإعداد المنطقة للثورة المعلوماتية وبالتالى تعزيز الدور المتنوع لميديا الأخبار (عايش ٢٠٠١: ١١٤)

كبديل، قدم عايش (٢٠٠٢) تصنيفًا أكثر إحكامًا ليصنف أنماط الاتصال العربية وهى: النمط التقليدى المحكوم بالحكومات، النمط الإصلاحى المحكوم بالحكومات، والنمط التجارى الليبرالى. يتألف النموذج الأول من قنوات اتصال تقليدية، فالقناة الفضائية السورية على سبيل المثال، وعلى الرغم من التقدم الذى أحرزته فى إنتاج المنوعات، فإنها لا تزال تتبع التوجه التقليدى فى إخراج الأخبار.

النموذج الثانى وهو الواضح فى بعض القنوات مثل: أبوظبى، حيث وصلت المهنية الصحفية فيها إلى درجة يمكن عندها منافسة القنوات الإخبارية الأخرى.

وكى نجمل ما سبق، فهذه القنوات تسعى لإيجاد حالة توازن بين الطموحات المهنية والسياقات الثقافية والسياسية التى تعمل فى ظلها.

وأخيراً، يشير النموذج الثالث إلى قنوات مثل قناة الجزيرة حيث المهنية العالية، بل وبتعبير أدق حيث المصالح السياسية هى القوة الدافعة وراء انتقاء الأخبار وجمعها.

لكن من الواجب التشديد على أن نموذج عايش لا يزال غير ناضج، فعلى سبيل المثال لايمكن تصوير النموذج الثالث باعتباره تجارياً إذ إن دولة قطر هى الراعى المالى الرئيسى للجزيرة، ولا تزال هناك أمور غير محسومة فيما إذا كانت القناة بالفعل قناة تليفزيونية حرة من الناحية الصحفية، حيث يتهمها الكثير من النقاد بغض بصرها عن الشئون الداخلية القطرية. من ناحية أخرى نجد أن هذه القناة كانت جزءاً ضمن خطة أمير قطر لتحديث بلاده وتوجيه أنظار العالم إليها، وسواء تمسكت الجزيرة بموقفها كجزء ضمن خطط الإمارة، أم ستكون الرائدة نحو تقليد صحفى حر فى المنطقة العربية، فإن الأمر لايزال مبكراً حتى نتمكن من الحكم.

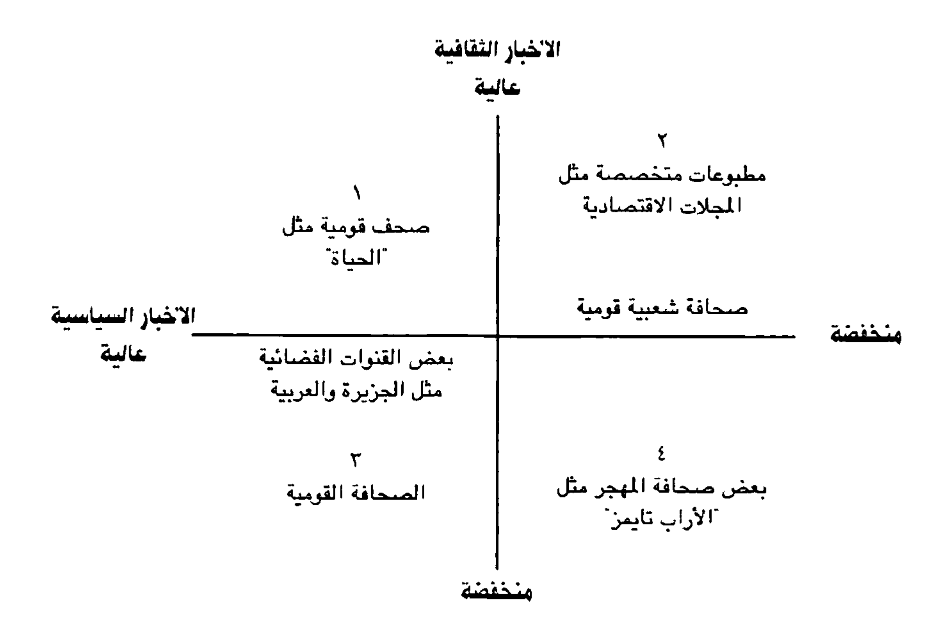
لا يزال نظام الاتصالات التقليدى موجوداً فى بعض البلدان مثل ليبيا، التى لم تشرع بعد فى خطط إصلاح أو تحديث فى قطاع الميديا، بينما يشير النظام الإصلاحى لفئة أو أكثر من ميديا الأخبار داخل بعض الدول، وبهذا تعتبر الصحافة الحزبية فى مصر على سبيل المثال صحافة إصلاحية، حيث إنها تسعى للانحراف بعيداً عن الدور التقليدى للصحف القومية، فى حين يمكن تصوير الصحافة المستقلة (خاصة الصفراء منها) باعتبارها نظاماً اتجارياً منقاداً فقط لمنطق السوق وحجم العرض والطلب من جهة الجمهور.

وبدلاً من تصنيف الصحافة العربية وميديا الأخبار استناداً إلى عنصر ملكيتها، هناك أهمية أكبر لنأخذ فى الاعتبار عوامل أخرى مثل المضمون، فالهيمنة المالية للحكومة على هذه المؤسسات الإعلامية لا يعنى بالضرورة جعلها أقل حرية أو أقل انتقاداً للنظام الحاكم، فهناك العديد من مؤسسات الإعلام العامة فى أوروبا الغربية لها موقفها الناقد لحكوماتها الواضح تماماً كما هو واضح فى بعض الأنظمة التجارية مثل

النظام الأمريكى (بنسن ٢٠٠١). أضف إلى هذا أن نموذج رو يبدو أنه يرتكز على ما يشير إليه بورديو (١٩٩٠) بالحقل السياسى، حيث يتم تسليط الضوء على درجة تدخل الحكومة فى مبديا الأخبار من خلال ملكيتها للمؤسسة.

بهذا تثمر المناقشة عوامل أخرى مهمة مثل منطق السوق والممارسات الصحفية والسياق الثقافى، ولهذا فعندما نضع فى الاعتبار مضمون ميديا الأخبار، وليس فقط ملكية المؤسسة،تصبح الكيفية التى تلعب بها هذه العوامل دورها فى تطوير ميديا الأخبار العربية أكثر وضوحاً.

وكما ناقشنا فى موضع آخر، فإن الأخبار السياسية وبخاصة الأخبار الخارجية تغلب على ميديا الأخبار العربية، لكن تركيز القنوات الفضائية على برامج المنوعات بجانب زيادة حجم الأقسام الثقافية فى الصحف العربية الإقليمية مثل "جريدة الحياة" يجب أن يدفعنا لتصنيفها تصنيفاً جديداً، ويصور الشكل ٣ . ٢ هذا التصنيف المقترح، حيث يبين الشكل أن ميديا الأخبار تقع بين محورين وهما درجة المحتوى السياسى والثقافى.



١- النموذج الأول يتضمن صحف ما يُطلق عليها الصحافة العربية الإقليمية "بأن أراب" مثل الحياة والشرق الأوسط، حيث تحتل القضايا السياسية مرتبة عالية لكنها متوازنة عن طريق زيادة جرعة الأخبار الثقافية .

٢- النموذج الثانى يشتمل على صحف متخصصة للغاية مثل الصحف الاقتصادية والأدبية والتى تستهدف فئات متخصصة من الجمهور العربى، وعلى الخط الفاصل بين الثقافة العالية والسياسة الأدنى مرتبة يمكن أن نجد مكانًا للصحافة الشعبية القومية، أو ما يُطلق عليها الصحف الصفراء، التى تتمركز حول الأحداث المحلية المتصلة بسياق ثقافى متخصص ولا تغرى بالضرورة الجمهور العربى الإقليمى.

٣- النموذج الثالث يتضمن الصحافة القومية، حيث تحتل الأقسام الثقافية والأخبار مراتب متراجعة مقارنة بالأخبار السياسية، و يمكن لبعض القنوات الفضائية مثل الجزيرة أن توضع على هذا الخط الفاصل أو الحيز ما بين السياسة العالية والثقافة الأدنى فى المرتبة، حيث تكرس معظم مضمونها للقضايا السياسية الخارجية، على الرغم من تزايد الاهتمام بالمسائل الثقافية والمحلية مؤخراً.

٤- النموذج الرابع وهو يشمل أنواعًا متنوعة من الصحافة الشعبية المهاجرة مثل الأراب تايمز، وهى ما يفضل الباحثون العرب أن يطلقوا عليه الصحف الصفراء لما يتمركز حوله مضمون هذه الصحف من مسائل شخصية أكثر من القضايا السياسية.

وكما قد تختلف المؤسسات الإعلامية فيما بينها فيما إذا كانت تستهدف جمهوراً قوميًا أم إقليمياً، ففى العادة تتسم الصحافة الشعبية أو الصفراء فى مصر والأردن على سبيل المثال بقدر وافر من الأخبار الخفيفة من منظور محلى، لكن بعض صحف المهجر مثل الأراب تايمز(١) تعتمد على الأخبار الخفيفة من مختلف البلدان العربية، وبالتالى فهى تستهدف قطاعاً أكبر من القراء.

---

(١) تأسست Arab Times فى ١٩٨٦ وكانت تنشر كل ١٠ أيام وكان رئيس تحريرها أسامة فوزى وهو فلسطينى الأصل - للمزيد من المعلومات انظر موقع الجريدة www.arabtimes.com

أما مؤسسات ميديا الأخبار العربية الإقليمية مثل الحياة والشرق الأوسط، وأيضاً القنوات الفضائية مثل: الجزيرة وأبوظبى، فتتناول قطاعًا أعرض من الجمهور العربى، ولهذا فإن أخبارهم تكون من منظور إقليمى . أما أخبار البروتوكولات والدعاية فيتم استبدالها هنا بالأخبار الخارجية التى تشمل العديد من الدول العربية. إن هامش الربح لا يكون بالضرورة فى صورة قيمة نقدية بل قد يكون أيضًا فى صورة ربح لـ"النوايا الحسنة"، أو تعزيز لصورة البلد المضيفة لمؤسسة ميديا معينة، مثل دولة قطر التى تستضيف الجزيرة.

وفيما يخص القيمة الاقتصادية لكل نموذج، فإن النموذجين الأول والثانى يتبعان منطق السوق حتى إنهما يعملان على جذب عدد أكبر من الجمهور، وبالتالى المزيد من المعلنين. ونظرا لأنهما يتناولان قطاعات من الجمهور العربى محددة ومعروفة مسبقًا فإن هذين النموذجين يعدان أكثر نجاحًا فى جذب المعلنين الذين يستهدفون هذه القطاعات نفسها من المستهلكين. لكن هذا لا يعنى أن محتوى هذه الجرائد المتخصصة أقل من ناحية المصداقية. النموذج الثالث وهو يتبع منطق الميديا ولهذا فهو يركز على قضايا أكبر من ناحية الأهمية الإعلامية بالنسبة للعديد من دول المنطقة مثل قضايا السياسة الخارجية، ومنطق الميديا هنا يشير للطريقة التى تعرف بها هذه المؤسسات الإخبارية ما هو أكثر أهمية إخبارية، كما تعرف كيفية صياغته. وفى النهاية، يستهدف النموذج الرابع قاعدة أكبر من الجمهور ومن خلالها يحصل على عدد أكبر من المعلنين، لكن الموارد المتاحة مثل الموارد المالية والبشرية أو الصحفية فقد لا تكون كافية لتحقيق هذا الهدف. والنموذج المذكور هنا يمكن تطبيقه باعتباره أداة فى بحث تجريبى يركز على مضمون الأخبار وكيف يعكس هذا المضمون التغيرات فى عدد من العوامل على ساحة الميديا العربية، مثل الممارسات الصحفية والأوضاع المؤسسية فى ميديا الأخبار والقيم الإخبارية أو الأخلاقية والعلاقات مع المصدر. وكمثال على ذلك، نجد أن البحث يمكن أن يتفقد متغيرى "التعاقب" و"التزامن" فى محتوى الأخبار فيما يخص التقسيم ما بين أخبار جادة وأخبار خفيفة، وكيف يؤثر ذلك على قيم الأخبار التى

تتبناها المؤسسات الإعلامية والصحفيون. هناك عوامل أخرى مؤثرة مثل العلاقة بين مؤسسة ميديا الأخبار والمعلنين من ناحية، ودور الجمهور فى تطوير محتوى الميديا من ناحية أخرى، أو العلاقة بين الصحفيين ومصادرهم الخاصة والترتيب الهرمى للمصادر المستخدمة فى كل من الأخبار الجادة والخفيفة، و يمكن تقديم هذا الخط من البحث فى نظريات علم الاجتماع مثل نظرية بورديو (١٩٨٤: ١٩٩٠). ويقدم بحث بورديو إطار عمل لدراسة الصحافة باعتبارها مجالا اجتماعيًا يتماشى مع المجالات الأخرى فى المجتمع مثل المجالات السياسية والاقتصادية، وأحد العوامل المهمة فى هذه النظرية هو تحليل توزيع القوة فى مجال معين. وباتباع هذا النموذج يمكن تجسيد الصحافة العربية فى شكل هرمى يتألف مما يُطلق عليه الصحافة الجادة فى مقابل الصحف الصفراء، والمجلات فى مقابل الصحف، والصحف العربية الإقليمية فى مقابل الصحف اليومية المحلية والقومية .. إلى آخره. وهذه العناصر يمكن من خلالها تقسيم الأنظمة بمحددات رمزية صُنعت بحسب الحصص المالية المخصصة لكل عنصر، كما أن الشكل الهرمى متواجد بين الصحفيين عاكسًا القيم والسلطة المهنية والتحريرية والأكاديمية الرمزية والارتدادية. علاوة على هذا فإن دور لغة الميديا وهى اللغة العربية المعاصرة يجب تحليلها كجزء من القوى الرمزية المحددة لكل صحفى. ويمكن إيجاز ذلك بالقول إن هذا الفصل قد طرح تصنيفًا للصحافة العربية بحسب أربعة متغيرات مختلفة:

١- الملكية

٢- الموضوعات المحورية للأخبار

٣- الملكية وشكل عرض الأخبار

٤- المحتوى

استخدم نموذج رو (١٩٨٧، ٢٠٠٤) متغيراً أساسيًا ألا وهو الملكية، وذلك حتى يتمكن من تصنيف الصحافة العربية إلى أربع فئات رئيسية: تعبوية وموالية ومتنوعة وانتقالية، ومع ذلك فسواء أمتلكت الدولة الصحافة أو امتلكتها مؤسسة أو مؤسسات

خاصة أخرى فإن هذا لا يمثل إلا تأثيراً طفيفًا فى محتوى ما تقدمه. فمثلا، رغم أن قناة الجزيرة يتم تمويلها من قبل أمير الدولة فإنها لم تُصنف على أنها قناة تجارية (عايش ٢٠٠٢)، وهذا يرجع للزاوية الجديدة التى تقدم بها أعمالها من حيث الأسلوب ونوعية البرامج والتقنية والموضوعات. إضافة لهذا، فإن رو يصنف بعض مؤسسات الميديا الخاصة على أنها موالية، وهذا بحسب ما إذا كانت تتبنى سياسات الحكومة أو النظام الحاكم .

وهذا التصنيف لا يحسب التباين فى حضور مؤسسات الميديا الخاصة على الساحة التى لم تسع لتطبيق السياسات الموجودة، إذ نجد بعض الصحف العربية الإقليمية مثل جريدة الشرق الأوسط السعودية تحاول إخفاء مصادر تمويلها محاولة منها لتأكيد حيادها، حتى لو اضطرت لتجاهل أخبار المملكة العربية السعودية بأكملها (أبو زيد ١٩٩٣: ٢٢٢) .

وبالمثل فإن الصحافة الموالية إذا استهدفت الإبقاء على الوضع الراهن وفرض السياسات والتقاليد الموجودة بالفعل، فكيف لنا أن نفسر الوضع المتناقض حيث يقوم الأثرياء العرب وبخاصة السعوديون منهم بتمويل القنوات الفضائية التى تعتمد بدرجة كبيرة على مقدمات برامج شابات وجميلات لجذب أعين المشاهد؟ (القدرى وحرب ٢٠٠٢)، أو تعمل فى أنواع معينة من البرامج الترفيهية التى تخدم الغرض نفسه (والتى أطلق عليها صحفى عربى بارز اسم "الإباحية الخفيفة") (القاسيم ١٩٩٩)، حتى إذا تعارضت هذه البرامج بصورة مباشرة مع التقاليد السعودية والقيم الثقافية؟

فى الواقع يمكن الاعتقاد بأن القوة الدافعة وراء إيجاد مؤسسات إعلامية جديدة هى قوة تجارية مائة بالمئة، حيث إنه من المتوقع من هذه الميديا تحقيق أعلى عائد من الاستثمار (على مستوى العائد المادى أو على مستوى الصورة)، أما من ناحية محتوى المادة الإعلامية فهو محدد بما يريده العامة، أو ربما بما يعتقد رجال الإعلام أن الجمهور يريده، أو ربما سعيًا وراء رسم أو الإبقاء على صورة ما للإعلام إذا كان بمقدور هذه الصورة المساهمة بشكل أو بآخر فى هامش الربح.

على نقيض نموذج رو (١٩٨٧، ٢٠٠٤) نجد الباحث عبد الرحمن (٢٠٠٢) يفضل تصنيف الصحافة العربية بحسب موضوعات الأخبار التى كانت محورية فى الفترة ما بين الخمسينيات والتسعينيات من القرن العشرين، مثل الوحدة العربية والحداثة والموضوعات الأخرى ذات الصلة. ثم جاء عايش (٢٠٠٢) ليقدم بديلا ثالثًا بتصنيف ميديا الأخبار العربية، وبخاصة القنوات الفضائية إلى ثلاث فئات: التقليدية والإصلاحية والتجارية. هنا نجد أسلوبًا آخر للتصنيف والتقسيم، وهو تقسيم الميديا حسب المحتوى، ويختلف هذا الأسلوب عن الثلاث نظريات السابقة والذى به يتم تقسيم ميديا الأخبار بحسب محتوى الأخبار. هذا التقسيم يأخذ فى حسبانه الأغراض التجارية التى تخدمها الميديا، سواء كان ذلك من أجل أن تدر ربحًا أعظم بقدر الإمكان، أو للمساهمة فى تكوين صورة جديدة وبالتالى إبداء النوايا الحسنة لبلد ما أو لوسيلة إعلامية ما.....

٤- قيم الأخبار

قد يختلف المعيار الذى يختار الصحفيون على أساسه الخبر من ثقافة لأخرى، عاكساً وقائع أيديولوجية وسياسية وثقافية متنوعة، بمعنى آخر إن ما يعتبر خبراً فى بلد عربى ليس بالضرورة أن يكون ذا أهمية إخبارية لمؤسسة إعلامية أمريكية والعكس صحيح، حتى على مستوى البلدان العربية، فمفهوم الأخبار والأهمية الإخبارية قد يختلفان من بلد عربى لآخر.

وللأسف لم تلق قيم الأخبار العربية الاهتمام الكافى من الأوساط الأكاديمية باستثناء عدد قليل من الدراسات، وأفاد بحث حديث حول الصحافة العربية (مافادن، ١٩٥٣، ٦٦) أن الأخبار القومية بمنظور عربى تشكل حوالى ٥٠٪ من الأخبار فى الصحف العربية اليومية فى حين أن الأخبار الخفيفة تمثل ١٢٪ والمقالات الافتتاحية تمثل ٧٪.

وفى إحدى الدراسات حول القيم العربية خلال السبعينيات أشار أبو بكر (١٩٨٠، ٢١) إلى فكرة العربية الإقليمية باعتبارها على قمة العوامل المؤثرة التى تتدخل فى اختيار الأخبار فى ذلك الوقت، وتشكل الأيديولوجيات التى تناهض الإمبرالية وكذلك الخطط التنموية عاملين آخرين مؤثرين فى اختيار الأخبار وتجميعها.

ويشير الباحث دجانى (١٩٨٩) فى دراسة له إلى عاملين حيويين مؤثرين فى اختيار الخبر فى الصحافة العربية وهما: العلاقة بين السلطات القومية ومصادر الأخبار، والقُرب الجغرافى لموقع الأحداث. بالنسبة لعامل القُرب الجغرافى فلا نشك فى تأثيره حتى فى كتابة الأخبار حول الشئون العربية: لهذا نلاحظ غياب أخبار شمال

إفريقيا عن الصحافة الخليجية، وكذلك تغيب أخبار الخليج عن الصحافة اللبنانية والمصرية.

وتؤكد نتائج البحث أن هناك مساحة من الحرية تتحرك من خلالها القيم الإخبارية بحسب التوجه السياسى الخاص بكل بلد. فالصحف الجزائرية تولى المزيد من الاهتمام بالأخبار التنموية التى تهدف تعليم القارئ أكثر من مجرد إخباره، أما الصحف المصرية فإنها تركز على البروتوكولات (مراسم الاستقبال والتوديع) مع المغالاة فى الجانب الإيجابى لسياسات الحكومة، أما الصحف اللبنانية فهى تقدم تنويعة من الآراء لكن لا يمكن الزعم أنها تلعب دوراً رقابياً.

من بين القيم المشتركة فى الصحف العربية ذلك التراجع فى الأخبار الخفيفة ويقابله وفرة فى الأخبار التى تستهدف القارئ المتحضر، باستثناء الصحافة السعودية، حيث يتمتع فيها كل إقليم بصفوة من الصحف الخاصة به. ويؤكد ناصر (١٩٨٣) أن الصحفيين فى العالم الثالث عندهم نزعة لتقمص دور المعلمين أكثر من كونهم مخبرين بالوقائع.

وتشير معظم الدراسات التى أجريت مؤخراً حول قيم الأخبار فى الإقليم العربى (تركستنانى ١٩٨٩، ٢١٥، عبد النبى ١٩٨٩) إلى قيمة القرابة أو عامل الجوار (الجغرافى والثقافى)، وأخبار المراسم الرسمية والتمثيل الدبلوماسى والتشخيص باعتبارها بين القيم المهمة فى ميديا الأخبار العربية. ويضيف الباحث (عبد النبى، ١٩٨٩) أن قيم المسئولية الاجتماعية تعنى أن اختيار الأخبار مقيد بالحفاظ على القيم الأخلاقية والمعتقدات الدينية للمجتمع، ولذا يجب على الصحافة أن تعمل على الحفاظ على الوحدة القومية لا أن تثير الصراعات العرقية والدينية.

أشارت (أوستجارد ١٩٦٥، ٤٥) فى دراسة سابقة أجريت فى الغرب إلى ثلاثة عوامل رئيسية من شأنها التأثير على تدفق المادة الإخبارية وهى: البساطة، والتحديد، والمعالجة المثيرة للأحداث (الإثارة).

وفى دراسة أخرى قام بها (جولدين واليوت ١٩٧٩) رأى أن القرابة من حيث الموقع الجغرافى أو الصورة النقدية أو جانب التسلية أو صدارة الحدث أو التشخيص هى عوامل غالبة على الأخبار.

وترجع أكثر الدراسات تأثيراً وقوة حول قيم الأخبار الغربية إلى عام ١٩٦٥، وذلك فى مقالة أعدها باحثان نرويجيان، هما جالتنج votes وروج (١٩٧٣)، إذ أشارا إلى معايير معينة يعتبرانها الأكثر جوهرية فى اختيار الأخبار بغض النظر عن السياق الثقافى، وهى القرب والجوار الجغرافى والتكرارية والمغزى والمفاجئية والصدارة والنقد.

كانت هذه النظرية موضع نقد من قبل العديد من الباحثين، حيث شككوا فى صلاحيتها من الناحية العملية، وانتقدوا مبدأ التعميم الذى تتسم به النظرية، والذى يصعب على الباحثين تطبيقه على دراسة تدفق الخبر ، وعارضوا أسسها النظرية التى تعد انتقائية (هجافارد ١٩٩٢).

تطرح المراجع الدراسية والصحفية الأخيرة (مثل فيدلر ١٩٩٧) الجوار والأهمية والتحديد وفورية إذاعة الخبر كقيم إخبارية رئيسية فى ميديا الأخبار الغربية، وتتماثل هذه المعايير مع المعايير المذكورة آنفًا والتى تضمنها البحث العربى، باستثناء الانتماء لموضوع الخبر، حيث يقال إن معظم الأخبار تكون جادة مثل أخبار عن مراسم استقبال الشخصيات المهمة وتوديعها والتى لا يستطيع القراء الانتماء إليها بسهولة.

فى هذا الفصل من الكتاب سيتم تناول قيم الأخبار فى الميديا العربية المعاصرة بالتركيز على أربعة معايير مهمة وهى: غزارة الأخبار السياسية والمسئولية الاجتماعية للأخبار والأخبار البارزة (الصدارة) والفورية فى عرض الأخبار، واختيار هذه القيم الإخبارية قائم على استعراض جملة من الأعمال المعاصرة (مثل عبد النبى ١٩٨٩، أبو زيد ١٩٩٣، بخيت ١٩٩٨، سكودسن ٢٠٠٣).

تم تبنى توجه مقارنى ليساعد على تعيين التشابهات والاختلافات بين قيم الأخبار الأمريكية والعربية، بالإضافة إلى فكرة الموضوعية، وإلى أىّ مدى تلتزم الصحافة العربية والأمريكية بهذه الموضوعية وهو الموضوع الذى سيتم مناقشته.

الأخبار السياسية

أدرك رجال الإعلام الأمريكان فى القرن الثامن عشر أهمية الأخبار السياسية بالنسبة لقرائهم، فارتفعت نسبة هذه الأخبار من حيث الكم والنوع.

وكانت تسجيلات مجلس النواب House of Representatives جزءاً من نظام التغذية للأخبار فى الولايات المتحدة الأمريكية فى ١٧٨٩ (جرين ٢٠٠٢، ٤٠) ولعبت الأخبار دوراً أكبر فى المجال الشعبى فى تلك الفترة.

كانت الأخبار فى القرن التاسع عشر معظمها أخبار سياسية، وكان رجال الإعلام آنذاك منشغلين بمراجعة الترتيبات الرسمية والشكلية (سكودسن ١٩٧٨). لم يصمد هذا التوجه طويلا فى القرن العشرين، حيث تناقصت الأخبار السياسية (الجادة) أمام الأخبار الخفيفة.

أجرت اللجنة الأمريكية للصحفيين المعنيين بحثًا تحليليًا للصحف فى الفترة من ١٩٧٧ وحتى ١٩٩٧ وقد أظهرت اللجنة، كما سنرى، أن الأخبار ذات الاهتمامات الإنسانية فى تزايد فى حين أن الأخبار السياسية والخارجية فى تناقص (كوك ٢٠٠٢، ٢٦).

يلخص ويلستون (٢٠٠١) أسباب ذلك فى أن استغلال الميديا الأمريكية بصورة تجارية دفع مؤسسات الميديا المختلفةإلى التنافس على الربح وبخاصة فى الثمانينيات وأوائل التسعينيات بعد إصدار قانون التليفزيون الذى قلص دور خدمة البث الحكومية، ولكى يتم التنافس على كسب أكبر حصة ممكنة من مؤشر إقبال الجمهور كان على المحطات أن تخفِّض من إنتاج النشرات الإخبارية ذات التكلفة العالية وأن تزيد جرعة المنوعات.

وأدى الحرص على الكسب التجارى والمنافسة الشرسة بين القنوات إلى اضطرار محطات البث أن تخفض تكلفة الأخبار الخارجية ومصروفات مراسليها بالخارج، وكان يكفى عمل (بنك معلومات للمواد الإعلامية) pooling service حيث يمكن لمصدر واحد توفير المادة الفيليمة نفسها لكل المحطات.

كان لظهور قناة السى إن إن باعتبارها قناة بث ٢٤ ساعة مع النشرات الإخبارية العاجلة، كإنتاج متخصص، مساهمة كبيرة فى دفع شبكات المحطات التليفزيونية بعيداً عن ميدان المنافسة حول الأخبار. وعليه تم ترك نشرات الأخبار العاجلة والعناوين الرئيسية لقناة السى إن إن لتغطية الأخبار.

كانت الصحف الأمريكية فى الحقبة الاستعمارية وبدايات الجمهورية تتحرى شكلاً معينًا لترتيب الأخبار فتبدأ باستعراض أبرز الأحداث التى حصلت فى العواصم الأخرى وتختتم الأخبار بالأنباء المحلية من الولايات المتحدة الأمريكية، وهذا بالضبط عكس ما يحدث فى التطبيقات الحديثة للأخبار حيث انتقلت الأخبار المحلية إلى الصفحة الأولى واحتلت الأخبار الدولية الصفحات الداخلية للجريدة (بارنهرست ونيرون ٢٠٠١).

فى العهود الأولى للصحافة الأمريكية اعتاد رجال الإعلام النظر إلى الصحافة باعتبارها مسرحًا سياسيًا لكن التحرك نحو اقتصاديات السوق كان له تأثيره على الصحف، حيث أصبحت ممتلئة بمعلومات عن سلع المستهلك (بارنهرست Forthcoming).

يرى جانز (٢٠٠٣، ٢٣) أن انكماش عدد المتابعين للأخبار قد دفع ميديا الأخبار إلى زيادة أقسام الأخبار الخفيفة كى تجذب أو على الأقل تحافظ على حصتها من المتابعين، ثم أضاف أن هذا قد أثمر المزيد من الأعمال لكتاب القصص الإخبارية، وأدى إلى انخفاض وظائف مراسلى الأخبار الجادة. فقد هجر المواطن الأمريكى متابعة ميديا الأخبار، سواء الأخبار المطبوعة أو حتى المرئية وذلك خلال التسعينيات (جانز ٢٠٠٣، ٣١)

شهدت ميديا الأخبار الغربية زيادة كبيرة فيما يطلق عليه الأخبار الإنسانية، وظهر هذا الميل لهذه النوعية من الأخبار منذ عقود طويلة، حيث بدأت الصحف بتقديم هذا الشكل من الأخبار فى صورة ملحق أسبوعى، وبعد ذلك صار جزءًا لا يتجزأ من الإصدارات اليومية.

يتضمن هذا النوع الجديد والذى يسمى بـ "الصحافة الخدمية أو البرامج المعلوماتية الترفيهية" (هجارفارد ١٩٩٥، ايد ونايت ١٩٩٩، جانز ١٩٩٩) أخباراً عن البضائع الاستهلاكية وأساليب الحياة المختلفة، فى حين نجد أن صحافة المستهلك تبحث وتناقش أسعار السلع والخدمات حتى ترشد القراء لأفضل سعر للشراء، ونجد من ناحية أخرى صحافة أسلوب الحياة تتناول قضايا مطاطية أخرى مثل الاتصال والجنس كى تقود القارئ نحو حياة سعيدة مكتملة، ومن بين أسباب طلب القارئ هذا النوع من الصحافة حصول الرفاهية التى تمتع بها القارئ منذ نهاية الحرب العالمية الثانية (هجارفارد ١٩٩٥).

وقد عبر السياسيون فى بريطانيا عن استيائهم من تخلى التحقيقات الصحفية اليومية عن أخبار البرلمان البريطانى، ومن ناحية أخرى رد رجال الميديا أن ما يفعلونه هو نتيجة عدم اهتمام القراء والمشاهدين بهذا النوع من الأخبار.

ركزت قناة السى إن إن أيضًا على أخبار الصحة وأسلوب الحياة على حساب الأخبار السياسية (هودجسن ١٩٩٩)، وبهذا صار الخط الفاصل بين الأخبار الخفيفة والجادة غير واضح المعالم، فصارت الأخبار الخفيفة هى الجزء الرئيسى فى الميديا الجيدة أو الجادة فى حين تراجعت الأخبار السياسية فى الأولوية (هجارفارد ١٩٩٥).

وأثارت هذه النزعة قلق الصحفيين الأمريكيين، الذين عبروا عن قلقهم حيال تقديم الأخبار الحقيقية وفى الوقت نفسه تجنب الإثارة. وعلى الرغم من تراجع حصة الأخبار السياسية الخالصة مئة بالمئة فى الصحافة الأمريكية فإن رجال الصحافة الأمريكية لا يزالون ينظرون إلى مهمتهم من منظور تاريخ تقارير الأخبار السياسية، الذى يملى عليهم مهمة إخبار العامة من الشعب، والعمل على مراقبة الأحداث وتيسير الديمقراطية[١].

---

(١) المسح القومى للصحفيين الصادر من قبل لجنة الصحفيين المعنيين ومركز بيو للأبحاث للأفراد والصحافة.
انظر http://www.journalism.org/resources/research/reports/surveycomment.asp

يُظهر تحليل محتوى الأخبار على مدار العقود الثلاثة السابقة أن الأخبار "التقليدية" عن الحكومة والجيش والشئون الخارجية لا تزال تحتل جزءًا من الأخبار رغم أنها شهدت تراجعًا ملحوظًا. فى الوقت الذى تزايدت فيه جرعة الأخبار الخفيفة وأخبار النجوم والمشاهير(1). ورغم أن موضوعات الصفحات الأولى فى الصحف الأمريكية لا تزال مشتملة على الأخبار السياسية والشئون الداخلية والخارجية فإنها شهدت تراجعًا طفيفًا خلال الفترة من ١٩٧٧ حتى ١٩٩٧(2).

سأل الباحث الجزائرى كيرات خلال بحث مسحى - الصحفيين الجزائريين حول تعريفهم الشخصى لكلمة أخبار، وكانت إجابة الغالبية منهم أنها: الأحداث "ذات الاهتمام المشترك لكل من الوطن والشعب" (١٩٨٧، ١٦٨) بينما رأى آخرون أن الأخبار: هى أمور لها صلة بالحكومة، وبمعنى آخر: الأخبار هى السياسة.

وأكد استفتاء بخيت (١٩٩٨) للصحفيين المصريين وملاحظته للأخبار القومية والأخبار الحزبية هذه الفكرة؛ حيث أوجز أن الأخبار السياسية تشكل الجزء الأكبر من الأخبار بشكل عام، وبخاصة الأخبار التى تخص السياسات العربية والأنشطة الرئاسية (أو أخبار المراسم). اتفق الصحفيون المصريون سواء الجانب القومى أو الصحافة الحزبية على أن أخبار المراسم الرئاسية تحتل مساحة أكبر مما ينبغى فى صحفهم، فى حين أن الأنواع الأخرى من الأخبار ذات الموضوعات الأخف من حيث المضمون مثل البيئة والأسرة وحقوق الإنسان والعلوم يلزم أن تحصل على أماكن أكثر صدارة ضمن قائمة قيم الأخبار فى الصحافة المصرية.

---

(١) انخفضت فجأة قصص الأخبار التقليدية من ٦٦٪ عام ١٩٧٧ إلى ٤٩٪ عام ١٩٩٧ فى حين صعدت أخبار المنوعات بما فيها الموضوعات المعنية بأسلوب الحياة وأخبار الجريمة من ٥٪ عام ١٩٧٧ إلى ١١٪ عام ١٩٩٧ . المصدر: تغيير تعريفات الأخبار. إنتاج مشروع الامتياز فى الصحافة. انظر: www.journalism.org

(٢) تغيير تعريفات الأخبار.

كما أظهر استفتاء آخر للصحفيين المصريين أنه فى الوقت الذى اتفق فيها رؤساء التحرير على أن الموضوعات السياسية هى النوع الأكثر أهمية فى تقاريرهم اليومية، نجد أن العاملين معهم يشددون على ضرورة أن تفى هذه الأخبار بمصالح البلاد (عبد النبى: ١٩٨٩)

يُعرِّف تركستانى (١٩٨٩، ١٢٧) قيم الأخبار فى الميديا العربية بحسب التحليلات السابقة حول المضمون والتى تشير إلى طبقة المسئولين باعتبارهم لازمة مهمة للأخبار العربية، ولذا نجد أن صحافة الاستقبال والتوديع كما يسميها القاسم (١٩٩٩) هى جزء لا يمكن الاستغناء عنه فى منظومة الأخبار فى العديد (إن لم يكن كل) من البلدان العربية، وأن موضوع الصراع العربى الإسرائيلى يحتل المكانة العالية.

يزعم رو (١٩٨٧: ٧) أن تسييس الصحافة مظهر شديد التأصل فى الصحافة العربية، مما يجعل من الصعب عليها أن تتأثر بتقليد الصحافة الحرة الفرنسية والبريطانية حتى خلال الحقبة الاستعمارية.

وهذا قد يشوبه شىء من المبالغة، ففى أعقاب استقلال الدول العربية شعر العرب بالحاجة إلى التركيز على فكرة الوطنية والإقليمية العربية أكثر من تبنى الصحافة النقدية حول الشئون الداخلية، وعلاوة على هذا، قد كان هناك بالفعل اختلافات جوهرية بين تقاليد الصحافة البريطانية والفرنسية، ففى حين تقوم الصحافة البريطانية والأمريكية على مركزية الحقيقة نجد أن الصحافة الفرنسية تخلط بين الخبر والتعليق.

ويقول سكودسن إن الصحافة الفرنسية والأوروبية القارية الأخرى لم تتبع أى توجه موضوعى خلال عدة عقود بعد الأمريكان، وحتى إن وجد فهو ليس ناضجًا (٢٠٠٣: ٨٥).

يمدنا الكاتب عايش (٢٠٠١) بسببين وراء وفرة الأخبار السياسية فى ميديا الأخبار العربية، الأول: هو التطورات السياسية والاقتصادية فى الشرق الأوسط خلال الخمسين سنة الماضية والتى كفلت أرضًا صلبة للسياسة فى ساحة ميديا الأخبار.

الثانى: هو حقيقة أن البث الإذاعى والتليفزيونى لا يزال فى العديد من البلاد العربية محكومًا ماليًا أو سياسيًا أو ربما ماليًا وسياسيًا من قبل الحكومات القومية، ولذا فإن الأخبار التى تتضمن رؤساء الحكومات، أو ما يطلق عليها أخبار المراسم دائمًا وأبداً جزء من الأخبار العربية، على عكس ميديا الأخبار الأمريكية التى لا تقيم الأخبار بحسب الأشخاص المشتركين فيها، بل بالأهمية الإخبارية للحدث المعروض (عايش ٢٠٠١، ١٤٩).

أجرى عايش (٢٠٠٢) تحليلا للمضمون على عينة من نشرات الأخبار التى أخذها من ثلاث قنوات عربية فضائية، وهى: قناة أبو ظبى الفضائية وقناة الجزيرة وقناة سوريا الفضائية، وأظهرت النتائج أن كم الأخبار التى تناولت القضايا الإقليمية العربية والدولية تفوق بكثير وزنًا وأهمية تلك التى تناولت الشئون المحلية باستثناء قناة سوريا الفضائية، قد تنعدم الشئون المحلية تقريبًا فى قناة الجزيرة وأبوظبى، فى حين تصل تغطيتهم للشئون الدولية إلى ٥٤٪ فى قناة الجزيرة و٤٧٪ فى قناة أبوظبى.

إضافة لهذا نجد أن الأخبار التى تتحدث عن الأمور الإنسانية والثقافية مهملة لحد بعيد، لكن من الضرورى أن نذكر أن الجزيرة ضمن قنوات أخرى تقدم موضوعات ثقافية خفيفة وقصيرة وإن كانت، فى الدقائق الأخيرة من نشرة أخبار ليلية، ومصحوبة بتعليق قصير ومقتضب، وهذا العمل فى حد ذاته يظهر مدى اهتمام هذه القنوات بهذا النوع من الأخبار التى تقدمها.

كما يتزايد أيضًا كم الأخبار الخفيفة فى الصحافة العربية وإن كان هذا متأخراً كثيرًا عن نظيرتها الغربية، كما أن هناك اهتمامًا متزايداً بأخبار عن القضايا الإنسانية فى الصحف التى يطلق عليها عربية إقليمية مثل الحياة والشرق الأوسط.

كان لصحيفة الحياة اللبنانية السعودية ملحق أسبوعى اعتيادى موجه لمختلف الفئات من القراء مثل الشباب ورجال الأعمال والسفر والترحال حتى أدرج هذا النوع من الأخبار فى الصحيفة اليومية.

تعدُ الصحافة الآن بمثابة المادة المحفزة لرفع وعى العامة من الشعب حول القضايا العالمية، فعلى سبيل المثال لعبت الصحف الخليجية دوراً فى نشر الوعى بين الشباب العرب حول شبكة الإنترنت وقوتها التأثيرية[1].

كانت الأخبار المذاعة فى التليفزيون أو حتى على القنوات العربية الفضائية تعرض القليل جداً من الأخبار النسائية وتركز عوضًا عنها على الأخبار السياسية (عايش ٢٠٠١). ومع هذا فلقد رجح محررو الأخبار فى التليفزيون العربى أن مشاهديهم ربما يرغبون فى المزيد من الأخبار الخفيفة لكن ليس على حساب الأخبار (التثقيفية المفيدة) (تركستنانى ١٩٨٩، ٢٥٢). حتى الأخبار الخفيفة كانت تحت رحمة سوق العرض والطلب الموسمى كما فى رمضان عندما عملت الصحف العربية على جذب المزيد من القراء وكسبت المزيد من العائد على الإعلانات من خلال برامج (فوازير رمضان) حتى تنافس فى تقديم الأسهل (الشرق الأوسط ٧ نوفمبر ٢٠٠٢).

إن أولوية الأخبار السياسية التى عهدتها ميديا الأخبار العربية وتراجعها الآن فى الميديا الغربية لا يعنى بالضرورة أن مشاركة القراء العرب أكبر فى الحياة السياسية مقارنة بمشاركة القراء الغربيين، المنشغلين أكثر من أى فترة سابقة بالقضايا السياسية.

لكن من التفسيرات الجيدة لهذا الأمر هو حالة الأمن والرفاهية التى يتمتع بها القراء الغربيون؛ حيث لم يعودوا يخشون من احتمال حروب عالمية، أما الحروب التى يجريها حلف الناتو لا تحمل مضامين الحروب نفسها التى عهدها آباؤهم وأجدادهم بالسابق فى القارة الأوروبية.

وقد قام الاستقرار السياسى الذى يتمتعون به الآن بتوجيه اهتماماتهم وأنظارهم لجوانب أخرى وهى جوانب غير محكومة بإجماع الآراء كما فى السياسة بل بحسابات

(١) أعد ويلر (٢٠٠١) تقريراً عن دراسة سابقة قام بها الخليفى وفيها أكثر من نصف طلبة الجامعة السعوديين تم مقابلتهم شخصيًا حيث أقروا أنهم عرفوا بشبكة المعلومات (الإنترنت) من خلال الصحف والجرائد. تفقدت الصحف الكويتية خطا السعوديين وقامت بإضافة ملحق أو قسم خاصة بالإنترنت.

مستجدات الأمور، ومن هذه القضايا مشكلة الإيدز وارتفاع حرارة الكون (هودجسن ١٩٩٩). من ناحية أخرى لا يزال الجمهور العربى يحيا ظروفًا سياسية غير مستقرة، ولا يزال يعانى من تبعات عهود طويلة من الحكم الاستبدادى وغياب حرية التعبير[١] وعليه فلا عجب أن نجدهم يقبلون بشغف على الأخبار السياسية أو يطلبون منها المزيد.

من الطريف أن نجد الباحث جونز (١٧٢:٢٠٠٢) يرى أن هناك صلة أو علاقة متبادلة بين القمع السياسى والجنسى من ناحية وبين تراجع الوظيفة الترفيهية للأخبار من ناحية أخرى، بمعنى أنه عندما يخف ضغط السلطة على الأفراد فإنهم يميلون إلى إبداء اهتمام أكبر بأخبار المنوعات مثل الجريمة والجنس والفضائح، فى هذا السياق نلاحظ أن حجم وجود صحافة صفراء قد يكون هو المعيار الذى يبين إلى أى مدى تحرر المجتمع.

إن جهود الصحافة لجذب المزيد من القراء وبخاصة من الأجيال الشابة قد يكون بالفعل أحد عوامل زيادة جرعة الأخبار الخفيفة.، فعلى سبيل المثال صحيفة الراية القطرية والمتعارف عليها كصحيفة للشباب القطرى تعمل عمل منبر متعدد الآراء والمساهمات (الشرق الأوسط، ٣ مارس ٢٠٠١). إضافة إلى هذا أعلن القراء اللبنانيون رغبتهم فى الحصول على خليط من الأخبار والمقالات فى مختلف جوانب حياتهم اليومية، السياسية والموسيقية والرياضية والتعليمية.

فهم لا يشترون صحفًا معينة لأنها تحتوى على ملحق خاص، بل ليستخلصوا من كل الصفحات ما يثير اهتمامهم من قصص الأخبار (الحياة، ١٤ اكتوبر ٢٠٠٣).

وحسب ما جاء فى دراسة عايش المذكورة آنفًا فإن غالبية موضوعات الأخبار السياسية تتناول الشئون العربية والدولية، بينما نجد الشئون المحلية محصورة فى بعض المؤسسات الإعلامية غير الموجودة.

---

(١) انظر مثال: تقرير دار الحرية لعام ٢٠٠٢

فى الواقع لفتت التقارير الإخبارية الأجنبية انتباه العديد من الباحثين العرب إلى الاعتماد الكلى للإعلام العربى على وكالات الأنباء الدولية باعتبارها مصادر جديدة، فهم يرون فى هذه المصادر توجهًا غربيًا يحقق شكلا من التعبئة لحكوماتهم. لكن هذا القول يمكن الطعن فيه الآن باعتباره ينطبق فقط على الصحافة المكتوبة نظرًا لضيق الموارد المالية المتاحة لتعيين مراسلين تابعين لهم.

ويبرر المحررون العرب اختيارهم التركيز على الأخبار الأجنبية دون المحلية؛ لما تتصف به الأخبار المحلية بالرتابة المراسمية (تركستانى ١٩٨٩، ٢٥١)، إضافة لهذا تبدو الميديا كأنها تطبق خطة عمل ما موجهة فقط للشئون الخارجية (سكودسن ٢٠٠٢، ١٦٠ والهاكيل وملكوت ١٩٩٥، ٣٤)

الأخبار مسئولية اجتماعية

إذا نظرنا إلى الأخبار فى العالم العربى من منظور تاريخى نجد أنها لم تكن منتجًا جماهيريًا، بل كان هدفها الرئيسى هو مد المسئولين والحكام بالتعليمات التى ترشدهم نحو تحسين أدائهم (ايلون ١٩٩٥، ١٥). لكن الحكام بحلول منتصف القرن التاسع عشر جنحوا إلى تحديد الدور الفعال للإعلام، فقد اشترى الخديوى إسماعيل «حفيد محمد على» (١٨٦٣-١٨٧٩) حصصًا فى الصحيفة الفرنسية «لوتيمب» للترويج لسياساته، وقدم منحًا ودعمًا سخيًا لصحيفة الوقائع المصرية (إيالون ١٩٩٥،١٩)، ولهذا صارت الأخبار علامة الحداثة والعصرية وانتعشت بحسب الدور الذى عهد إليها من قبل الحكام والمسئولين، ولا تزال ميديا الأخبار سمة لعصرية المنطقة وصناعيتها.

يشير الشريف (١٩٨٠، ٢٨) إلى قدرة بعض من الإمارات الصغيرة فى الخليج على العيش بدون جيش ما دام بمقدورهم توفير صحف يومية ومحطات إذاعية وتليفزيونية مما يعد علامة على القدرة الاقتصادية والاندماج فى العالم الحديث.

يشير الباحثون المعاصرون إلى سلطة الأخبار والدور الاجتماعى الذى تلعبه فى الديمقراطية، ويصرح جون فيسك (١٩٨٧) بأن الأخبار معرفة، وبما أن المعرفة قوة فإن الأخبار قوة.

ومع هذا عادة ما نجد الأخبار حاضرة فى كل من المجتمعات الديمقراطية والمجتمعات التى تعيش تحت وطأة الاستبداد والدكتاتورية، فالأخبار تنتشر فى كل مجتمع ومع ذلك لا يزال ينظر إليها على أنها قوة.

شجعت التغيرات السياسية والاجتماعية التى حدثت خلال العقود الثلاثة الماضية على تحليل تغيرات العالم فى الإعلام بلغات جديدة[1]، على المستويين القومى والدولى، وعلى الرغم من وضوحها فى الشكل فإنها غير واضحة فى المضمون.

فى الدول التى تنعم بقدر أقل من الديمقراطية تعد الميديا الإعلامية أداة فعالة، مما يتطلب أن تصبح فى قبضة النظام الحاكم ومعاونيه. يسمى زهو (١٩٩٨) المنطق السياسى فى تحليله للصحافة الإخبارية فى الصين الحديثة - بالمنطق الحزبى الموجود جنبًا إلى جنب مع منطق السوق. أما فى العالم العربى فعلى الرغم من غياب الحريات الكاملة للصحافة فإنها تلعب دورًا محوريًا، وبخاصة بعد إطلاق القنوات الفضائية الجديدة.

ينظر عبد النبى (٢٤،١٩٨٩) إلى الأخبار باعتبارها عملية يكتسب من خلالها القارئ معرفة بمختلف الأحداث التى حدثت فى المجتمع خلال فترة زمنية معينة، وهو بهذا يفرق بين الأحداث والعمليات؛ فعندما يقع تصادم لقطار ما فهو حدث، بينما عندما يتم تصليح قضبان السكك الحديدية فهى عملية. وبهذا يدلل عبد النبى على أن تناول العملية أكثر فائدة وأهمية من تناول الحدث؛ لما تلعبه من دور أعظم بالنسبة للعامة مقارنة بالحدث.

---

(١) يمدنا هجارفارد (٢٠٠١) بنظرة شاملة لبعض العوامل التى أثرت على صناعة الأخبار الدولية.

ومن الحتمى أيضًا أن تكون الأخبار دقيقة وصادقة وموضوعية، إضافة إلى هذا فإن للأخبار وظيفة تنموية فى البلدان العربية، وهذه النوعية من الأخبار من شأنها إضافة شىء ما إلى معرفة القارئ؛ لهذا لا يعتبر عبد النبى (١٩٨٩) أخبار الجرائم أو أخبار المراسم أخبارًا حقيقية؛ حيث إنها لا تضيف جديدًا إلى معرفة القارئ.

علاوة على هذا فإن الإلمام بالسياق السياسى والاجتماعى يعد جانبًا مهمًا فى الأخبار، ولهذا السبب كما يرى محمد حسنين هيكل رئيس تحرير الأهرام السابق[١] فإن العرب لا يرغبون فى المشاركة فى المجالات العامة؛ لأنهم لا يدرون ماذا يجرى داخل بلادهم (عبد النبى ١٩٨٩).

أما أبو زيد (٢٠٠٠، ٣٢) فإنه لا يعتبر البحث الإعلامى العربى قد وضع فى حسبانه الوظيفة الخاصة للأخبار فى الدول النامية، فعلى سبيل المثال قد تبنت مصر أيديولوجية اجتماعية فى الستينيات لكن التعريف الاجتماعى أو الخصائص المميزة للأخبار الاجتماعية لم تنعكس على الصحافة فى هذا الوقت. على الجانب الآخر يشدد باحثو الميديا على أن المسئولية الأخلاقية والاجتماعية لرجال الأخبار تملى عليهم ألا يستثيروا الرأى العام، بل عليهم أن يحافظوا على الوضع الراهن كما هو، فمن الضرورى أيضًا الحفاظ على وحدة الأمة بعدم إشعال أى صراعات عرقية أو دينية (عبد النبى ١٩٨٩)[٢]، وكذلك لا ينبغى أن تصير المقدسات أو المحرمات (التابوهات) جزءًا من الأخبار.

---

(١) قيل على هيكل إنه "الصحافى الأكثر قوة فى العالم" (منير ١٩٧٩)

(٢) هذه النقطة مهمة خاصة بالنسبة لمصر حيث يوجد المسيحيون الأقباط الذين يقدرون، على الرغم من غياب إحصاءات حقيقية، إنهم يشكلون ٦٪ من إجمالى عدد السكان. فى لبنان نجد حالة استثنائية مقارنة بدول العالم العربى فهى بلد مصنوع من تركيبة من العرقيات والديانات (تمثل المجموعات العرقية ٩٥٪، الآرمان ٤٪ والباقى ١٪ .. يمثل المسلمون ٧٠٪ "متضمنة سُنة ودروز وشيعة وعلويين أو نسارى" والمسيحيون ٣٠٪ (متضمنة أرثوذكس وكاثوليك وبروتستانت) ويهود. فى العراق، يتألف مجموع الشعب من مسلمين، (الشيعة ٦٠-٦٥ ٪ والسنة ٣٢-٣٧ ٪) والمسيحيين وآخرين ٣٪. العرقيات العراقية هم: عرب من ٧٥-٨٠٪ وأكراد ١٥-٢٠٪ وتركسمان وآشوريون وأخرون ٥٪ . انظر "CIA The World Facebook, 2003, available online "

على ما يبدو فإن الصحفيين يتفقون مع الباحثين على الأهمية التنموية للأخبار، وبخاصة عند النظر إلى فكرة الإبقاء على الإرث الأخلاقى والثقافى للبلد، وينظر غالبية الصحفيين السعوديين إلى الوظيفة الرئيسية للصحافة على أنها تعزز القيم الإسلامية (تاش ١٩٨٣، ١٥٢)، كما يؤكد معظم الصحفيين السعوديين على الدور التنموى للأخبار، وأن إعطاء القارئ ما يريده لا يعد أولوية (تاش ١٩٨٣، ١٥٢).

وقد دعم الباحث كيرات (١٩٨٧، ١٦٩) وجهة النظر هذه من خلال مسح أجراه على الصحفيين الجزائريين، حيث وجد أن ٦٥٪ منهم يتفقون على أن مهمة الصحافة هى المساعدة على تحقيق أهداف الخطط التنموية وأغراضها، كما اتفقوا على الحاجة إلى سرعة توفير المعلومات للعامة، مشددين على إعكاس وظيفة الصحافة الحقيقية من خلال هذه المعلومات[1] بينما لا يشددون كثيرًا على الدور التحليلى لها (كيرات ١٩٨٧، ١٦٩)، وبذلك يتفق الصحفيون من كلا الدولتين العربيتين على أهمية استخدام الصحافة أداةً لتعزيز القيم الإسلامية.

فى حين أن ما يقرب من ٨٠٪ من الصحفيين الأمريكيين يعتبرون أن الدور التحقيقى والتحليلى لهذه المهنة هو الأكثر أهمية[2]، ويمكن تعريف التحقيقات الصحفية بأنها ممارسة صحفية جادة وخطيرة تسعى لكشف الأحداث والعمليات المحجوبة عن العامة (أوكوين ٢٠٠٢: ٢٠٩).

أدت الحياة السياسية فى الولايات المتحدة خلال الستينيات والسبعينيات إلى زيادة الطلب على هذا النوع من التقارير، حيث عززت المحكمة العليا حقوق الصحفيين فى جمع المعلومات (أوكوين ٢٠٠٢، ٢١٥)، ورغم هذا نجد أن الشعب الأمريكى غير سعيد بالدور الرقابى الذى تلعبه الصحافة، هذا باستثناء الصراع السياسى، حيث يفضلون

---

(١) يقسم ميلجلباى (١٩٩٩: ٦٤) قصص الأخبار إلى ثلاث صور: الرأى الصحفى، الانعكاس الصحفى (مجرد نقل المعلومة من المصدر للقارئ) والتحقيقات الصحفية.

(٢) الجمعية الأمريكية لمحررى الصحف (١٩٩٧): صحفيو الصحف فى التسعينيات. انظر ww.asne.org/kiosk/reports/97reports/journalists90s/coverpage.html

فيه التحقيقات الصحفية، التى تشير إلى الحلول أكثر من كشف المعلومات والفضائح (جانز ٢٠٠٣، ٣٤) وإلا فإن التحقيقات الصحفية هى فى الأساس تقريرات أخلاقية من شأنها الحفاظ على القيم الأخلاقية (جانز ٢٠٠٣، ٧٩)

لاحظ دجانى فى بحثيه (١٩٨٩، ١٩٩٢) غياب التحقيقات الصحفية فى الصحافة العربية. فالصحفيون العرب كما هم مذكورون فى المسح الميدانى الذى أجراه تركستنانى (١٩٨٩: ٢٣٦) يشجعون الصحافة التحقيقية باعتبارها نموذجًا مثاليًا، مشيرين إلى صعوبة إجراء هذا النوع من الصحافة فى المجتمعات العربية، وأشاروا أيضًا إلى الوظيفة الترفيهية للميديا، وبخاصة ما يتم بثه إذاعيًا منها، حيث إنهم يهدفون بالدرجة الأولى إلى إحداث مناخ جيد أكثر من كونهم وسيلةً تُلقِى على أكتاف مشاهديها وزر أخطاء الآخرين، حتى وإن كان هؤلاء الآخرون يجب مساءلتهم بشأن هذه الأخطاء" (تركستنانى ١٩٨٩، ٢٣٦).

يرى باحثون آخرون (فاندى، ٢٠٠٣) أن الصحافة العربية فشلت فى التحقيقات الصحفية، لأن صحفيى هذا المجال أكثر انشغالا بكتابة المقالات (أى التعليقات) أكثر من اهتمامهم بتدقيق تقارير الأخبار والتحقق منها، ناهيك عن أن إجراء التحقيقات الصحفية يحتاج فى البداية إلى سهولة الحصول على المعلومات المطلوبة، وهو شىء غير متاح للصحفيين العرب.

على سبيل المثال يرجع الصحفيون الجزائريون فشل الصحافة فى تبنى الصحافة التحقيقية فى الجزائر إلى انعدام الحماية المطلوبة للصحفيين، وغياب المؤسسات السياسية التى تيسر هذا النوع من العمل (كيرات ١٩٨٧، ٥٦).

لكن هذا النوع من التحقيقات تم تقديمه حديثًا على أيدى مستثمرين مقامرين فى مجال الميديا العربية، فى صورة ما يطلق عليها "الصحافة الصفراء". قالت الصحيفة الإماراتية "البيان" فى عددها الصادر فى ٥ مايو سنة ٢٠٠٠ أن القراء العرب يسعون أكثر وراء التسلية، ولهذا ينجذبون نحو الصحف الصفراء.

١

شهدت مصر صدور عدد من الصحف التى وصفت من قبَل الجرائد الموجودة بأنها صحف صفراء. من بينها صحيفة "النبأ"، تلك الصحيفة التى تجاوزت حدود الحرية المتاحة ، حتى ألجأت المجلس الأعلى للصحافة أن يضيف اسمًا جديداً إلى قائمة الإصدارات المحظورة للصحافة، وهو (استثارة الصراع الدينى)، وذلك بعد أن كشفت هذه الصحيفة الصفراء حال راهب قبطى سبق اتهامه بممارسة الفحشاء مع عدة نساء[١].

وقد كان من المناسب إرساء الصحافة الصفراء فى مصر، حيث أدرك الناشرون أن إصدار صحيفة صفراء يومية أو أسبوعية أقل تكلفة من إصدار مجلة ذات طباعة فاخرة وملونة أو إطلاق قناة خاصة، ويرجع الفضل فى هذه الفكرة إلى الثغرات الموجودة فى قوانين الصحافة، والتى تسهل عملية الالتواء على السلطات بطرق أكثر دهاء للحصول على تراخيص إنشاء الجريدة.

وظهرت أيضًا الصحف الصفراء فى الأردن، وقد ميزت نفسها عن باقى الصحف الموجودة باختلاف محتواها، وأيضًا التحقيقات الصحفية التى تقوم بها. قال جورج الحواتمى المحرر فى ذلك الوقت فى صحيفة الأردن تايمز عن الصحف الصفراء: " أنا شخصيًا أعتقد أن للصحف الصفراء تأثيراً إيجابيًا، حيث نجد لديها من الجرأة ما يكفى للكشف أو التحدث عن قضايا لم تتجرأ الصحف اليومية الموجودة والمؤيدة أن تنطر إليها، ولديها التحقيقات الصحفية، لكنها غير مدعمة جيداً بالوثائق أو حتى بالأبحاث الجيدة" (مأخوذ من حونز ٢٠٠٢، ١٧٧).

---

(١) فى عدد الأهرام ١٧ ديسمبر ٢٠٠١ . انتهت هذه الحالة فى المحكمة حيث حكم على رئيس تحرير النبأ بالسجن ثلاث سنوات. وصل معدل توزيع جريدة النبأ ٢٠٠٠٠٠ نسخة وكان محتوى مقالتها الافتتاحية ينصب على الفضائح والجنس والجريمة. وحسب الباحث عبد الرحمن (٢٠٠٢:٧٣) فإن التسعينيات من القرن العشرين شهدت إصدار العديد من الصحف التى زعمت أنها مستقلة ونجحت فى الحصول على تراخيص من دول أجنبية. فهم لا يتكلمون قانونيًا ويتبنون قواعد المجلس الأعلى للصحافة ولوائحه ولكن يخضعون لقواعد وزارة المعلومات ولوائحها (قوانين الطباعة) وأن مصدر دخلهم الرئيسى هو من عائد الإعلانات.

وتعليقًا على هذا يقول رئيس تحرير صحيفة "شيحان" الأردنية: إن التحقيقات الصحفية ليست دائمًا مدعومة بوثائق، لكن الفكرة محل الكلام حقيقية، فمثلاً: إذا كان وزير ما قام بسرقة مبلغ معين من المال فليس مهماً أن يكون المبلغ ١٠٠ جنيه أو ١٠٠٠ جنيه، فالفساد موجود فى كلتا الحالتين.

إن السبب وراء قلة التوثيق هو ثقافة الإخفاء والسرية بين المسئولين فى الأردن، فمن الصعب الحصول على رقم أو معلومة دقيقة (جونز ٢٠٠٢، ١٧٩)؛ ولهذا فالصحافة ليس بمقدروها القيام بالدور الرقابى كما هو الحال فى الصحافة الأمريكية، نظراً للقيود المفروضة على عملها.

يقال عن الصحف الصفراء فى مصر إنها مفتونة بالفضائح الأخلاقية، وبخاصة ما يتعلق بالجنس، وهذا كما يبدو ملمح مشترك بينها وبين الصحف الأمريكية، ويعدُ هذا النوع من الفضائح لديها مثل وجبة أساسية (بمعنى لقمة عيش)، فالصحافة الأمريكية فى هذه المسألة تميز نفسها عن الصحف الغربية الأخرى، مثل الصحف الألمانية، بأن مثل هذه الفضائح هى فقط مصدر للضحك أكثر من كونها خبراً لذاته (سكودسن ٢٠٠٣، ٩٨).

بالفعل إن الدور الحاسم الذى تلعبه التقاليد الثقافية فى الممارسات الصحفية هو ما يميز الأسس الأخلاقية الصحفية التى يتبعها الغرب عن تلك التى تتبعها البلاد العربية (حافظ ٢٠٠٢،٢٤١) وبصورة معلنة أكدت بعض البلدان العربية مثل المملكة العربية السعودية على دور التقاليد فى الممارسات الصحفية، فى حين لم تنوه دول أخرى إطلاقًا إلى هذا الدور، وبالتالى لم يُترك اللجام للصحفيين كى يكتبوا ما يحلو لهم بل صاروا مقيدين بالتقاليد الثقافية والاعتبارات السياسية.

وعليه يمكن تقسيم البلدان العربية إلى ثلاث فئات، جميعها بعيد كل البعد عن حرية التعبير كما نعرفها: **الفئة الأولى**: تتضمن الدول التى تشدد نظمها القانونية على الحرية باعتبارها قيمة شديدة الحساسية مثل الجزائر والمغرب وتونس، أما **الفئة الثانية**: فتضم الدول ذات الحرية المحدودة بصورة صريحة لاعتبارات سياسية أو ثقافية أو دينية،

أما **الفئة الأخيرة**: ففكرة الحرية غير مطروحة فى قوانينها أصلا مثل العراق أو فى ميثاق الإعلام الإسلامى.

يقول حافظ (٢٠٠٢، ٣٣): إن جهود المؤسسات الصحفية المستقلة فى الدول الغربية للدعوة إلى الحرية باعتبارها حقًا أساسيًا قد أثمرت المزيد من الممارسات ذات التوجه التحررى أكثر مما لدى الدول العربية حيث تفرض النظم الاستبدادية القوانين.

ومن الناحية المهنية فإن اتحاد الصحفيين العرب يجعل من المسئولية الاجتماعية الاعتبار الأكثر أهمية للصحفيين العرب، وهو ما سبق ذكره فى ميثاق الاتحاد لعام ١٩٦٤، والذى ينص على ضرورة أن يكون الصحفيون العرب أمناء فى التعبير عن آرائهم الصحفية، وأن يضعوا فى حسبانهم التبعات العامة لهذه الآراء على مجمل العامة من الشعب، وأن يتوخوا الحذر فى جمع الأخبار وأن يتحققوا من المعلومة قبل نشرها.

كما أن هناك التزامًا آخر بتجنب الحقائق المشوشة وعدم السعى وراء المصالح الشخصية، كما يلتزم الصحفيون بحماية مصادر أخبارهم، وعدم التعليق على أى اضطراب وقع فى بلد آخر ما لم يحصلوا أولا على معلومات صحيحة.

لم تقتصر المسئولية الاجتماعية للصحفيين على مهمة التحقيق والتعليق على الأخبار فحسب، بل إن الصحفيين ملتزمون كذلك بكشف خروقات صحفيين آخرين لهذه القواعد (الجمال ٢٠٠١: ٦٦)

يتفق باحثوا الميديا على هذا الرأى، بل والأكثر من هذا أنهم يشجعون قطاع الميديا حتى يتصرف بحسب المسئولية الاجتماعية التى عهدت إليه. قال أحد أساتذة الاتصالات السعوديين (سليمان الشامرى) : إن القنوات الفضائية العربية تحمل مسئولية عظيمة تجاه مجتمعاتها. ولهذا فعليهم مواجهة الولايات المتحدة من خلال معارضيها داخل البلد، والذين يستطيعون مساندة عملهم، كما نادى بضرورة عقد لقاء مشترك بين مجالس إدارة القنوات لمناقشة الطرق اللازمة لاحتواء الدكتاتوريات

والمجموعات المتعصبة. وكذلك كتب فى (الريس ٢٠٠٣، ١٣) : "علينا أن نعمل من أجل مصالحنا بطريقة موضوعية دون استثارة الأطراف الأخرى".

عندما قررت الحكومة الانتقالية العراقية الحد من دخول قناتى الجزيرة والعربية إلى العراق بررت فعلتها هذه بأن المسئولية الاجتماعية للميديا العربية تحتم عليها تجنب استثارة العنف والفوضى أو الصراعات الثقافية والدينية، وهى الأمور التى اتُّهمت بها هاتين القناتين (الوسط ٦ أكتوبر ٢٠٠٣، ١٢ - ١٣)، وقد وجد التوجه نفسه فى مؤتمر الميديا العربية الذى عقد فى الكويت فى يونية ٢٠٠٣ (الشرق الأوسط ١١ يونية ٢٠٠٣).

والصحفيون العرب على نقيض نظرائهم الغربيين - لا يوافقون غالبًا على استخدام الكاميرات الخفية أو فضح الوثائق السرية أو الرسمية أثناء التحقيق فى أمور رسمية. فأكثر من ٤٦٪ من الصحفيين الكويتيين لا يوافقون على استخدام الكاميرات أو السماعات الخفية. و٥, ٤٠٪ فقط استحسنوا هذه الطريقة، مدعين كما لو كان شخص آخر هو من جاء بالأخبار (الراشيد ١٩٩٨، ٧٣).

وعلى العكس أظهرت الدراسة المسحية التى أجريت على الصحفيين الأمريكيين والأجانب فى الولايات المتحدة الأمريكية أن ٨٢ ٪ من الصحفيين الأمريكيين متحمسون لاستخدام "الوثائق الحكومية السرية دون إذن"، بينما وافق ٦٠٪ فقط من الصحفيين الأجانب فى الولايات المتحدة (من بينهم ٥ من مصر والجزائر والمغرب والكويت ولبنان) على هذا العمل، أو على استخدام الوثائق أو الصورالشخصية (ويلنت وويفر ٢٠٠٣: ٤١٦).

قد يُعد إيمان الصحافة الغربية بالتحقيقات الصحفية جزءًا لا يتجزأ من الصورة الذاتية للصحفيين، التى ترسم ملامح دورهم فى المجتمع الديمقراطى، وهذا الإيمان جعل الصحفيين يرسمون دورًا لهم هو خليط من شرطى وباحث ومراجع ولحد ما طرف فى الأحداث والشئون الجارية.

وكمثال على هذا النوع من الصحافة نجد «مارك دالى» الصحفى العامل بوكالة أنباء «البى بى سى» الذى تخفى بين طلبة الشرطة داخل أكاديمية الشرطة فى مانشستر بإنجلترا، وهو مكان يضم عدداً من السكان يمثل الغالبية، وينتمون لأقليات من العرقيات المختلفة.

فبعدما أصدرت الحكومة تقرير ماك فرسن فى عام ١٩٩٩ والذى أكدت من خلاله ما تشعر به الأقليات العرقية؛ لكونهم الأقل حماية والأكثر اشتباهاً من قبل الشرطة، جاء هدف دالى (وهدف البى بى سى) تصوير فيلم (بواسطة كاميرا وميكرفون مخفيين) ليُسجل عبارات عنصرية جاءت على لسان مسئولى الشرطة وطلبتها.

وكان يجب اتخاذ موقف رداً على ما جاء بالفيلم؛ لذا استغنت وزارة الداخلية البريطانية على الفور عن ستة من المسئولين بالشرطة (بصرف النظر عن ما إذا كانوا هم أصل العنصرية فى الشرطة أم كانوا فى مستوى إدارى أعلى).

ثم تحدث الصحفى البريطانى نفسه فى إحدى المقابلات مع مجلة دنماركية، إذ قال: إنه شريك فى مشروع شيق آخر، ألا وهو التحقيق بالاشتراك مع بعض زملاء فى قضية قتل للوصول للقاتل الحقيقى (جيرد ٢٠٠٤)، وهو الدور الذى لا يلعبه فى الغالب غير المخبرين السريين أو رجال الشرطة المتخصصين.

فرغم أن الصحافة التحقيقية التى يتم ممارستها فى الولايات المتحدة الأمريكية وأوروبا يجب على الأقل من الناحية النظرية أن تساهم فى زيادة الثقة فى الصحافة فإن الغالبية العظمى من الجمهور فى هذا الجزء من العالم (مثل: الولايات المتحدة والمملكة المتحدة والدنمارك) يعبرون عن عدم ثقتهم فى الصحفيين؛ الذين صاروا الآن أقل الفئات المهنية موضعاً للثقة[1]. تعلل هذا «أونورا أو نيل» (٢٠٠٢) بأن حرية

(١) كى تثق فى الضغط الجوى فى الدنمارك انظر ,Lund et al. (2001) وفى بريطانيا انظر ,O'Neill 2002 وفى الولايات المتحدة انظر Poynter report on the 2002 CNN/USA Today/Gallup poll: Al Tompkins. ... فى من نثق؟ يوليو ٢٠٠٢ متوفر على: /http://poynter.org/content

الصحافة فى الغرب تتمتع بقدرغير مسبوق من الحرية والقوة، فهى فى بعض الأحيان تتعدى حدود المسئولية القانونية المطلوبة فى المجتمعات الحديثة:

قد نستخدم تكنولوجيا اتصال القرن الحادى والعشرين لكننا نتبنى وجهات نظر القرن التاسع عشر فيما يخص حرية الصحافة، وقدم جون ستورت ميل نموذجًا لذلك عندما كتب أن الصحافة فى العديد من الدول كانت تتعرض للرقابة، مع أن الصور الرائعة للصحافة هى النطق بالحقيقة للسلطات المعنية وأيضًا للصحفيين المحققين كمحكمة للشعب الذين يعملون فى أكثر الأجواء خطورة وبطولة، لكن هذه الصورة مهجورة فى البلدان الديمقراطية؛ فالصحفيون يواجهون مخاطر أقل (فيما عدا العاملين فى مهمات خارج حدود البلد)، وفى الأصل: الصحافة التى لا تخاطر يجب أن تغلق، لكننا نرى العكس فالصحافة ربحت سلطة غير مسئولة لا يمكن لطرف آخر أن يضاهيها (ص ٩٢)

إن صورة الصحفيين باعتبارهم مراجعين أو فاحصين تتزامن مع وجهة نظر السياسة التى تشكل الإدارة والسياسيين كالقادة الذين يتم تقييم عملهم، وبهذا جاءت السياسة لتكوِّن الإدارة، والصحافة لتكوِّن المراجعة (سكودسن ١٩٨٢: ١٠٨).

الأخبار هى الموضوعية

أدى التقدم التنموى مع الزيادة فى معدلات التعلم وتمدن القُراء - إلى إدخال فكرة الكتابة الموضوعية باعتبارها قيمة إخبارية مستجدة. واعتاد المحررون اعتبار التقارير الموضوعية وسيلة جيدة للجذب والاستحواذ على ذهن القراء، وبالتالى جذب والاستحواذ على المزيد من الإعلانات والمعلنين (كيلر ات ال ٢٠٠٢، ٤٦).

ففى أثناء النصف الثانى من القرن العشرين تناولت ميديا الأخبار الأمريكية بالبحث نموذج الموضوعية فى مقابل الكتابة التحليلية أو التأويلية، وقد اعتبرت الموضوعية شيئًا من المستحيل الوصول إليه (إيفنسن ٢٠٠٢: ٢٦٤).

ألقى الباحثون العرب بعض الضوء على دور الموضوعية فى التقرير الإخبارى فى الصحافة العربية رغم عدم التزامهم بتعريف الغرب للموضوعية، على سبيل المثال يوجز الباحث عبد النبى (١٩٨٩، ٨٠) مناقشته لدور الموضوعية فى الصحافة العربية بالتشديد على دور كلٍّ من القراء والصحفيين.

فالقارئ يتمتع بفطرة طبيعية تساعده على التمييز بين الحقيقى والمزيف، أما الصحفيون فإن دورهم ينبغى أن يراعى تنمية مجتمعاتهم أكثر من اعتبارهم مراقبين محايدين؛ ولذا فقد كان عليهم السعى وراء توجيه قرائهم كى يتبنوا وجهات النظر الصحيحة، وللوصول إلى هذا الهدف كان على الصحفيين تقييم تقاريرهم بعين نقدية، ومعرفة مدى تأثيرها على الرأى العام (عبد النبى ١٩٨٩: ٨٠).

إن الغموض الذى يشوب تعريف الموضوعية يقف حجر عثرة ضخم أمام الصحفيين العرب، فعلى سبيل المثال: ينص قانون الصحافة الفلسطينى على أن الصحفيين "سيُصدرون عملا صحفيًا بصورة موضوعية وكاملة ومتوازنة" لكن تفسير كلمة التقرير "الموضوعى" تركت للسلطات الفلسطينية لتحدد معناها، وكان التفسير الصارم الذى حددته السلطات سببًا فى غلق الجريدة وحبس العديد من الصحفيين (جمال ٢٠٠١، ٢٧٤).

أما المفهوم الغربى للموضوعية، والذى يعنى تقديم جانبين أو رأيين للموضوع نفسه، فليس مستحبًا فى ميديا الأخبار العربية على وجه التحديد، فتقديم أكثر من وجهة نظر قد يكون سببًا فى الاتهام بالتآمر مع العدو، وبخاصة إذا كان المسئولون الإسرائيليون طرفًا فى وجهات النظر، وهناك خوف آخر أن تُفسر هذه المقابلات للآراء مع الإسرائيليين بأنها مؤشر للتطبيع، وتلك سياسة غير مرغوب فيها على مستوى العديد من القادة العرب، فضلا عن العامة من الشعب. (العزاوى ٢٠٠٢).

لذلك فإن طرح أكثر من رأى فى هذه الحالة يعد أمرًا غير مستحب، كما أن اتحاد الصحفيين العرب نصح المراسلين بألا يعرضوا الآراء الإسرائيلية خشية الترويج للأيديولوجيات الصهيونية بين الجمهور العربى (أزمان - ٢٢ أكتوبر ٢٠٠٣).

يؤكد حافظ (٢٠٠٢، ٢٢٩) أنه بدراسة القوانين الأخلاقية الصحفية فى البلدان العربية والغربية نجد أن الحقيقة والموضوعية فى القوانين العالمية للميديا هى بالضبط المنصوص عليها فى القوانين الأخلاقية الخاصة بالدول العربية، حتى فى المملكة العربية السعودية التى تتبع النظام القائم على مبادئ دينية، تلتزم بمعايير الحقيقة والموضوعية باعتبارهما أساسًا جوهريًا فى ميديا الأخبار، كما هو مؤكد فى البحث المذكور سابقًا (كوبر ١٩٨٩ - مأخوذ عن حافظ ٢٠٠٢).

وإليك بعض المقاطع التى تم استخلاصها من القانون الأخلاقى لاتحاد الصحفيين العرب، والتى تُطبق فى ألمانيا، مما يصور هذه العالمية فى التناول (كوبر ١٩٨٩ - مأخوذ من حافظ ٢٠٠٢).

اتحاد الصحفيين العرب: "الالتزام بالحقيقة الموضوعية وتصحيح أى مادة سبق نشرها فى حالة ثبوت عدم دقتها"

ألمانيا:"احترام الحقيقة والدقة فى الأخبار العامة"، " يجب على الصحف والمجلات نشر وجهات النظر التى لا يشتركون هم أنفسهم فيها" (ص ٢٢٩).

وتؤكد القوانين الأخلاقية التى قدمها اتحاد الصحفيين العرب على التمييز بين الرأى والخبر، وبالتالى يجب على الصحفيين ألا يغلفوا التقرير الإخبارى بآرائهم الشخصية، كما أنه لا يجوز نشر إعلان سياسى ممول من قبل أحزاب أجنبية، ما لم يكن غير متعارض مع السياسات القومية (الجمال ٢٠٠١، ٦٨).

وعلى الرغم من اتفاق الصحفيين العرب على أهمية الموضوعية فى التقرير الإخبارى يبدو أنهم غير متفقين على تعريف واحد واضح لهذه الفكرة.

ألقت إحدى الدراسات الضوء على التعريفات المختلفة للموضوعية بين الصحفيين السويديين والبريطانيين والأمريكيين والألمانيين والإيطاليين، فاختلفت وجهات النظر بحسب البلد على النحو التالى (باترسن ١٩٩٨):

عرف **السويديون** وبعض الألمان الموضوعية بأنها: التوصل إلى الحقائق المُرة، أما **الإيطاليون** فهم يرون أن الموضوعية: هى الوسيلة التى تطرح رأيين مختلفين حول

التقرير الإخبارى، وقد تبنى الصحفيون الأمريكان وإلى حد ما البريطانيون - وجهة النظر الأخيرة الخاصة بالإيطاليين، على الرغم من أن هناك نسبة كبيرة من البريطانيين يؤمنون بأن التوصل للحقائق الصعبة جزء لا يتجزأ من الموضوعية (باترسن ١٩٩٨، ٢٢١)

وبالتالى يتبين أنه على الرغم من عالمية كلمة الموضوعية فإن معناها وممارساتها تختلف من ثقافة لأخرى، فالصحفيون المصريون يتفقون على أن مهمتهم الرئيسية هى نقل الحقائق لا صناعة الخبر (عبد النبى ١٩٨٩)، بصورة عامة هم يعتبرون أن سياسة جريدتهم تلعب دوراً حاسمًا فى تعريف ماهية الخبر وأن اهتمام القراء يقع فى ذيل قائمة العوامل التى يعتبرونها مؤثرة فى تعريف الأخبار.

وقد ارتأى الباحث (بخيت ١٩٩٨) الرأى نفسه فى مسحه الميدانى، حيث أوضح أن الغالبية العظمى من الصحفيين المصريين ينظرون إلى نقل المعلومات على أنها مهمتهم الرئيسية، بينما لا يمثل لهم تحليل الأحداث قيمة كبيرة، وعلى العكس نجد أن الصحفيين الأمريكيين يولون اهتمامًا كبيرًا بالتحقق من ادعاءات الحكومة، ويبرزون أهمية التحقيقات الصحفية (كيرات ١٩٨٧: ٢١٢).

يؤكد عبد النبى (١٩٨٩) أن الموضوعية خاصية مهمة للأخبار بالمقارنة بالذاتية الواضحة فى مقالات الرأى، وهنا يشير إلى المؤرخ الشهير «ابن خلدون» الذى سبق أن أوضح أن الموضوعية شرط لازم ورئيسى للتقارير الإخبارية (أو الأحداث التاريخية)، مؤكدًا أن مسئولية الصحفى تمييز الحقيقى من المزيف فى الأخبار.

وعلى هذا فإن الموضوعية هى أن يتم طرح رأيين متعارضين، وعلى فرض أن أحد هذين الرأيين يمثل رأيا كاذبًا أو مضللاً، فعلى ميديا الأخبار أن تساعد على توضيح ذلك[1].

---

(١) هذا بالتحديد ما قال الباحث العربى عبد العزيز شرف عن الموضوعية كما استشهد به من بحث عبد النبى (١٩٨٩). يرفض شرف بحسب ما جاء ببحث عبد النبى تعريف الموضوعية كما هى مطبقة بالغرب زاعمًا أن ما يطبق لا علاقة له بالموضوعية الحقيقية.

ويذكر (بخيت ١٩٩٨) أن الموضوعية تحتل المرتبة الثالثة فى قائمة المبادئ التى يرى الصحفيون أنهم يتبعونها أثناء التقارير الإخبارية، بينما تمثل دقة المعلومة الخاصية الأكثر أهمية على الإطلاق بالنسبة للغالبية العظمى من الصحفيين، وسببها الأمانة فى تناول الفكرة. ويذكر الباحث العربى حسان طوالبة (١٩٨١، مذكورة فى الجمال ٢٠٠١، ٦٦) أن الأمانة ليس بالضرورة أن تطبق عند التعامل مع المعلومات القادمة بواسطة وكالات أنباء دولية (غربية)، والتى - كما يرى هذا الباحث - يفترض ولاؤها لحكوماتها الغربية.

بذلك نتأكد أن الأولوية عند الصحفيين هى خدمة مصالح بلادهم، ولا يجب عليهم نشر المعلومات التى لم يتم التحقق منها.

فالموضوعية معرضة لمخاطر المؤثرات الخارجية، وقد حدد سكودسن (٢٠٠٣، ١٨٧) ثلاثة ظروف قد تتعرض فيها الموضوعية للخطر على أيدى الصحفيين الأمريكيين وهى: الفواجع والخطر العام وتهديد الأمن القومى.

وقد تظهر هذه الظروف الثلاثة فى آن واحد، كما يصور سكودسن أحداث الحادى عشر من سبتمبر ٢٠٠١، عندما قرر الصحفيون الأمريكيون أنه "لا يوجد جانب يقفون إلى جواره" (سكودسن (٢٠٠٣: ١٨٨)، بل تضامنوا مع الشعور العام لبلادهم. وقد عبر« تيم رسيرت» " أم إس إن بى سى MSNBC" عن ذلك بقوله: "أنا صحفى ولكن فى الأصل أنا أمريكى، وإن بلدى فى حرب مع الإرهاب، وبما أنى أمريكى فأنا أدعم هذا العمل قلبًا وقالبًا" (النواوى واسكندر ٢٠٠٢، ٤).

وهناك محاولة أجرتها صحفية أمريكية لإعادة تقييم الموضوعية أو إعادة تعريفها، وبيان كيفية تطبيقها على تقارير الأخبار، حيث دعت الصحفية كريستيان أمانبور (سى إن إن) إلى تقييم الموضوعية والتى تعتقد أنها "تعمل يداً بيد مع الأخلاقية" (ميندش ١٩٩٨، ٤).

والنموذج الأمريكى للموضوعية كما يرى جودى (٢٠٠٣) يعتبر مهدداً من النظام المستجد "الصحافة المرافقة للقوات"، حيث درب البنتاجون ٦٠٠ صحفى من مختلف

مؤسسات الميديا الإخبارية حول العالم، ومنحهم فرصة الدخول للقوات الأمريكية والبريطانية، وعلى الرغم من أن هناك سبقًا تاريخيًا لاستخدام مثل هذا النوع من الرفقة من قبل الأمريكان فى حرب فيتنام، فإن هناك بعض الاختلافات الجوهرية فى الطريقة التى تم استخدامها أثناء حرب الخليج الأخيرة، حيث لم يُسمح للصحافة المرافقة للقوات بحرية التحرك، بل البقاء مع الوحدات التى تعمل معها فحسب (جولدى ٢٠٠٣، ٤٢).

ومع ذلك فللصحافة المرافقة جانب إيجابى، يتمثل فى توفير وسيلة ما للصحفيين للبقاء على مقربة من الجنود، وإعداد التقارير من أرض المعركة، وأن تكون يقظة مع المذابح التى يرتكبها العسكريون، لكن هناك جانب سيئ لها، يكمن فى التهاون بالموضوعية المطلوبة، والتى قد تنتج من العلاقات الودية مع الجنود، ويشير جولدى إلى أن الصحافة المرافقة فى العراق خرقت موضوعية المراسلين؛ نظرًا لتحكم القوات فى الانتقالات، فكان على المراسلين رؤية فقط ما يُسمح به لهم.

أقر المراسلون أنفسهم بأنهم مارسوا طواعية شكلاً من الرقابة الذاتية، خشية خسارة وضعهم كصحافة مرافقة للقوات (جولدى ٢٠٠٣). فالدور الهتافى الذى مارسته بعض مؤسسات الإعلام مثل أم إس إن بى سى MSNBC وفوكس FOX" كان واضحًا أثناء الحرب[1]، ناهيك عن المعلومات الخاطئة التى تسربت للصحافة ، والمثال على ذلك: تقرير سقوط البصرة فى ٢٣ مارس بينما هى سقطت فى أيدى قوات التحالف بعد أسبوعين من الاحتلال (٢٠٠٣، ٥١).

ففى حرب الخليج ١٩٩١ عمل البنتاجون على منع الصحفيين من التوصل للقنابل الذكية التى يستخدمونها فى العراق، والتى لم تكن ذكية على الإطلاق (جانز ٢٠٠٣، ٨٢).

---

(١) انظر على سبيل المثال "المراسلين المرافقين" ماذا يحصل عليه الأمريكان؟ بواسطة مشروع الامتياز فى الصحافة.. http://www.journalism.org/resources/research/reports/war/embed/default.asp

ولا حاجة للتأكيد على أن التقارير التى كانت تأتى من ساحة الحرب لم تكن تتاح كلها للجماهير الأمريكية والغربية، فالتقارير حول الإصابات التى حدثت فى العراق كانت دائمًا مغيبة فى الأخبار الصحفية.

تولى الصحفيون العرب مهمة بيان هذا النوع من التقارير، سواء كان الهدف هو تمييز تقاريرهم عن تلك التقارير التى يصدرها منافسوهم فى الخارج، أو إيمانًا منهم أن هذه هى الحرب، لكنهم قاموا بالاعتماد كليًا على تقارير حول إصابات المدنيين العراقيين، وانتقاد الممارسات الأمريكية فى العراق، ونظرًا لاختلاف الرؤى التى يعتمد عليها كلا الطرفين يمكن أن نقول: إن التقرير الكامل الذى يمكن الحصول عليه يتم عن طريق الدمج بين القصص التى يقدمها الطرفان، الأمريكى والعربى (خورى ٢٠٠٣).

قد تكون الرؤية التى أضافها الصحفيون لموضوعاتهم الإخبارية هى كشف الحقائق الغامضة والبرهنة عليها. فعلى سبيل المثال: يشير سومر فيلى (١٩٩٩، مذكورة فى كوك ٢٠٠٢، ٢٠) إلى أن الرؤى المختلفة التى تبنتها الصحف أضرت بالمنتج النهائى للخبر، وللتوضيح أشار إلى عنوانين أحدهما من النيو تايمز والآخر من واشنطن بوست فى ٨ يونية:

"جرين سبان يرى خطر الركود" و"من غير المحتمل أن يشمل الركود جرين سبان"

إن شغف المحررين والصحفيين بإظهار الحق وإفساح الطريق لطرف آخر لتأكيد محايدتهم وموضوعيتهم قد يبدو فى بعض الأحيان أمرًا مبالغًا فيه. مثال: بسؤال عينة من المحررين الأمريكان ما إذا كانت الرسائل التى يستلمونها تؤيد الحرب الأخيرة على العراق أم تشجبها؟ أجابوا أن الغالبية ضد الحرب لكنهم حاولوا طباعة أكبر عدد ممكن من الرسائل المؤيدة للحرب خشية اتهامهم بالتحيز (كنينجام ٢٠٠٣).

يرى «يجانى» (١٩٨١: ٦٩) أن الخبر يكاد يكون تقريرًا محايدًا عن حدث ما، بصرف النظر عن الحرية الممنوحة لميديا الأخبار، نظرًا لأن الأخبار هى جزء من استراتيجية الميديا التى تهدف إلى التأثير على الرأى العام.

أقر رئيس تحرير الصحيفة الفلسطينية "القدس العربي" في مقابلة معه أن ٨٠٪ فقط من الأخبار التي تنشر بصحيفته يتسم بالموضوعية، مع أنه في الوقت نفسه يصف صحيفته بأنها أكثر الصحف موضوعية وحيادية، مقارنة بجميع الصحف العربية التي تظهر في لندن (أبو زيد ١٩٩٣، ٢٨٤).

فقد قام أبو زيد بتحليل مضمون عدد من إصدارات الصحف العربية، وأشار إلى تبني بعض هذه الصحف والتزامها بأيدلوجيات معينة على الرغم من إصرارهم على كونهم وسيلة محايدة في المنطقة.

على سبيل المثال: الحملة التي قامت بها صحيفة «الشرق الأوسط» ضد الرئيس المصري السابق «أنور السادات» حتى تم اغتياله في عام ١٩٨١، ودعم جريدة «الحياة» للسياسات السعودية على الرغم من حيادية الصحيفة في التعامل مع باقي الأنظمة العربية الموجودة بالمنطقة.

ترتبط الموضوعية في ميديا الأخبار العربية بتوجه العاملين بالأخبار تجاه القضية محل العرض وأيضاً تجاه الأشخاص الممثلين لها.

تعد القضية الفلسطينية[1] مثالاً حيًا على التهاون في الموضوعية في الميديا العربية (عايش ٢٠٠٢، ١٤٩)، تنظر معظم الدول العربية، إن لم يكن كلها، إلى الضحايا الفلسطينيين الذين يلقون مصرعهم على أيدي الإسرائيليين على أنهم شهداء وذلك لرفع الروح المعنوية للفلسطينيين في الضفة الغربية وقطاع غزة ، في حين ينظر إليهم الإسرائيليون على أنهم معتدون، (عايش ٢٠٠٢، ١٤٩).

ولهذا فإن السياسيين والمشاهدين على حد سواء يشعرون بالغضب والاستفزاز عند ظهور بعض المسئولين الإسرائيليين على القنوات الإخبارية العربية، وقد يتهمون هذه القنوات بأنها محكومة من قبل الإسرائيليين.

---

(١) تشير الميديا العربية في بعض الأحيان إلى هذه القضية "الصراع العربي الإسرائيلي" أو "مشكلة" وعليه هناك تشديد على انخراط كل العرب فيها.

أقر أحد رجال الإعلام، وهو يعمل فى قناة الإم بى سى السعودية، أنه على الرغم من الحيادية التى تتطلع إليها قناته فإنهم لا يقدرون على فصل أنفسهم عن التزامهم الشخصى تجاه القضايا العربية الإقليمية (عايش ٢٠٠١)، لهذا فمن الضرورى اعتبار أن الأخبار لم تكن إلا انعكاسًا للواقع ولن تكون أكثر من ذلك. فهى عملية اختيار وتقديم، مما يجعلها عرضة لتحيز حراس بوابة الإعلام. أو كما أوضح سكودسن: "الأخبار ليست مرآة الحقيقة بل هى تمثيل للعالم وكل التمثيلات مختارة" (٢٠٠٣، ٣٣)

الصدارة

كشفت دراسة سابقة لميديا الأخبار فى الولايات المتحدة أن الأفراد اختفوا من الأخبار، بينما لا يزال المسئولون هم الشخصيات المهيمنة باعتبارهم مصادر ميديا الأخبار وممثليها (بارنهيرست forthcoming - الفصل الثانى).

تراجعت الإشارات إلى الأفراد فيما يخص الجنس الاجتماعى (الذكورة أو الأنوثة) أو العلاقة الاجتماعية مثل: الأمومة أو الأبوة، وحل محلها الإشارة إلى الأفراد الذين يمثلون مجموعات معينة سواء كانت عرقية أم قومية أم مهنية، وقد يكون التفسير الوحيد لهذه الظاهرة هو الرغبة فى كشف التفاعلات بين القوى الاجتماعية المختلفة أكثر مما يحدث بين الأفراد (بارنهيرست forthcoming).

ينظر كلٌّ من عبد النبى (١٩٨٩) وبخيت (١٩٩٨) إلى تعبير الصدارة من خلال تحليلهما لمضمون تقارير الأخبار المصرية ومن خلال استفتائهما لمحررين وصحفيين مصريين - على أنه قيمة إخبارية فى تقرير الأخبار المصرية.

ويذكر عبد النبى بإيجاز (١٩٨٩) أن التغطية الإعلامية مقتصرة على الرؤساء والملوك والمسئولين الكبار، أو لفت انتباه الرأى العام. وهذا تفسير وفرة الأخبار المتعلقة بالمراسم فى الأخبار المصرية (بل والأخبار العربية)، ولا يُعدُّ السياسيون مجرد ممثلين للأخبار بل أيضًا هم مصدر تلك الأخبار، وحسب ما جاء بإحصاء عبد النبى فإن

حوالى ٥٩,٣٧٪ من القالب الإخبارى صادر عن المسئولين الحكوميين، بينما العاملون بالجريدة هم المصدر الرئيسى لحوالى ٢٩,٣٢ ٪ من الأخبار.

ويصنف الباحث الأخبار إلى ثلاثة أنواع حسب المصدر: نشرات المراسم، وإصدارات الصحافة المملوكة لمصدر الأخبار، والمواطنون العاديون (١٩٨٩: ١٧٣).

وقد حذر عدد من الباحثين العرب من انشغال الصحافة بمناطق لها امتياز خاص مع إهمال المناطق الريفية (بخيت ١٩٩٨، عبد النبى ١٩٨٩، وعبد الرحمن ١٩٨٩)، ولأن الأخبار تركز غالبًا على مجموعات الصفوة التى تقطن المناطق المتمدنة فإن طبيعة الأخبار غالبًا ما تصطبغ بالصبغة الحضارية، والتى تستهدف هذه الفئات، وتتجاهل المناطق القروية، حيث يعيش الأفراد العاديون ما لم يأت المسئولون الكبار فى زيارة لها (أبو بكر ١٩٨٥، ٣٤). من ناحية أخرى تركز الصحافة الحزبية على هذه المناطق باعتبارها نقطة انطلاق لنقد السياسات الحكومية.

فرغم أن سكان المناطق الريفية فى مصر يمثلون ٧٠٪ من إجمالى عدد السكان فإنهم يشغلون فقط ٥٪ من حيز اهتمام الصحافة (عبد الرحمن ٢٠٠٢، ٤٠).

ويعد رجال الأعمال الأثرياء ضمن المصادر ذات الامتياز للصحافة. يذكر عبد النبى (١٩٨٩) أنه خلال مقابلة له مع أحد رؤساء التحرير المصريين تصادف أن استمع إلى اتصال هاتفى من مديرى أحد البنوك لرئيس التحرير، للاستفسار عن أخبار ما أو مواد أرسلت للنشر، واعتذر المحرر عن عدم نشرها فى الحال بأن رئيس التحرير كان فى رحلة ولم يطلع على هذه المادة المرسلة حتى الآن، وأكد للمتحدث أنه سوف يطبعها بعدما يتأكد من اطلاع الرئيس عليها (عبد النبى ١٩٨٩، ٢٢٠)، وأشار باحث آخر إلى وجود ميول لضم رجال الأعمال وتصويرهم فى الصحف باعتبارهم مساهمين فى تنمية الأمة (عبد الرحمن ٢٠٠٢).

كذلك أصبح المشاهير أحد أطراف نظام الميديا الإخبارية، يقدم نبيل مثالا على ذلك بحادثة وقعت لإحدى الممثلات المصريات الشهيرات، احتلت حيزًا ضخمًا من الصحف، بينما احتل حادث تصادم لقطارين مساحة متواضعة من الصفحات الداخلية.

ولا شك أن الصحف العربية (وربما أيضًا الصحف الإخبارية الأخرى) تعتمد بشكل كبير على الأخبار القادمة من وكالات الأنباء الدولية، وهذا قد يساهم فى زيادة ظهور الأشخاص العاديين باعتبارهم مصدراً للمعلومة، فعلى سبيل المثال: إصدار الشرق الأوسط فى ٢٨ مارس و٣ أبريل ٢٠٠٣ يصور بالنص والصورة تأثير حرب أمريكا على العراق كما يراها المواطن العراقى العادى. النزعة نفسها ظهرت فى إصدارات "العرب" و"القدس العربى" خلال الحرب[1]، وكذلك القنوات الفضائية العربية، حيث اتجهت البرامج الإخبارية والأفلام التسجيلية إلى نقل آراء المواطن العادى لا أولئك الصفوة.

علاوة على ما سبق فإن هذه الشخصيات الشهيرة لا تتساوى فى تقديمها فى الصحافة العربية، فإن الصحفيين يضعونهم فى تشكيل هرمى يتكون من رئيس أو ملك يأتى فى القمة، ويتبعه المسئولون الكبار فى الحكومة ثم المشاهير، ثم نجد من جهة أخرى قاعدة هذا الهرم يشغلها الفرد العادى.

وقد تأكد هذا من خلال تحليل الحديث المدون، حيث أوضح هارى (٢٠٠٣: ١٠٤) أن المقابلات مع رئيس مصر يتم صياغتها بالفصحى الحديثة، فى حين أن المقابلات مع الشخصيات العامة الأخرى يتم صياغتها بخليط من الفصحى المعاصرة والعامية[2]، فإذا كان المتحدث مثلا ممثلا كوميدياً أو راقصة يُذكر ما قاله بالعامية المصرية، حيث تبدو التركيبة اللغوية المعقدة للفصحى غير ملائمة (هارى ٢٠٠٣، ١٠٤).

كما أشار فخرى (١٩٩٨) أيضًا إلى هرمية التمثيل من خلال النظر إلى اللغة المستخدمة، حيث أوضح فى تحليله أن الصحافة المغربية تمثل العمال العاديين

---

(١) من المنطقى يحتاج هذا الافتراض إلى تأكيد بتحليل كمى ونوعى لمخرجات ميديا الأخبار العربية. فى الواقع، إن هذا الكاتب يجرى حاليًا تحليلاً كميًا لأسبوع من الصحف العربية الإقليمية كعينة لربط تأثير استيراد الأخبار على زاوية تناول القصص الإخبارية سواء كانت هذه القصص يتم إخبارها من وجهة نظر المسئولين فقط أو أن الأشخاص العاديين يتم تمثيلهم فى الأخبار.

(٢) للمزيد من النقاش المفصل عن دور اللغة فى خطاب الميديا .. انظر القسم الذى يتناول اللغة فى الفصل السادس والسابع من هذا الكتاب.

باستخدام اللكنة المغربية، بينما كبار المسئولين يتم تمثيلهم بالفصحى المعاصرة، ولهذا يعد الدخول إلى ميديا الأخبار مقتصراً فقط على القادرين سياسيًا وماليًا وفكريًا، غير أن النظام الذى يمثلهم يؤكد الفجوة بينهم وبين الفئات الأقل حظًا.

فى الواقع إن الشخصيات التى تظهر فى وسيلة إعلامية عادة ما تمثل انعكاسًا لصورة حقيقية للبلد أو على الأقل للفئة التى تنتمى إليها، فعلى سبيل المثال يشير (عبد النبى ١٩٨٩) إلى غزارة الأخبار المصرية التى تهدف إلى التأكيد على الكرامة الوطنية، بتخصيص مساحة كبيرة للنماذج المشرفة من المواطنين المصريين الذين امتازوا أو ساهموا فى مجال ما، قد يكون الفن أو العلوم الطبيعية أو العلوم الإنسانية.

يعد مثل هؤلاء المواطنين صورة وطنية أو صوتًا للأمة بأكملها، وبالتالى فإن إنجازاتهم تعد جديرة بالنشر وتمنحهم مكانًا فى مجال الإعلام. أما أولئك الذين لا يقدمون أعمالا مماثلة فهم ليسو فقط أقل تمثيلاً فى الإعلام، بل قد يطرحون جانبًا، كما لو كانوا انتهكوا الصورة "الأصيلة" للوطن

وبالتالى فإن هذا الترتيب الهرمى قد تأسس حول الذين لهم أهمية أن يظهروا فى الإعلام المحلى والخارجى باعتبارهم "واحد منا"، فمثلا: الفيلم الوثائقى للبى بى سى حول المرأة الفقيرة والبسيطة دفع مختلف الفئات، وبخاصة التى تنتمى إلى الطبقات المتوسطة وفوق المتوسطة، إلى اتهام البرنامج وفريقه بالتورط فى مؤامرة ضد الوطن.

فالمرأة الفقيرة بدت انعكاسًا لا يمثل الأم المصرية الحقيقية أو المواطنة، بل مجرد صوت يسعى وراء إهانة الكرامة الوطنية، وهو أيضًا مثال يوضح "كيف نسج معيار الرقابة والتمييز خيوطه على هذه الحالة" (سعد ١٩٩٨: ٤٠٥)، فالمصريون المتمدنون والمتعلمون أرادوا أن تنحصر صورة الأمة فى الشهادات التاريخية، برهانًا على حضارة الأمة الممتدة، أو الأصح المتمدنة، إشارة إلى الحداثة والتقدم (سعد ١٩٩٨: ٤٠٥).

ناهيك عن أن المرأة الفقيرة تتحدث اللغة العامية، فتبدو أيضًا مثالا للهمجية، على عكس من يستخدم الفصحى المعاصرة، حيث يُظهرون رفعة لغتهم.

تتطرق المجلة اللبنانية للنقطة نفسها فى تحليلها لاستخدام الصور فى الميديا (الوسط - ٣ فبراير ٢٠٠٣)، حيث تنضم هذه المجلة لأولئك الذين يؤمنون بأن صور الأفراد الأقل حظًا لا تعكس الواقع العربى الحقيقى، وبخاصة الصور التى تخص العراق وفلسطين.

تميل الميديا الغربية إلى إظهار صور الفقراء الفلسطينيين الذين يعيشون فى الأزقة القذرة، متجاهلة صور المتعلمين منهم مثل الأطباء الذين يقدمون أعمالا ذات جودة عالية على الرغم من الظروف القاسية. وبالمثل ركزت الصور القادمة من العراق قبل الحرب على الأماكن التى زارها مفتشو الأسلحة، متجاهلة قاعات التدريس بالجامعات والمعامل التى تبرهن على التقدم العلمى فى العراق.

كى نوجز فإن غالبية الصور تبين فقط السلبية ولا تضمن جوانب إيجابية للمجتمع، ولا تعكس الحقيقة بالضرورة، والتى يجب - كما تقول جريدة الوسط - أن تحقق المعايير الثلاثة الأكثر أهمية للصحفيين فى ميديا الأخبار وهى: الانفعال والتميز والدراما.

وكى نجسم ذلك نرى المجلة تنتقد مئات الصور القادمة من «رويتر»، فالصورة الوحيدة المستخدمة من قبل الصحف العربية لتصاحب قصة عن تظاهر نساء عراقيات ضد السياسة الأمريكية نحو العراقيين كانت لمجموعة من ثلاث نساء فاقدات لأسنانهن بالفك العلوى (الطيارة ٢٠٠٣، ١٥). وللأسف لم تشر المجلة لأية بدائل محددة وممكنة لهذه الصورة بالذات، بل قد اعتبرت هذه الصورة غير مشرفة، لأنه من المفترض أن غالبية المتظاهرات أسنانهن مكتملة أو هنّ مشرفات أكثر.

أما بالنسبة لمصادر الأخبار فإن التحليلات القادمة من ميديا الأخبار الأمريكية تؤكد وجود نزعة اتكال على الخبراء الخارجيين، غير أن هؤلاء الخبراء ليسو بالضرورة حاضرين كى يقدموا رأيًا محايداً وجيِّدًا، حيث إن اختيارهم يعود إلى الأجندة الخاصة للجهة المالكة للوكالة الإخبارية (سكودسن ٢٠٠٣: ٥٢).

ونتيجة للمحددات المهنية مثل مواعيد التسليم النهائية لأعمال الصحفيين فإن الصحف تستسهل الاعتماد على المصادر المتاحة والجاهزة بدلا من السعى وراء مصادر أخرى جديدة. وبالطبع يُعد المسئولون الكبار بالحكومة والسياسيون مصادر جاهزة ومتاحة للأخبار لكنهم قد يستخدمون الوسيلة الإعلامية لصالحهم، فمثلا بمقدورهم إشاعة معلومات من شأنها الحط من أحد خصومهم (إسكودسن ٢٠٠٣، ١٣٤، ١٤٠).

لم يعد الصحفى الأمريكى مُعِداً للتقرير فحسب، بل صار مصدراً مخضرماً للمعلومة، حيث يظهر الصحفيون فى برامج عدة على شاشات التليفزيون باعتبارهم خبراء، كما يتم التعامل مع فئة الصحفيين على أنهم خبراء فى مناطق الخبر التى يغطونها.

وقد أخذت هذه الظاهرة فى التزايد على مر النصف الأخير من العقد الماضى حسب ما جاء فى تحليلات سابقة للمضمون (بارنهيرست forthcoming – الفصل الثانى)، ويمكن رؤية النزعة نفسها فى الفضائيات العربية، حيث يتم استضافة الصحفيين البارزين فى مجال الإعلام بصورة دائمة لتنويع البرامج الحوارية، وهذا يشبه العادة القديمة لصحفيى الصحف المطبوعة الذين كانوا يستضيفون المشاهير العاملين بالإعلام من التليفزيون أوالراديو (الوسط – مايو ٢٠٠٣، ١٢ -١٣) كما أن هناك الآن ميلا ظاهراً بين القنوات الإخبارية العربية للتأمل فى الممارسات الصحفية الخاصة بهم، مثل دعوة صحفى الأخبار للتعليق على أعمالهم واستعراض الصعوبات التى يواجهونها[1].

---

(١) على سبيل المثال، بثت قناة الجزيرة برنامجين يقيمان عملها. الأول "الاتجاه المعاكس" الذى تم بثه فى ١٢ ديسمبر ٢٠٠٠ الذى ناقش الحاجة لتأسيس قناة عربية ودعوة خبراء الميديا والمراقبين للتعليق عليها. الثانى: "حوار مفتوح" الذى تم بثه فى ١١ نوفمبر ٢٠٠٣ والذى واكب العيد السابع لها واستضاف عدداً من صحفييها ومراسليها البارزين مثل تيسير علونى الذى سبق الاشتباه فيه من قبل السلطات الإسبانية واتهامه بوجود اتصالات سرية مع تنظيم القاعدة. نص هذين البرنامجين على www.aljazeera.net/programs/op_direction/articles/2000/12/12-12-2.htm www.aljazeera.net/programs/open_dialog/articles/2003/11/11-6-1.htm

الجِدّة أو الفورية فى إذاعة الأخبار

تعتبر الجدة من القيم الشاملة والعالمية للأخبار، فعلى الأخبار أن تتعامل مع آخر الأحداث، غير أن الفورية ليست وليدة جودة الخبر، ففى بداية الصحافة العربية لم يكن للفورية والمباشرة هذا الدور المهم. يقال عن جريدة "الوقائع المصرية" إنها أول صحيفة عربية ظهرت بصورة متقطعة وغير دورية، عندما كان الحاكم (محمد على ١٨٠٥ – ١٨٤٨) منشغلا بأمور أخرى.

وظهرت أول صحيفة أمريكية "Publick Occurrences" (أحداث الشعب) عام ١٦٩٠ (ويليام ٢٠٠٢، ٣) وكان توقيتها مرتبطًا بالحدود الجغرافية، بمعنى تأخُّر شهور بالنسبة للأخبار القادمة من أوروبا (جرين ٢٠٠٢: ٣٤).

الآن أصبحت الجدة فى نشر الخبر طريقة محفزة مهمة فى تطوير الصحافة الأمريكية، لهذا أوضح «بارنهيرست» بدقة شديدة أهمية توفير معلومة سريعة، باعتبار ذلك جزءًا من توجه السبق الصحفى الحديث، ففى هذه الأيام تعد الفورية فى نشر الخبر عاملا ذا أهمية بالغة فى التنافس الإعلامى كما تعتبر عاملا ثابتًا ورئيسيًا فى الأخبار فى الصحافة العربية (ياغى ١٩٨١، ٥٣).

لقد طورت الميديا سلعة جديدة يشترط تسليمها للعميل "أن تكون طازجة" فى كل يوم، فهناك على سبيل المثال إصدارات الصحف المسائية التى يتم توزيعها فى بعض البلدان العربية، ففى مصر نرى جريدة الأهرام صاحبة أكبر دار نشر فى البلد لها طبعة مسائية، تعتبر منتجًا فرعيًا من المنتج الرئيسى (الأهرام)، تم إصدارها لتأخذ حظها فى سوق الصحف المسائية، بعدما أصدر المنافس صحيفة أطلق عليها (المساء).

وفى المملكة العربية السعودية نجد دار نشر الجزيرة، التى تمتلك صحيفة تسمى "الجزيرة"، قد أصدرت الصحيفة المسائية الأولى والوحيدة فى المملكة وأطلقت عليها "المسائية" فى عام ١٩٨١ .

تهدف الصحيفة إلى جذب القارئ الشاب بزيادة المساحة المخصصة لاهتماماته، وبحسب دار النشر فإن "المسائية" نجحت فى توزيع ٣٠٠٠٠ نسخة يومية، وإن قراءها أتوا بصفة أساسية من منطقة الرياض. فى ١٩ أبريل ٢٠٠١ توقفت الصحيفة عن نشر الطبعة المسائية، وتحولت إلى جريدة صباحية تحت مسمى "الأسرة"[1].

بعد الحادى عشر من سبتمبر ٢٠٠١، أصدرت صحيفة الشرق الأوسط طبعة مسائية كى تزود القراء بآخر التطورات حول هذا الحدث المهم (الشرق الأوسط ٢٢ يناير ٢٠٠٣).

توزع الصحف الكويتية اليومية نسخها فى رمضان فى فترة ما بعد الظهر لا فى الصباح الباكر، وقد يختلف بالفعل معنى التوزيع المبكر للصحف من صحيفة لأخرى: فعلى سبيل المثال حين تُوزع صحيفة الرأى العام بعد الإفطار مباشرة، كى تجعل القارئ على دراية مبكرة بقدر المستطاع بالأحداث المهمة على المستوى القومى والدولى نجد صحيفة "النبأ" توزع قبل الإفطار ولها إصدار آخر قبل السحور (الشرق الأوسط ٧ يوليو ٢٠٠٢).

يظهر «هجافارد» فى تحليله لتطوير التغطية الحية فى القنوات الأوروبية (١٩٩٥: ٣٣٧) أن الفورية والمباشرة فى نشر الخبر عامل مهم فى تطوير التغطية الإخبارية، مستشهداً بأهميتها فى حرب الخليج ١٩٩١، حيث كانت التغطية الحية هى الشكل المثالى للتقرير الصحفى، وقد كانت تغطية هذه الحرب بالنسبة لعدد كبير من الباحثين بمثابة طفرة، كانت مطلوبة كى تنهض بالميديا العربية: ولذا فقد زادت ظهور القنوات الفضائية الجديدة، وزاد الوقت المخصص لتغطية الأخبار منذ تلك اللحظة[2].

تنافس مثل هذه القنوات القنوات الحكومية القديمة من حيث كم الأخبار التى توفرها، بالإضافة إلى ما هو أكثر أهمية وهو الفورية فى تقديم الخبر، والتغطية الحية بلا شك تمثل عنصراً تنافسيًا يميز القنوات الفضائية عن القنوات القديمة، ولهذا

(١) لاسترجاع المعلومات www.al-jazirah.com الموقع الإلكترونى لدار نشر الجزيرة فى أكتوبر ٢٠٠٣

(٢) فى الحقيقة أن مدير قناة الجزيرة صرح بقوله إن تغطيتها التنافسية دفعت القنوات الأخرى لإفساح المزيد من التخصيص للبرامج الإخبارية لتزيد بنسبة ٣٥٪ عما كانت عليه ١٠٪

فاعتمادهم يكون على شهود العيان بخاصة فى أوقات الأزمات. ويعنى إطلاق قنوات فضائية دولية أن المشاهدين الآن لديهم الإمكانية للحصول على أخبار سريعة ورخيصة وفى أى وقت، وأنها تركت مهمة التحاليل والتقارير المتعمقة للصحف (كوك ٢٠٠٢).

وعلى الرغم من هذا نرى أن الصحف ذات التوزيع الواسع لا تزال ترى حتمية فى حضور فئة من المراسلين وبخاصة أوقات الأزمات، على سبيل المثال جريدة الحياة كانت تتباهى بكونها الصحيفة العربية الوحيدة التى تمتلك مراسلين ينقلون التقارير الإخبارية مباشرة من ساحة حرب عاصفة الصحراء[١]. فعلى الأقل مراسل واحد يُشعر بأن الصحافة العربية تعتبر الفورية عاملا مهمًا لجذب انتباه القراء، إذا ما لزم منافسة باقى القنوات الفضائية[٢].

وحسب ما جاء على لسان رئيس تحرير جريدة "الحياة" فإن المهمة الأولى لمراسلى الصحف هى جمع المعلومات أولا أو توفير الأخبار، ثم إذا كان هناك وقت يمكن تقديم التحليل (أبو زيد ١٩٩٣، ٣٩٩).

وبالتالى فإن الأخبار فى حد ذاتها أكثر أهمية من التحليل الذى يتم تقديمه فى التعليق على الأخبار. أظهر أحد التحليلات لصحيفة "الحياة" فى عام ١٩٩١ أن الأخبار وحدها شكلت ٦٢٪ من مساحة المقالة الافتتاحية بينما شغل التعليق ١١٪ من تلك المساحة (أبو زيد ١٩٩٣، ٤٠٢).

بإيجاز شديد يمكن القول إن هناك نوعًا من "تقارب القيمة"، حيث تؤثر قيم الأخبار فى الميديا الغربية على القيم التقليدية فى الميديا العربية، ومثال على ذلك

---

(١) يستشهد أبو زيد (١٩٩٣: ٣٩٥) من رئيس تحرير "الحياة" جهاد خازانى الذى يتباهى بنفسه بين عدد من المراسلين بأن صحيفته كان لديها خلال حرب الخليج الثانية اثنان من المراسلين مصاحبين القوات الأمريكية فى السعودية ومراسل مع القوات الأمريكية بالكويت وآخر على الحدود التركية العراقية. شعر الخازن بالأسف لاختفاء مراسلهم الوحيد داخل العراق خلال الحرب مما عنى بالنسبة له اعتماد صحيفته على المصادر الأجنبية الدولية لتغطية الأحداث من العراق.

(٢) تعليق من الفهد مجلة "العربى"، ٤٨٦ الأول من مايو ١٩٩٩

احتلال "الفورية" الأولوية الأساسية فى الميديا العربية وتبنيها التوجه الأمريكى لاستخدام الصحفيين خبراء ومصادر للمعلومة، وهذا معلن على وجه الخصوص فى النظرة الذاتية والنقد الذاتى للميديا لعملها.

إن ظهور أدب الحوارات السياسية والمناقشات الحادة بالفصحى المعاصرة يخدم باعتباره "صحفًا مرئية" المتعلمين ويمدهم بأقسام لبث الآراء على الهواء، ويتابع الجمهور هذه المناقشات لتعزيز عقيدتهم المسبقة حول السياسة والساسة.

يتطابق هذا الدور مع الدور الموالى الذى يقدمه بلومر وجورفيتش (١٩٩٥، ١٥)، حيث يبين أن العاملين بقطاع الميديا يقومون بدور المرشد المعد للبرامج، أما السياسيون فيؤدون دور المقاتل على الساحة السياسية أكثر من كونهم مقدمى معلومة.

إضافة إلى هذا فإن ميديا الأخبار فى كلتا المنطقتين تتبع مبدأ الموضوعية، وعلى الرغم من شعار الجزيرة "أكثر من رأى" فإنه ليس هناك تعريف محدد للموضوعية يتفق عليه الصحفيون العرب والأمريكان.

ورغم أن هناك قيمًا إخبارية مشتركة بينهما فهناك قدر لا بأس به من الخلافات وبخاصة فى مجال المضمون، ففى الوقت الذى تقلل فيه ميديا الأخبار الغربية من جرعة الأخبار السياسية، نجد أن ميديا الأخبار العربية لا تزال تعطى أولوية للأخبار السياسية على حساب الأخبار الخفيفة، والتى تزيد من جهة أخرى فى ميديا الأخبار الغربية لجذب المزيد من المشاهدين.

تعتمد ميديا الأخبار العربية الإقليمية على السياسة الخارجية والقضايا الداخلية لإثبات شخصيتها الإقليمية.

يجد الشخص العادى مكانًا له كل يوم فى الميديا الأمريكية، فى حين أن السياسيين والمسئولين لا يزالوان يهيمنون على الميديا العربية، لكن ربما يثمر الاعتماد على المصادر الإخبارية الأمريكية، وبخاصة فى الصحافة العربية، إلى تأثر الصحافة العربية بالممارسات الأمريكية الصحفية.

وأخيراً يرى الصحفيون الأمريكان أن مهمتهم الأساسية هى كشف الحقيقة حول السياسيين والمؤسسات ذات النفوذ، بينما يندر هذا الدور فى ميديا الأخبار العربية إلا فى الصحف الصفراء. كما هو مصور فى جدول ٤ . ١

قيم الأخبار الأمريكية فى مقابل الأخبار العربية

العامل	قيم الأخبار الأمريكية	قيم الأخبار العربية
المحتوى	قضايا إنسانية على حساب الأخبار السياسية	أخبار سياسية على حساب الأخبار الخفيفة
عامل الموضوعية فى طرح الأخبار متوفر لدى الاثنين مع غياب تعريف قاطع لكلمة "موضوعية"		
الإطار الزمنى	الفورية فى إذاعة الأخبار (الجدة)	الفورية فى إذاعة الأخبار (الجدة)
التوجه	المزيد من الأخبار المحلية	أخبار خارجية (من زاوية عربية)
وظيفة الأخبار	الدور الرقابى	دور المسئولية الاجتماعية
الممثلون	السياسيون والأفراد العاديون	السياسيون والمشاهير

(الجزء الثانى)

٥- أدبيات الأخبار

" الحدث الخبرى ليس ذا أهمية إخبارية فى حد ذاته بل التقرير أو القصة التى تكتب عنه. وهى معالجة فى صورة قصة لها مغزاها تم إعدادها بعناصر لغوية هى نفسها العناصر المكونة للخطاب " جون هرتلى - استيعاب الأخبار

يرى هرتلى (١٩٨٢، ٢٠٠١) أن على الإنسان أن يفرق بين الأحداث التى تصنع محتوى الأخبار وأسلوب المعالجة الذى يصاحب الأحداث (code). فهو لا يُعرِّف الأخبار طبقًا لطبيعة الحدث الذى يجعل منها مادة ذات أهمية إخبارية، بل طبقًا للشَّفرة اللغوية المستخدمة فى الإخبار عنه، والشفرة هى سلسلة العلامات التى تجعل من الصعب فصل الحدث عن تحليلاته الإخبارية، فالأمر ليس اعتباطيًا، بأن تختار من بين العلامات (مثل اختيار كلمة محددة فى اللغة) دون الإشارة إلى كل منظومة العلامات (أى اللغة ككل) لدى المتحاورين.

وليس معنى ذلك أن نركز فقط على الشفرة اللغوية؛ لأن هذا سيؤدى بالضرورة إلى كشف جانب واحد فقط من القصة، فهناك جانب آخر ينبغى التركيز عليه، وهو السبب الذى يجعل لموضوع ما أهمية إخبارية، عن طريق تحليل كيفية التفاعل بين منظومة العلامات (اللغة المستخدمة لإنتاج معنى ما) وبين متلقى الخبر، وهذا لا يقل أهمية عن تحليل الحدث من الناحية الإخبارية. ولتناول هذه القضية فإنه من الحتمى فهم الظروف الاجتماعية والتاريخية المحيطة بميديا الأخبار.

إن موضوع الأخبار هو "كلٌّ من خبر وحكاية " (سكودسن ٢٠٠٣، ١٧٧)، ولهذا فإن تحليل القصة يجب أن يسير يدًا بيد مع تحليل خلفيات الأخبار فى العالم.

ويتفق الباحثون العرب والغربيون على أن حكاية الأخبار يجب أن تجيب على الأسئلة التى تبدأ بمن؟ وماذا؟ وأين؟ ومتى؟ ولماذا؟ وكيف؟ (كرام ١٩٩٢، فيدلر ات ال ١٩٩٧).

يقترح سكودسن (١٩٠،٢٠٠٣) " لكى تُستوعب الأخبار كثقافة فإن هذا يتطلب الإجابة على تلك الأسئلة: فى أى فئة يقع راوى هذه القصة باعتباره«من»، وما طبيعة الأشياء التى تُعدُّ حقائق «ما» ، وما الحدود الجغرافية والزمنية للقصة«أين» و«متى»، وما تفسير الأحداث«لماذا».

ويتفق فى الوقت نفسه مع رأى جون هارتلى أن الأخبار هى نظام نصى ربما هو الأكثر هيمنة فى وقتنا الحاضر (سكودسن ٢٠٠٣، ١٢)، وبالتالى يمكن تحليل الأخبار على أنها منظومة نصية ومنظومة تمثيلية تشير إلى حقيقة اجتماعية معينة.

يهدف هذا الفصل إلقاء بعض الضوء على أدب أسلوب كتابة الأخبار فى ميديا الأخبار العربية، ويتتبع كذلك تطور هذا الأدب. لمحاولة إيجاد تعريف للأخبار والخصائص الرئيسية المميزة فى كل من المنظومة النصية والاجتماعية.

الأسلوب الأدبى لكتابة الخبر:

عادة ما يخضع تعريف أدب ما لأحد منهجين فى بحث اللغة؛ حيث يعتبره البعض منتجًا بينما يراه آخرون عملية (جلدهيل ٢٠٠٢).

والنص بصفة عامة سلعة تستخدم لأغراض عدة مثل: الوصف والتفسير والإرشاد، ولذا يمكن القول بأن النصوص العامة هى عمليات تهدف لتحقيق عدة أغراض، منها:

١- الوصف

٢- التفسير

٣- الإرشاد والتوجيه.

يطبق جينسن (١٩٨٦) تعريف ويليامز للأدب فى تحليله (١٩٧٧ فى جيسن ١٩٨٦) أدب كتابة الأخبار. وفيه إشارة إلى ثلاثة عناصر رئيسية فى نموذج ويليامز وهى: موقف الكاتب، موضوع البحث، والأسلوب الخارجى للكتابة (جينسن ١٩٨٦: ٥٠). وبالتالى، فإن الأخبار تعكس دور الصحفى "كمراقب" والقارئ "كمتلقى" للمعلومة الحقيقية.

يشير جينسن إلى أن التأكيدات المختلفة على موضوع البحث فى جميع الصحف (الصحف الصفراء مقابل الجرائد اليومية) تُظهر أن الأخبار شكل من أشكال الاتصالات الاجتماعية المُصاغة. وفى النهاية، فإن الأسلوب الإنشائى هو الرابط القوى بين الراسل والمستقبل للأخبار. وعليه فإن تحليل أدب الأخبار يجب أن ينطلق من اعتبارالأخبار منتجًا وهى أيضًا عملية مقيدة بمحددات اجتماعية وثقافية.

فرق بيل (١٩٩١: ١٣) بين المقالة الافتتاحية والإعلان باعتبارهما أدبين رئيسيين للصحيفة وألحق بالمقالة الافتتاحية كل المواد التى لا تنتمى للإعلان، ثم فرع هذين الأدبين الرئيسين إلى تقسيمات أخرى، فقام بتقسيم محتوى المقالة الافتتاحية لثلاثة عناصر: معلومات خدمية (طقس ورياضة وبرامج تليفزيون) ورأى وأخبار. ثم فرع العنصر الثالث إلى العديد من التصنيفات الفرعية مثل أخبار جادة، وأخبار خفيفة، وأخبار ذات موضوعات خاصة. وقد وضع حدوداً للفصل بين الأخبار الجادة والخفيفة، لكنها أصبحت تدريجيًا غير واضحة المعالم (بيل ١٩٩١، ١٤).

يُعتبر تطوير أدب الأخبار فى الصحافة العربية عملية طويلة وصعبة. يشير أيالون (١٩٩٥، ١٧٣) فى دراسته التاريخية للصحافة العربية إلى الصعوبات التى واجهت الصحفيين العرب فى البدايات؛ فقد تطلبت الوسيلة الجديدة لمخاطبة الجمهور أساليب جديدة فى الكتابة، ينبغى أن تكون واضحة ومفهومة على مستوى قاعدة أوسع من الجمهور.

نبعت أدبيات الكتابة الصحفية من اللغة الفصحى والتى كانت تُستخدَم فى أصلها فى الأدب وتخاطِب فئة قليلة من المثقفين. وقد أدى ذلك إلى مزيد من الضغوط على

الصحفيين؛ حيث أصبحوا مطالبين بالالتزام باللغة الفصحى فى الكتابة الصحفية - لتلبية احتياجات الوسيلة الجديدة (إيلون ١٩٩٥، هيرى ٢٠٠٣). وعليه فقد نتج نوعان من الأدب: أدب الأخبار (الخبر) وأدب التعليق (المقال أو المقالة).

لا تزال الصحيفة تعمل قناة لكُتّاب الأدب لنشر أعمالهم الأدبية التى تميزت عن كتابة المقال، وقد أخذت صورة جديدة واسمًا جديدًا، أو ظهرت فى ثوب أدبى جديد، وأطلق عليها "يوميات" (إيالون ١٩٩٥، ١٨٢). لكن الثّابت أن كتابة الأخبار تطوّرت على أيدى شخصيات غير أدبية، وقد كان لهم تأثير عظيم على لغة الصحافة، مما جعلها تقترب أكثر وأكثر من لغة الحياة اليومية، وهذا ما يؤكده عدد من الباحثين مثل: (هارى ٢٠٠٣، وعبد الفتاح ١٩٩٠، باركنسون ١٩٨١).

من ناحية أخرى تعتبر المقالة تعليقًا على مختلف الموضوعات سواء كانت أدبية أم أكاديمية أم فلسفية أم نقدية. ويفرق (كرام ١٩٩٢، ٤٩) بين عدد من الصور الفرعية لأدب كتابة المقال مثل العمود والافتتاحية والتعليق واليوميات، فمن هذه الصور ما يلى:"

١- **الافتتاحية**: وهى توضح مُراد الكاتب، وتقدم تعريفًا بالموضوع والسياق التاريخى له.

٢- **العمود**: يمكن أن يكون فكاهة، أو نصًا له نبرته الجادة، لكنه عادة ما يكون ساخرا على الرغم من ميله فى الوقت الحاضر نحو التعليق السياسى.

٣- **البحث الصحفى**: وهو مقالات مطولة تفسر قضايا مهمة (كرام ١٩٩٢، ٤٧).

يرى باحثو الميديا العربية والصحفيون (فاندى ٢٠٠٣، هفنى ٢٠٠٣) أن الجيل الجديد من الصحفيين يميل إلى كتابة التعليقات أكثر من تقارير الأخبار.

لقد أصبحت المقالة نوعًا من الأدب؛ حيث يتسم كُتابها بقدرة لغوية وفصاحة عالية، ويظهر إتقانهم للغة العربية المعاصرة وقواعدها من خلال استخدام الكلمات المناسبة والأسلوب الجدلى والأدوات البلاغية.

هكذا تُعدُّ كتابة المقالة بالنسبة للصحفيين هى قمة العمل الصحفى وغايته، يقال على سبيل المثال إن بعض الصحفيين العرب من دول الخليج يفكرون فى الصحافة باعتبارها البوابة لتعليقاتهم، تاركين مهمة كتابة الأخبار للصحفيين الغربيين العاملين فى بلادهم (الشرق الأوسط، ٣ مارس ٢٠٠١).

من خصائص المقالة أنها لا تحدها حدود موضوعية كما هو الحال فى التقرير الإخبارى، فالأخبار يجب على الدوام أن تعالج الحدث الجارى. وعلى الرغم من أن التعليقات تتضمن هذه الأخبار بشكل آخر فإن كاتب المقالة يتمتع بقسط أوفر من الحرية ليتأمل بموضوعية ما يختاره هو من قضايا فلسفية أو تاريخية لمعالجتها.

لا يزال الباحثون العرب مثل (كرام ١٩٩٢، ياغى ١٨٨١، وعبد النبى ١٩٨٩) ملتزمين بهذا التصنيف المميز الذى يفرق بين الخبر والرأى (المقال). ويوضح كرام (١٩٩٢، ٣٣) أن الخبر هو تقرير حول الحدث أو الظروف، وأن صفاته وقيمته قد تختلف من صحيفة لأخرى.

ويشير "ياغى" إلى ضرورة إضافة معلومات حول خلفية الخبر حتى يتمكن القارئ من فهم سياق الحدث، لكنه يحذر من ترك مسئولية كتابة تلك الخلفية لصحفيين غير متمرسين، ولأهميتها يجب أن تسند لمن هو أكثر خبرة فى هذا المجال.

يتمسك باحثون عرب آخرون فى تعريفهم للأخبار بأنها انعكاس للمعرفة الحقيقية التى لها تأثيرها العظيم على العامة، فأبو زيد (٢٠٠٠) يقف أمام تعريف الخبر فى «معجم المصطلحات العربية» بأنه حكى لمسألة ما قد تكون كذبًا أو حقيقة، فيرفض هذا التعريف ويرى أنه مضلل؛ فالأخبار فى حد ذاتها يجب أن تكون حقيقة، وإلا فلا يمكن تسميتها بالأخبار. فالحكى التخيلى لشىء ما، هو التحدث عن شىء لم يحدث من الأصل.

كما ينتقد " أبو زيد" المحاولات السابقة لتعريف الخبر، والتى اعتبرها مجرد محاولات لاستنساخ التعريفات الليبرالية دون الأخذ فى الاعتبار الفروق الثقافية بين المجتمعات العربية والليبرالية.

بعد التأكيد على أهمية التعريف الجديد للخبر والذى يأخذ فى حسبانه الوضع القائم فى العالم النامى، يُعرِّف أبو زيد (٢٠٠٠: ٣٧) الخبر بأنه:"القصة التى تصف بدقة وموضوعية الحدث أو الفكرة التى تؤثر على الغالبية من القراء وتفى باهتماماتهم وفى الوقت نفسه تساهم فى تنمية المجتمع".

يركز باحثون آخرون على الدور التنموى للأخبار وتأثيره القوى فى المجتمع، فعبد النبى (١٩٨٩) يرى أن الخبر: "هو عملية يكتسب القارئ من خلالها معرفة حقيقية حول مختلف الأحداث التى تمت فى المجتمع خلال فترة زمنية معينة". ويعرف تركستانى (١٩٨٩: ٧) الخبر بأنه: " موضوع يتصور حدثًا حقيقيًا أو ظاهرة حدثت أو ستحدث، ويتم نشره من خلال وسيلة جماهيرية كى تُستهلك على الفور بإخبار العامة به، أو بغرض التأثير على الرأى العام حول ذلك الحدث أو تلك الظاهرة"

يشير كرام (١٩٩٢) إلى أن الجدية من الخصائص العامة للأخبار، فيقول: إن الخبر يجب أن يتضمن قصة مفصلة لحدث ما، فكلامٌ مثل: قرر الوزير زيادة الراتب فى القطاع العام لا يُعدُّ تقريراً كافيًا لبيان قرار الوزير زيادة المرتبات، ولكن يجب أن يقدم الصحفى قصة مفصلة حول المفاوضات التى سبقت هذا القرار، وأن ينشر النص الكامل للقانون، وأن يوضح الأسس التى تم على أساسها حساب العلاوة (كرام ١٩٩٢: ٣٥).

والخبر كما يراه (كرام) هو سرد لحدث أو موقف ما "ويختلف السرد بحسب أيديولوجية الصحيفة، لكن هناك خصائص رئيسية تحدد شكل الأخبار هى: الجدية، الفورية، التشويق، البساطة" (١٩٩٢، ٣٣)، وبالتالى فإن نص الخبر ليس مجرد حكاية حرة لحدث ما، بل هو نص يسعى للإجابة على أدوات الاستفهام الستة الشهيرة: أين، من ، متى، لماذا، ما ، كيف (كرام ١٩٩٢، ٤٤).

من ناحية أخرى نجد أن المقالة معرَّفة بصورتها النثرية، فالمقالة تختلف عن التحليل العلمى أو النص الأدبى، فهى تتسم بكونها عملا نثريًا يتمحور حول موضوع أو فكرة ما.

٦- اللغة العربية الفصحى المعاصرة

.... بهذا، لن يستقر مصير اللغة العربية فى الحلول الوسيطة المفتعلة بين المصدرين اللغوين الأصليين للكلاسيكية والعامية، واللذين يسيران عكس بعضمها البعض، بل فى الخط المستقيم الخارج من التركيبات اللغوية الكلاسيكية السامية متجهًا نحو تشكيل تركيبات لغوية جديدة لا تلتزم على الإطلاق بما لدى السامية، والذى يخضع لضوابط فلسفية أكثر من خضوعه لعادات الخطاب الحى. وهنا فقط يمكن امتلاك اللغة التى بها يفكر العرب، وعن طريقها سيتغلبون على مشكلة تصارع العامية مع الكلاسيكية.

جيروسلى ستيتكيفتش - مذكور فى نيلوفار هارى (اللغة المقدسة، الشخص العادى: معضلة الثقافة والسياسة فى مصر)

استحضرت ليلى أحمد «مناصرة المرأة المصرية» فى سيرتها الذاتية الفترة التى كانت تعمل فيها فى «أبوظبى»، والتى قابلت فيها شبابًا من أصول عربية، فلسطينيين ومصريين وبدوًا وغيرهم، ممن تلقوا تعليمهم وثقافتهم باللغة العربية الفصحى المعاصرة، ثم رصدت الاختلافات الثقافية المحلية واللغوية بين العرب، وأوضحت أن اللغة العربية المعاصرة لم تكن هى اللغةَ الأم، بل كانت العامية المصرية هى لغتهم الأم.

أخيرًا تأكدت ليلى أن اللغة الإنجليزية واللهجة المصرية أكثر قربًا إليها من اللغة العربية المعاصرة، فالإنجليزية لغة حية وكذلك اللهجة المصرية. لكن قد تم محو اللهجات العامية والثقافات المحلية ، تحت شعار التعليم والوحدة العربية؛ وذلك ليُفسحوا الطريق أمام شكل مكتوب يمثل اللغة العربية المعاصرة.

وقد تمَّ تجاهل اللهجات العامية باعتبارها غير موجودة أصلا، وذلك لم يكن فقط لأسباب لغوية، بل كان له أيضًا أسبابه السياسية.

وعلى الرغم من أن ليلى لم تطالب بإقصاء اللغة العربية الفصحى المعاصرة من المدارس، أو التخلى عنها فى الكتابات الأدبية فإنها نادت "بالاعتراف بالاختلافات اللغوية والثقافية المتعددة والتى يتألف منها العالم العربى" (١٩٩٩، ٢٨٢).

إن فكرة أن العرب جميعًا يشتركون فى لغة واحدة فكرة خاطئة، صحيح أن الجميع يشتركون فى شكل كتابة واحد، لكنَ هذا الشكل لا يمثل اللغة الأم التى يستخدمونها فى تواصلاتهم اليومية، بل العامية المستعملة هى التى تمثل – فى الحقيقة– اللغةَ الأم.

وتختلف العامية من بلد عربى إلى آخر، فتتخذ عدة أشكال، مثل: العامية المصرية والعامية الفلسطينية والعامية المغربية...إلخ، لكن يتلاشى هذا الاختلاف اللغوى فى لغة الخطابة أو اللغة الرسمية المكتوبة.

بالطبع تمثل اللهجات العامية تهديداً للنموذج العربى المكتوب الذى كثيراً ما ادعى القدرة على توحيد العرب جميعًا فى نموذج لغوى واحد، بينما تعمل العامية المستخدمة على التفريق بينهم، ولذلك فإن اللغة العربية الفصحى المعاصرة تعمل عمل الرابط القومى فى المنطقة العربية.

صنع البرنامج الجدلى الشهير "الاتجاه المعاكس" الذى يُعرض على قناة الجزيرة الفضائية مناظرة بين نموذجى التخاطب فى اللغة العربية: المكتوب والمنطوق، وناقش خلالها الموت المحتمل للنموذج المكتوب بسبب الضغط الذى تمثله اللغات العامية المستخدمة من ناحية واللغات الأجنبية من ناحية أخرى.

كان من ضمن الضيوف الكاتب والشاعر اللبنانى «فاروق روحانا» الذى فضل التحدث بلغته الأم، (العربية اللبنانية)، زاعمًا أنها لغة مستقلة وليست مجرد لكنة.

أثار هذا النقاش عدداً من القضايا المهمة منها تأثير اللغة الإنجليزية على اللغة العربية المعاصرة، والحاجة إلى إصلاح تدريس اللغة العربية الفصحى بالمدارس.

وقد كشفت مشاركات المشاهدين عن توجهات غير مبالية باللغة، حتى إن أحد المشاهدين انتقد استخدام فترة البث التليفزيونى لمناقشة اللغة بدلا من استخدام هذا الوقت فى مناقشة قضايا سياسية أكثر أهمية[1].

إن الهدف من هذا الفصل هو إلقاء بعض الضوء على العلاقة المشتملة على مشكلات بين اللغة القومية والعربية الفصحى التى تمثل أيضًا لغة الأخبار. كما سيتضح فيما يلى أن اللغة العربية الفصحى يقتصر دورها فى البث التلفزيونى على التقرير الإخبارى (النشرة) دون غيره من البرامج التى تحتل النصيب الأكبر خلال البث التليفزيونى.

سيبدأ هذا الفصل باستعراض سريع لتطور اللغة العربية الفصحى وظهورها بشكل جديد ينبع من اللغة العربية القرآنية الكلاسيكية، وسيستعرض كذلك صورتى اللغة diglossia أو حصول صورتين للغة وهما اللغة المكتوبة والمنطوقة، وسوف يتم دراستهما فى ضوء بحث تالٍ، والذى يشير إلى وجود ثلاث صور للُّغة الواحدة triglossia أو ربما أربع صور quadriglossia

قد يُرجع البعض الاختلاف الكبير بين الشكل المكتوب ومُناظِره المنطوق إلى عدد من الأساطير حول اللغة العربية، حتى تستشعر على الفور طبيعتها الانفعالية وعدم ملاءمتها للتقارير الإخبارية المبنية على الحقائق.

وسيعرض القسم الثالث من هذا الفصل هذه الأساطير بإيجاز ويتبعها بالحجج التى تدحضها.

وفى النهاية سيُبرز الجزء الأخير من هذا الكتاب الخصائص الرئيسية المميزة للغة الأخبار فى ضوء تطوُّرها، وسيوضح العلاقة التكافلية التى تتمتع بها مع غيرها من اللغات الأجنبية وبخاصة اللغة الإنجليزية.

---

(١) الاتجاه المعاكس قناة الجزيرة الذى تم بثه فى ٣١ أغسطس ٢٠٠١، انظر /www.aljazeera-net programs/op_direction/articles/2001/8/8-31-1.htm

تطوّر اللغة العربية الفصحى المعاصرة:

كانت اللغة العربية الكلاسيكية (لغة القرآن) هى الوسيلة الوحيدة التى يتم من خلالها نشر الثقافة الإسلامية فى فترات القوة والازدهار للإمبراطورية الإسلامية (هارى، ١٩٩٧)، فلقد كانت العربية الفصحى هى لغة المثقفين ورجال الدولة، مما أدى إلى اختفاء اللغات المحلية الأخرى مثل القبطية واليونانية (فيرستى ١٩٩٧). وقد شعر الحكام آنذاك بالحاجة الماسة إلى وضع أسس ثابتة لاستخدام اللغة الفصحى دون غيرها، وذلك لأسباب عدة، لخصها فيرتيج (١٩٩٧) فى الآتى:

١- التفاوت بين اللغة الفصحى وباقى اللغات العامية فى الإمبراطورية

٢- رغبة الحكام فى توحيد كل الموضوعات السياسية والدينية والثقافية.

٣- الحاجة الماسة إلى وضع أسس موحدة لمعجم اللغة لضمان الوحدة فى جميع أنحاء الدولة.

هذا إلى جانب كون اللغة العربية الفصحى هى لغة القرآن الكريم والحديث الشريف، وقد أمّنت هذه الخلفية اللغة العربية الفصحى، وارتقت بها إلى مكانة مقدسة فى عقول العرب؛ حيث رأوا أنها لغة الله وفيها روحانياته.

وهذه القداسة قد تعنى أن هذه اللغة مثل الآلهة "لايمكن إدراكها" (فيلمان ١٩٧٣، ٢٨)، فالقديسون والباحثون فقط هم من يملكون القدرة عليها، وبالتالى فهى ليست مجرد لغة أم على الأجيال أن تتناقلها، بل إنها اللغة المحبَّذة فى التعليم الرسمى لسنوات عديدة.

هذا بالإضافة إلى أن اللغة العربية الفصحى تختص أكثر بالأساليب الأدبية، وتعالج قيمًا منفصلة عن الحياة المدنية المعاصرة (فيلمان ١٩٧٣، ٢٩).

وعلى الرغم من أن العاميات العربية هى التى تُستخدم يوميًا فى التواصل بين المواطنين العرب فإن اللغة العربية الفصحى لم تمُت، بل استمرت مستندة على ثلاث

دعـائم، وهـى: الديـن والإعـلام والبـيـروقـراطيـة، وبالطبـع يلعب الديـن الدور الأعظـم فـى ذلك(هـارى ٢٠٠٣، ٣١).

تُمارَس اللغـة العـربيـة الفـصـحى فـى الصلوات اليـومـيـة سـواء كـانت تُؤدى فـى المساجد أم فى المنازل، على المستوى الفردى أو الجماعى، بينما باقى الأنشطة اليومية تُؤدى بالعامية. وهذا أيضًا ما نلاحظه بين المسيحيين العرب؛ حيث نجد الكتاب المقدس والقُدسات التى تتم فى الكنائس تتم بالعربية الفصحى.

دائمًا ما يعتبر المسـلمون أن العربيــة الفصحى هى لغـة الله المقدســة، لهذا فإنهم لا ينتظرون من غير المسلمين إتقان هذه اللغة إلى درجة تؤهلهم أن يدرِّسوها للآخرين (هـارى ٢٠٠٣، ٤٩).

أدت محاولات توحيد العربية الفصحى إلى ظهور الفصحى المعاصرة باعتبارها اللغة الرسمية للدول العربية، وقد كان ظهور الصحف العربية خلال القرن التاسع عشر دعمًا مهمًا للفصحى المعاصرة: حيث سعى المفكرون والمثقفون الذين يقومون على هذه الصحف إلى إدخال مصطلحات وتركيبات لغوية جديدة للغة (عبد العزيز ١٩٨٦، ١٦)

ونظرًا لثنائية اللغة أو تعددها لدى عدد من هؤلاء المثقفين من أصحاب التوجه الغربى، فقد نقلوا قدرًا كبيرًا من الكلمات والتعبيرات الأجنبية إلى العربية (عبد العزيز ١٩٨٦، ١٦).

من هنا يمكن القـول بأن اللغـة العـربيـة المعـاصـرة هى لغـة الصـحـافـة والكتب والمراسلات الرسمية، فى حين أن الكلاسيكية تُمارس فى النطاق الدينى وعادة بواسطة رجال الدين.

دعت عملية الحداثة فى مصر فى القرن التاسع عشر على أيدى الحاكم التركى محمد على إلى المزيد من التحديث للغة، وفى إطار الجهود المبذولة لتحسين مستوى التعليم العسكرى أمر محمد على بترجمة المواد الدراسية إلى العربية بما فيها الكتب الأجنبية التى كانت تستخدم لتعليم العسكريين (هارى ١٩٩٧، ٨٠١). وتوسعت حركة ترجمة المواد الدراسية واستمرت إلى الآن، حتى أصبحت أكثر قربًا من اللغة العامية.

تميزت هذه الخطوة ببداية احتمال تحسين التعليم للمجموع (هارى ١٩٩٧،٨٠١)، وفى الوقت نفسه سببت تراجعًا فى دور المدارس الدينية القائمة على تدريس القرآن باللغة العربية الكلاسيكية.

على الرغم من إلزامية تعليم اللغة العربية المعاصرة فى المدارس فإنه قد تم التعامل معها كأنها لغة أجنبية، فكانت قواعدها تلقن فى الفصول دون ممارستها فى المواقف الاجتماعية الفعلية (فيلمان ١٩٧٣، ٣٠). وأصبح على الطلاب قراءة النصوص الأدبية والدينية باللغة العربية المعاصرة وحفظها وحفظ قواعدها اللغوية دون سعى لفهمها (فيلمان ١٩٧٣: ٣٠)، ولم يتوفر للطلبة فصول دراسية تمكنهم من التحدث باللغة العربية المعاصرة مما يسمح لهم باستخدامها فى الأغراض الرسمية والأكاديمية (عبد الفتاح ١٩٩٠، ١٤٣).

تلعب اللغة العامية الدور الرئيسى فى المحادثات اليومية، وتقتصر هذه اللغة التى تنتقل من جيل إلى آخر على المجتمع الذى توجد فيه. فاللكنة المصرية مثلا تختلف فى نطقها وقواعدها عن اللكنة الأردنية أو المغربية.

وهذا الوضع المتناقض المتمثل فى وجود لغتين واحدة رسمية والأخرى غير رسمية تم تسميته من قبل علماء اللغة بـ«الازدواج اللغوى»

الازدواج اللغوى:

يبدو الازدواج اللغوى كما لو كان "حاجزًا ذهنيًا" (اناجى ٢٠٠٢: ٧٩) فى عقول مستخدمى اللغة؛ حيث تعتبر اللغة العامية والتى تستخدم فى الحياة اليومية وتُمارس فى كل أشكال الاتصال الاجتماعى لغة غير موجودة بالنسبة للدولة. فقد تم الاعتراف باللغة العربية المعاصرة على أنها لغة رسمية، ويعنى هذا الموقف أن العامية تعدُ لغة غير ملائمة لأغراض الكتابة حتى ولو كانت فى تبادل المراسلات العادية. ولهذا بنى الأطفال حاجزًا عائقًا تجاه لغتهم العامية مما أدى إلى وجود انقسام لغوى (اناجى ٢٠٠٢: ٧٩).

شكلت مشاعر الفصل بين اللغتين (الفصحى والعامية) لدى مستخدمى اللغة من ناحية، وبُعدهم عن الأسلوب الأدبى الذى يمثل اللغة الرسمية من ناحية أخرى شكلت "حاجزًا نفسيًا" مفروضًا من قبل الأنظمة الحاكمة نفسها.

ويجد المتحدثون صعوبة كبيرة فى استخدام اللغة العربية المعاصرة فى مواقف الاتصال اليومى، حتى المتعلمون منهم. فهم يشعرون بسهولة وطلاقة أكثر فى استخدام لغتهم العامية. ففى الواقع لا يشكل المستوى التعليمى للمتحدث مؤشرًا واضحًا لمهارته فى اللغة العربية المعاصرة.

أعد باركسن (١٩٩٣) مجموعة من التقارير ليختبر المعرفة باللغة العربية المعاصرة بين المتعلمين من المصريين، وجاء الاختبار من الكتب الدراسية المستخدمة فى تدريس اللغة العربية كلغة أجنبية وأظهرت النتائج وجود اختلاف شاسع بين المشاركين بحسب مستواهم التعليمى. فعلى سبيل المثال برهنت النتائج على أن المستوى العالى للإلمام بالقواعد اللغوية حاصل بين طلبة الجامعة الذين يدرسون بالعربية (باركسن ١٩٩٣، ٥٠)، لكنّ الطريف أن نجد هؤلاء الطلبة أنفسهم لا تظهر عليهم مهارات قرائية أو سماعية بالمقارنة بالمجموعات الأخرى، وهى المسألة التى يعللها باركسن بقلة اهتمامهم بالشئون الجارية، وبالتالى امتعاضهم من متابعة برامج الإعلام المختلفة أو قراءة الأخبار باللغة العربية المعاصرة.

كما عبرت هذه التجربة عن الاستعداد لقبول النصوص مع بعض التدخلات العامية بدون تشكيل أواخر الحروف (وهو الشرط اللازم لقراءة اللغة العربية الفصحى المعاصرة) كصورة جديدة للغة العربية الفصحى وهو الأمر الذى يعنى أن اللغة الفصحى المعاصرة من الناحية النفسية تعتبر مجرد نسخة رسمية من اللغة العامية المحلية (باركسن ١٩٩٣،٧١).

أشار كل من عبد الفتاح (١٩٩٠) وباركسن (١٩٩٣) إلى غياب استخدام اللغة العربية المعاصرة فى المواقف الحوارية المفتوحة فى الفصول الدراسية، والتى كان بإمكانها أن تساعد الطلاب على إظهار براعتهم فى اللغة.

ثم يوجه عبد الفتاح (١٩٩٠: ١٤٣) اللوم إلى الحكومات المحلية (على الأقل فى مصر) لتجاهلهم دور اللغة العامية، وعدم تشجيع الطلاب فى المدارس والجامعات على استخدام الفصحى المعاصرة فى الحوارات الفعلية ورؤية التشابهات والاختلافات بين اللغتين المكتوبة والمقروءة.

هذا الموقف المغالط من تبنى لغة ما لا تستخدم على الإطلاق فى التواصل اليومى، وهى فى الوقت نفسه تعدّ لغة رفيعة ومصونة بالمقارنة بالعامية التى لا يعترف بها رسميًا[١] هذا الموقف يثير التساؤل: كيف للغة مكتوبة أن تبقى حتى الآن وتتفوق على اللغة العامية فى المرتبة الرسمية؟

يحدد هارى (١٩٩٧) سببًا واحدًا مهمًا، وهو مكانة القرآن الكريم، ومصاحبة اللغة العربية الكلاسيكية له يضمن استمرارية اللغة ويعلو بهيبتها حتى اليوم.

وهناك عامل آخر يتمثل فى بقاء التقاليد الأدبية منذ أواخر القرن التاسع عشر والتى ساهمت من جهتها فى تعضيد مكانة اللغة العربية الكلاسيكية باعتبارها الوسيلة الأدبية الوحيدة المستخدمة بين الباحثين والكتاب العرب (هارى ١٩٩٧، ٧٩٧/ عبد العزيز ١٩٨٦، ١٦).

وهناك عامل ثالث ساهم هو الآخر فى الحفاظ على مكانة الفصحى وهو معناها الضمنى؛ حيث تعتبر الفصحى دعامة رئيسية للقومية العربية، فيرى مناصرو الإقليمية العربية فى مصر الذين ظهروا خلال الأربعينيات أن الفصحى وسيلة أكيدة لتنفيذ الوجود الفعلى للأيديولوجية والبرهنة عليها(هارى ١٩٩٧، ٧٩)[٢].

---

(١) هذا لدرجة أن بعض العرب لا يزالون يؤمنون أن اللغة الدارجة ليست لغة مستقلة بنفسها لها قواعدها النحوية وتهجئتها. فهم يميلون لتصديق أن نطق الكلمات باللغة الدارجة لا يخضع لأى قواعد بل لعفوية المتكلم. وظهر هذا التوجه فى آراء المشاركين فى الحوارات الحية حول اللغة العربية التى قدمها البرنامج الأكثر شعبية وانتقادًا "الاتجاه المعاكس" على قناة الجزيرة فى ٣١ أغسطس ٢٠٠١ . يمكن قراءة نص البرنامج على موقعها www.aljazeera.net

(٢) يشير سليمان (٢٠٠٢) لحقيقة أن اللغة العربية المعاصرة لا تعمل عمل الأداة الموحدة فى الجزائر والمغرب بسبب اللغة البربرية التى تمارس هناك بل الدين هو الذى يلعب هذا الدور

هنا بدا منطقيًا أن اللغة التى بمقدورها توحيد الشعوب العربية لا ينبغى أن تكون إحدى هذه اللغات العامية، بل هى اللغة المشتركة فى الكتابة بين الدول العربية. ومنذ ذلك الحين واللغة العربية الكلاسيكية تلعب دور القوة الموحدة بين العرب (هارى ١٩٩٧، رو ١٩٨٧، فيلمان ١٩٧٣).

إن تقسيم اللغة إلى أشكال عالية ومنخفضة المستوى هو تقسيم مبسط، فهناك العديد من المستويات الفرعية تقع بين هذين الشكلين (بدوى ١٩٧٣)، فعلى سبيل المثال يميل عدد من المثقفين والمفكرين إلى إدراج العديد من الكلمات العامية فى حوارهم بالفصحى.

ولذلك يقدم «بدوى» خمسة مستويات من اللغة العربية المنطوقة للمصريين، تحتل العربية الكلاسيكية فيها موقع القمة، بينما تمثل العامية أدنى المستويات، وكلما زادت درجة تعلم الشخص زادت لديه عدد مستويات اللغة التى يمكن إتقانها، فالشخص الجامعى مثلا يستطيع التحرك بلغته خلال ثلاثة مستويات أو أكثر للغة معتمداً على اللغة الرسمية فى الخطابة.

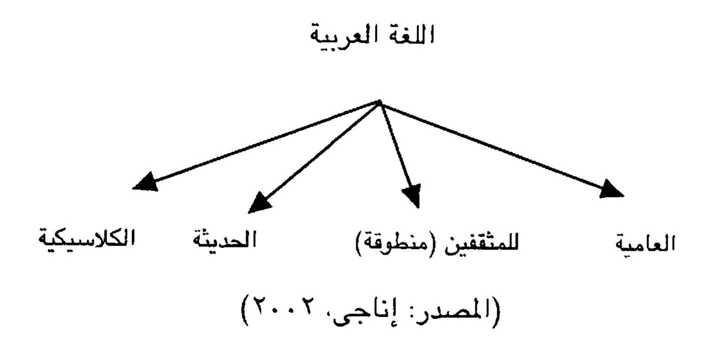
إن التحرك اللغوى من مستوى منخفض إلى آخر مرتفع عادة ما يحدث عندما يحاول الشخص إيجاز نقاط أساسية فى حججه، بينما يحدث التحرك من مستوى مرتفع إلى آخر منخفض عندما يريد المتكلم أن يشرح أو يفسر مسألة معينة (بدوى ١٩٩٧، ٢٠٦).

وتُستخدم أيضًا طريقة نطق بعض الحروف كوسيلة لتمييز المستوى التعليمى والثقافى للمتكلم وبخاصة بين الرجال؛ حيث أكدت الدراسات الاجتماعية اللغوية للمتحدثين بالعربية ميل الرجال إلى استخدام الصورة الكلاسيكية فى لغتهم الشفهية أكثر من ميل النساء، على الرغم من الخلفية التعليمية والاجتماعية لهن (هارى ١٩٩٧: ٧٩٨).

يصف بعض اللغويين هذا الوضع بالثلاثية اللغوية؛ فهناك اللغة الكلاسيكية، وهى لغة الدين، واللغة العربية المعاصرة والعامية، وهى تعمل جميعًا جنبًا إلى جنب.

ذهب «إناجى وصدقى» (١٩٩٤، مذكورة فى إناجى ٢٠٠٢، ٧٩) بعيداً؛ حيث زعما وجود توجه رابع للغة فى البلدان العربية، وهذا المستوى الرابع موجود ويمارس من قبل العرب المتعلمين جيداً ويُسمَّى هذا المستوى «لغة المثقفين». ويمكن توصيف هذا المستوى الرابع للغة كما هو مصور فى الشكل ٦ . ١ (إناجى وصدقى ١٩٩٤، مذكور فى إناجى ٢٠٠٢، ٧٩).

مستويات اللغة العربية



(المصدر: إناجى، ٢٠٠٢)

إن الرابط الذى يفترضه بورديه (١٩٨٥) والذى يصل بين الطبقات العليا للُغة الرسمية يبدو أنه غير موجود بين المتحدثين بالعربية فى الشرق الأوسط. فالطبقات العليا فى المجتمع على سبيل المثال تتبنى اللغات الأجنبية فى حواراتها، بهذا لم تعد البراعة فى استخدام اللغة العربية المعاصرة علامة على رفعة المكانة الاجتماعية.

إن زيادة عدد المدارس الأجنبية فى مصر يعنى انسحاب المزيد والمزيد من الشباب من تعلم اللغة العربية المعاصرة بقواعدها الصارمة المنفرة للأجيال الجديدة. وقد أصبح من الضرورى ظهور اللغات الأجنبية وبخاصة اللغة الإنجليزية لتناسب الوضع الاقتصادى الجديد فى المنطقة العربية، حيث تعمل الأنظمة الحاكمة جاهدة على جذب رأس المال الأجنبى وفتح فرص عمل تتطلب إتقان اللغة الإنجليزية باعتبارها لغة عالمية.

تكشف الدراسة الميدانية التى ذكرت فى هارى (١٩٩٧) أن الأعمال التى تشغلها الطبقة العليا وفوق المتوسطة فى مصر تتطلب إتقان اللغة الإنجليزية، بصرف النظر عن مدى إلمامهم باللغة الرسمية وهى اللغة العربية المعاصرة (هارى ١٩٩٧، ٨٠٠) وعليه فهناك نظامان تعليميان: الأول هو التعليم الخاص وفيه يُستخف بدور اللغة العربية المعاصرة، والثانى وهو التعليم العام وتمثل فيه اللغة العربية المعاصرة جزءًا لا يتجزأ منه.

من جهة أخرى نرى سوق العمل يؤكد وجود هوة بين العامية والفصحى المعاصرة، فخرِّيج الأزهر على سبيل المثال، وهو جامعة إسلامية، يكاد ينافس أولئك الذين يتخرجون من الجامعات فى مجالات مماثلة. فأكثر الوظائف المرموقة لا تتطلب بالضرورة إجادة اللغة العربية المعاصرة فى حين أن الوظائف ذات الدخول المتدنية فى قطاعات الأعمال العامة فى الدولة تتطلب الإلمام بها (هارى ١٩٩٧، ٨٠٤).

فى المدارس وبخاصة المدارس الحكومية التى تلتزم عادة بتدريس العربية الكلاسيكية ، يميل طلابها إلى استخدام اللغة العامية فى الإجابة عن أسئلة معلميهم (هارى ٢٠٠٣: ٤١).

فى الحقيقة لم يعد الناس يرون فائدة فى تعلم لغة ذات قواعد معقدة التركيب تكمن قيمتها الحقيقية فى كونها لغة القرآن الكريم وبالتالى تعد رمزًا لهوية المسلم عبر البلاد، لذا نجد الناس فى مصر يبذلون كل ما فى وسعهم لإلحاق أطفالهم بالمدارس الخاصة، أى مدارس اللغات، مما شكل ضغطًا على المدارس العامة دعاها أن تجرب فكرة إدراج اللغة الإنجليزية فى المراحل التعليمية الأولى.

وقد زادت نسبة الالتحاق بالمدارس الخاصة، وأدى ذلك إلى تحقيق هدفين: الأول هو اكتساب مهارة التحدث باللغة الإنجليزية، والثانى هو الهروب من المناهج المملة فى المدارس التابعة للدولة، أو كما جاء على لسان إحدى الأمهات المصريات : "لماذا أجعل أطفالى يعانون من تعلم قواعد اللغة العربية غير الضرورية والمملة والصعبة فى حين أنهم بحاجة فعلية للغة إنجليزية سليمة؟ فأنا أضع أبنائى فى مدرسة باهظة المصروفات حتى لا يضطروا إلى تحمل آلام دراسة منهج الوزارة" (هويدى ١٩٩٩)

يذكر الباحثان حسين وزغول (٢٤٠، ١٩٩٣) أنه على نقيض المتوقع بعدما حصلت الدول العربية على استقلالها من الاستعمار - ربحت اللغة الإنجليزية دوراً أكثر أهمية فى النهوض بالمنطقة نحو الحداثة.

أضف إلى هذا أن العديد من أفرع المعرفة فى الجامعات يتم تدريسها باللغات الأجنبية وخاصة الإنجليزية رغم النداءات المتعددة بتعريب المناهج، ويمكن القول بأن ضعف التنسيق بين الأكاديميات العربية عائق ضمن عوائق أخرى تقف أمام التعريب، وأيضًا عدم الثقة فى الاعتماد على الفصحى المعاصرة[١] لغةً للتدريس فى الأكاديميات، ووهن الأبحاث المكتوبة بالعربية، كل ذلك ساهم فى عزلة اللغة العربية فى الجامعات العربية.

وقد أثرت هيمنة اللغة الإنجليزية، ليس فقط باعتبارها لغة العمل بل أيضًا لكونها لغة الحاسوب وشبكة المعلومات(الإنترنت)، أثرت على اللغة التى يستخدمها الشباب العرب فى محادثاتهم على شبكة المعلومات، فقد أشارت إحدى الدراسات التى أجريت حول استخدام اللغة العربية والإنجليزية بواسطة المهنيين المصريين - على شبكة المعلومات، أشارت رغم إجرائها على عينة صغيرة من الأشخاص - إلى وجود توجه جديد لدى الشباب فى المنطقة العربية إلى استخدام النسخة اللاتينية للغة العامية للتحدث فى غرف الدردشة على الهواء (وارشوار ات ال ٢٠٠٢)

أساطير حول اللغة العربية المعاصرة

جعلت الفجوة الموجودة بين الفصحى المعاصرة والعامية بعض الباحثين مثل(شوبى ١٩٥١، بتاى ١٩٧٣) يزعمون أن الفصحى المعاصرة عاجزة عن توصيل الحقائق بل هى مجرد انفعالات وتكرارات، فهذا التوجه قريب لنظرية سابير وور الكلاسيكية التى تربط الجوانب السلبية فى مجتمع ما باللغة المستخدمة فيه.

---

(١) إلا أن سوريا قادت عملية تعريب مناهج الجامعة وبخاصة فى معاهد الطب (انظر "العربى" ١ يناير ٢٠٠٢).

وينسب شوبى (١٩٥١) غموض الأدب العربى إلى تركيباته اللغوية الصارمة، ويضيف أن هذا الغموض قد يكون نتيجة مباشرة لاستخدام كلمات معينة دون أن يسبقها تعريفات واضحة لها، أو نتيجة استخدام كلمة ما قد تتضمن أكثر من معنى، ومن عوامل صعوبة اللغة العربية كذلك صرامة قواعدها.

أوجز شوبى المسألة فى قوله: "من الجدير بالذكر أن يقال إن اللغات الأوربية تُقرأ من أجل أن تفهم أما اللغة العربية تُقرأ من أجل القراءة". يقول إدوارد (١٩٧٨/١٩٩٥، ٣٢٠) : إنه وجد فى حجج شوبى تبسيطًا أكثر من اللازم مما قد يشير إلى افتقار معرفته بكيفية توظيف اللغة.

ويربط سعيد هذه الحجج بفكرة «الاستشراق» باعتبارها سكونية رتيبة حيث تستخدم كلمات انفعالية دون هدف حقيقي، وقد لخص ذلك فى قوله: "وتسمح القيمة المبالغ فيها والتى يكدِّسها المستشرق فوق اللغة العربية بجعل اللغة معادلة للعقل والمجتمع والتاريخ والطبيعة، واللغة بالنسبة للمستشرق تنطق الشرقى العربى، وليس العكس" (سعيد ١٩٧٨/١٩٩٥، ٣٢٠).

تركز حجج شوبى على الطبيعة الانفعالية للغة العربية وتربط بينها وبين الطبيعة الاندفاعية للعرب كشعب، ومن ناحية أخرى يرى شوبى أن تلك الاندفاعية مسئولة عن سوء التفاهم الواقع بين العرب من جهة والغربيين من جهة أخرى؛ لأن العرب يتمسكون بهذه الاندفاعية فى كلامهم حتى عندما يستخدمون لغة أجنبية.

يستطرد شوبى ليستعرض العديد من العوامل التى تساهم فى هذه الطبيعة الانفعالية للعربية، مثل: التوكيد والمغالاة المبالغ فيهما وموسيقية اللغة، وقد واجهت الترجمة من العربية إلى الإنجليزية - نتيجة ذلك- صعوبة كبيرة؛ فالمعانى المعبَّر عنها باللغة العربية المزخرفة لا يمكن ترجمتها بالكلمات الإنجليزية الجامدة.

يقول «سعيد»: إن هذا الموقف المتناقض فى بحث شوبى تم ذكره أكثر من مرة كما يلى: فمرة يقول: نجد التوكيد المبالغ فيه للغة العربية له تأثير سلبى على أذهان

العرب، وأخرى يقول: نجد العرب بمقدورهم المغالاة فى زخرفة لغتهم. مما يمكن وصفه «بالفقر المخلوط بالإفراط» (١٩٨٧/١٩٩٥، ٣٢٠).

وقد تم دحض هذه الأساطير المذكورة فى فرضيات «وورفين» على أيدى علماء أجلاء، على سبيل المثال يؤكد «بيكر» (١٩٩٤، ٤٤) أن الأشخاص لا يفكرون بالكلمات بل لغة الفكر أو ما يطلق عليه «الذهنية» ويبرهن على ذلك بأن الصم والأطفال الرضع والحيوانات لا تزال تتمتع بالقدرة على التواصل بالذهنية (بيكر ١٩٩٤، ٤٧).

ويُدلل «عبد الفتاح» فى بحث له (١٩٩٠، ٥٠) على عدم ملاءمة الفصحى المعاصرة كلغة عملية بفكرة انفعالية تلك اللغة، فلقد قيل عن الصحفيين العرب إنهم يضعون أولوية للعملية البلاغية قبل العملية الاتصالية الخاصة بنقل المعلومة. ويقال كذلك عنهم إنهم يولون اهتمامهم الأكبر بتصحيح القواعد والتركيبات اللغوية بالمقارنة بالصحفيين الأمريكيين الذين يهتمون أكثر بالحقائق والإحصائيات (رو ١٩٨٧، ٢١).

قد تتحقق هذه المعادلة فى بلاد مثل الجزائر وتونس والمغرب، لأنَّ ميديا الأخبار تستخدم اللغة العربية والفرنسية فى التواصل اليومى بين الأفراد. إذ يقال: لنقل الأفكار يتم عرض جزء من الحوار بالعربية والآخر بالفرنسية، وبذلك يتم الإبقاء على الحس الفرنسى فى المجتمع (رو ١٩٨٧: ٢١).

كشفت إحدى دراسات المحتوى للصحف الجزائرية والتونسية التى تصدر بالعربية والفرنسية أن الأخبار التى تقدم فى الصحف بهاتين اللغتين متماثلة (كوبر ١٩٨٦) وبالتالى فإن هناك تشابهًا فى التركيز على محاور وموضوعات معينة بين الصحف العربية والصحف الفرنسية.

كما أشار الباحث إلى أن استخدام اللغة الأجنبية لا يعنى بالضرورة أن الوسيلة الإعلامية التى تستخدم اللغة الأجنبية أكثر رفعة من الوسيلة الإعلامية التى تستخدم اللغة القومية، فمثلا يمكن للتونسيين أن يتحدثوا بالفرنسية بصرف النظر عن خلفيتهم التعليمية (كوبر ١٩٨٦).

علاوة على ما سبق ذكره يمكن القول إن العاميات فى اللغة العربية أكثر وضوحًا فى معناها من اللغة الكلاسيكية التى تظهر ملامح لغوية تتسم بالغموض والمبالغة، وهى مشكلة تبدو واضحة فى بعض الأعمال الأدبية مثل الافتتاحيات؛ حيث نشعر فيها بصعوبة توصيل المعنى مقارنة بالمعنى الحقيقى المستمد من الافتتاحية المكتوبة بالإنجليزية (رو ١٩٨٧، ٢٢).

يقال إن الفصل الواضح بين العامية والكلاسيكية هو السبب وراء إعراض الأفراد عن ميديا الأخبار المنتشرة فى بلادهم واللجوء إلى الميديا العربية المُقدَّمة من قبل جهات أجنبية، مثل البى بى سى وصوت أمريكا (فاندى ٢٠٠٠) لكنَّ القنوات الأجنبية أيضًا تستخدم اللغة الكلاسيكية لا العامية ولهذا فإن المسألة لا تتعلق باستخدام شفرة لغوية معينة، بل هى مسألة ضمان وثقة، وقضية الثقة التى يثيرها فاندى ربما تكون العامل الأهم الذى يجذب الأفراد للميديا الأجنبية أو لقنوات بعينها وهى مسألة تستحق الدراسة بعناية وتفصيل.

خصائص لغة الصحافة:

أدى إدخال الصحافة فى المنطقة العربية إلى تغطية الأحداث ووصفها بمصطلحات لا تحتوى عليها الكلاسيكية العربية. وبما أن فكرة إدراج اللغة العامية ضمن الأخبار تعد بديلا غير مقبول فإنه تم الالتزام بالعربية الكلاسيكية مع تضمينها مصطلحات كانت سابقًا مختصة لا تذكر إلا فى مجالات خاصة (إيالون ١٩٩٥، ١٧٣، هارى ٢٠٠٣، ٧٤). وبما أن هدف الصحف هو الوصول إلى أكبر عدد ممكن من القراء فلقد كان على الكتابة الصحفية أن تنفصل عن اللغة الكلاسيكية للأدب وتصنع لنفسها أسلوبًا أكثر مباشرة.

هذا، وقد كان الصحفيون الأوائل يعتبرون الصحف مجرد وسيلة أخرى يصبون فيها أعمالهم الأدبية وينقلون إليها لغة الأدب فى مقالاتهم السياسية، وبذلك كانت الصحافة "ببساطة طريقًا آخر للتعبير الأدبى" (أيلون ١٩٩٥، ١٨١).

تكمن المشكلة فى غياب استخدام اللغة الكلاسيكية عن الحياة اليومية العادية، فهناك صراع أو معركة جارية بين الكلمة الرسمية ذات السلطة والكلمة المحلية، تسعى فيه الكلمة الرسمية المكتوبة إلى الإبقاء على سلطتها ومكانتها، بينما تحاول الكلمة المحلية خلق استخدامات جديدة للغة المكتوبة... صراع بين الكلمة التى يمتلكها الفرد وكلمة الآخر أو الكلمة الدخيلة" (هارى ٢٠٠٣: ٧٥).

وفى خلال القرن التاسع عشر كانت اللغة الصحفية قريبة جداً من اللغة المستخدمة فى الأعمال الأدبية. فلقد كان خريجو الأزهر أكثر ظهوراً فى الصحف الأولى، وكان لتعليمهم الرسمىّ تأثيره البالغ على الأسلوب الأدبى فى كتاباتهم الصحفية، وقد لاقت تلك المسألة انتقاداً من المحررين أنفسهم، فقد أشار الإمام «محمد عبده» محرر جريدة«الوقائع» المصرية إلى غموض أسلوب الصحافة المستخدم آنذاك وفشله فى خدمة الهدف الذى وجدت من أجله الصحافة (عبد الفتاح ١٩٩٠: ٢٢)

ولم تلقَ فكرة تحديث الأدبيات الصحفية ترحيباً من قبل القائمين على علم النحو من العرب الذين رأوا فى هذه الأدبيات المعاصرة تهديداً "لنقاوة" اللغة الكلاسيكية (عبد الفتاح ١٩٩٠، ٤٥).

حتى إن بعضهم ذهب بعيداً فشبَّه التأثير الأجنبى على اللغة "بالطاعون الذى حل ليلوث لغة اليوم" (السمراء ١٩٧٩: ١٠١ مذكورة فى عبد الفتاح ١٩٩٣، ٢٤٩). على حين يرى البعلبكى (١٩٨٨ مذكورة فى حسين وزغول ١٩٩٣، ٢٤٩) أن الكتابة الصحفية قد أثرت فى اللغة العربية وأضافت إليها بساطة ووضوحاً فى الأسلوب.

وبصورة عامة عانت لغة الصحافة العربية كثيراً من التجاهل نظراً لأنها لا تمثل اللغة الكلاسيكية، فلقد استخف كانتارينوا (١٩٧٤ - ١٩٧٦) بالصحف أثناء حديثه عن التركيب اللغوى الحديث للعربية إذ رأى أن لغة الصحافة العربية - حسب وجهة نظره - لا تُمثِّل بلغة أدبية (كانتارينو ١٩٧٤).

إضافة لما سبق جاء هولس ليؤكد أن اللغة العربية تبتعد عن الأسلوب الأدبى الكلاسيكى، وهذا "الابتعاد يزداد اليوم أكثر من أى فترة مضت، وقد أصبحت المؤثرات الخارجية للغة الصحافة والتليفزيون والراديو أكثر وضوحًا على اللغة العربية " (١٩٩٥: ٢٥٥)، كما أكد أن "كثيراً من الأخبار المقدمة فى الميديا العربية أُعدتْ على عجَلٍ، وعادة ما تكون ترجمة حرفية لتقارير وكالة أنباء إنجليزية أو فرنسية" (هولس ١٩٩٥، ٢٥٦).

مع هذا يجب الحفاظ على دور ميديا الأخبار فى الوصول لكل طبقات المجتمع، وقد أوضح الناجى (١٩٩٥، ٩٧) أن الإذاعة والتليفزيون بالتحديد يعتبران الأداتين الأكثر شعبية والأوقع تأثيراً فى المنطقة، فلقد تم تجسيد تأثير اللغات الأجنبية على الصحافة العربية على وجه الخصوص فى العديد من الكلمات الدخيلة المدمجة فى اللغة العربية المعاصرة، فبعض الكلمات الأجنبية مثل:«فلكلور ودبلوماسى» قد تم ضبطها بحسب قواعد علم الصرف فى العربية (الناجى ١٩٩٥، ١٠٤)، أما بالنسبة للمسميات والمصطلحات الفنية فكانت تُنقل فى العادة من اللغة الأجنبية إلى العربية دون إحداث تغيير بها مثل:«دكتور وبروفيسور ورادار» (الناجى ١٩٩٥، ١٠٥)، ويُدعم هولس (١٩٩٧، ٢٥٥) هذا الكلام بالإشارة إلى بعض العبارات الدخيلة فى ميديا الأخبار، كما نى مصورة فى الجدول ٦ . ١

وبالتالى ظلت الكلمات الجديدة تضاف يومًا بعد يوم للغة الصحافة العربية، فمثلا زيادة الدخول على شبكة المعلومات الإلكترونية فى المنطقة تسبب فى تسرب بعض الكلمات من الإنترنت إلى لغة الصحافة، فالصفة «أثينك» تسربت إلى الصحافة على الرغم من وجود كلمة تعادل ethnic فى العربية وهى «عرقى».

ويقول الناجى (١٩٩٥: ١٠٨) إن الكلمات الأجنبية سواء كانت مترجمة، كلمة أجنبية مقابل كلمة بالعربية (calque) أو عبارة مستحدثة (coinage). فتكنيك العبارات المستحدثة يخدم ثلاثة أهداف: الابتعاد عن نقد النحويين المحافظين الرافضين لتأثير اللغة الأجنبية على اللغة العربية المعاصرة، والارتقاء بمستوى المسئولية المعنية بحماية

اللغة العربية باعتبارها اللغة القومية (والإقليمية)، وتفادى استعارة المصطلحات الأجنبية كما هى.

وقد أصبح من المألوف أيضًا أن تجد كلمات أجنبية دخيلة منسوخة بحروف عربية، فلقد ذُكر فى جريدة الحياة ١٨ فبراير ٢٠٠٣: وزير الداخلية: نحن سنمنع (الترانسفير) مهما كلفنا ذلك"، نجد هنا كلمة transfer والتى نسخت بحروف عربية واستخدمت كعنوان، وقد أبانت علامتا التنصيص اللتان تحيطان بالكلمة للقارئ – أن الكلمة غير مألوفة.

كما تقوم بعض الصحف بنقل بعض العبارات الإنجليزية كما هى دون تغيير مناسب، مثل: Bush administration أو «إدارة بوش» على الرغم من أن كلمة «إدارة» لا تستخدم بهذه الصورة فى العربية للإشارة إلى الجهاز الحكومى.

ويشير كل من هولس (١٩٩٧: ٢٥٥) وعبد الفتاح (١٩٩٠) إلى بعض العبارات الدخيلة فى العربية كما هى مصورة فى الجدول ٦ . ١ .

الكلمات الإنجليزية الدخلية على الصحافة العربية

الدبلوماسية المكوكية	Shuttle Diplomacy
عملية السلام	Peace process
السيدة الأولى	The first lady
نصيب الأسد	The lion's share
أعطى الضوء الأخضر	To give the green light
استراتيجية	Strategy
إمبريالية	Imperialism
أرشيف	Archives

إضافة إلى ما سبق يؤكد كلٌ من حسين وزغول (١٩٩٣) كثرة ظهور الكلمات الأجنبية فى الصحف الأردنية، وقد صنفا تلك الكلمات الأجنبية بحسب مجال استخدامها، ووجدا أن مجال المفاهيم العلمية البحثية هو الأكثر وروداً فى الصحف، ويليه الأسماء التجارية والمخترعات الحديثة والسيارات، بينما كانت المصطلحات المستعارة من مجال التدريس "الأكاديمى" والمصرفية هى الأقل وروداً (حسين وزغول ١٩٩٣، ٢٣٩).

وكان استخدام العامية منحصر عادة فى نوع واحد من الأدب، وهو ما يطلق عليه «الزجل» أو «الشعر السخرى» وهو نوع من الأدب انتعش فى بدايات القرن العشرين قبل أن يحظر بعد الحرب العالمية الأولى (بوث ١٩٩٢، ٤٢٤). وكان الزجل وسيلة لإيصال الرسائل السياسية فى أسلوب أقل تعقيدًا وتكلفًا مما يستخدم فى المقالات السياسية.

وكان يعقوب سنوس (١٨٣٩ - ١٩١٢) أحد الشخصيات البارزة التى عملت على الترويج لهذا النوع من الشعر، من خلال جريدته الساخرة «أبو نظارة زرقاء» والتى أنشئت عام ١٨٧٧ (بوث ١٩٩٢، ٤٢٥).

وقد مكنت العامية الشاعر من التعبير عن خبراته الشخصية وتجاربه دون الشعور بالمحددات والقيود التى تفرضها عليه القواعد اللغوية للكلاسيكية (بوث ١٩٩٢: ٤٣٦).

وتمتع هذا النوع من الصحافة الفولكلورية بشعبية كبيرة فى نهايات القرن التاسع عشر، وكان من مطبوعاته: «أبو نظارة» و«التنكيت والتبكيت» اللتين تأسستا على أيدى "يعقوب سنوس" و"عبد الله النديم" (عبد الفتاح ١٩٩٠: ٢٦).

علاوة على ذلك يؤكد عدد من الباحثين (هارى ٢٠٠٣، الناجى ١٩٩٥، عبد الفتاح ١٩٩٠، باركنسن ١٩٨١) وجود تأثير قوى العامية على الكتابة الصحفية العربية، ومن مظاهر ذلك على وجه الخصوص عكس ترتيب الكلمات فى العناوين الرئيسية للجريدة بشكل متكرر.

فالفصحى غالبًا ما تفضل أن تبدأ الجملة بالفعل ثم الفاعل ويليهما المفعول به (عيد ١٩٩٠، ٩)، بينما تقلب العامية تركيب الجملة فتأتى بالفاعل (المبتدأ) أولاً ثم الفعل ثم المفعول به (عبد الفتاح ٧٠).

ويرصد باركنسن (١٩٨١، ٢٨) ظاهرة عكس الترتيب هذه فى العديد من الأدبيات: حيث يظهر حضورها الغامر فى عناوين الأخبار فى الصحف، لكنها تغيب نسبيًا فى الموضوعات التى تحتل الصفحات الداخلية من الجريدة، والموضوعات الجادة مثل التى تتصل بالدين والأدب، فهى عادة ما تستخدم الجملة الفعلية، أما الموضوعات الخفيفة مثل موضوعات «القيل والقال» وأخبار الرياضة فإنها غالبًا ما تستخدم الجملة الاسمية (عبد الفتاح ١٩٩٠، ٧٦) ويذكر باركنسن أن الجملة الاسمية ورودها يزيد فى المقالات الصحفية أكثر من الأخبار المباشرة، وأن ورودها فى الأخبار الخفيفة فى عام ١٩٨٩ كان أقل بكثير بالمقارنة بإصدارات عام ١٩٣٥ لجريدة الأخبار.

وقد أجرى الناجى دراسة أخرى (الناجى ١٩٩٥، ٩٨) تؤكد هذا التوجه رغم الحقيقة القائلة بأن الجملة الفعلية هى الأكثر شيوعًا فى اللغة العربية الكلاسيكية الراقية.

إن التطورات الحالية على ساحة الميديا العربية والانفجار الحاصل فى عدد القنوات الفضائية[١] يبدو وكأنه أثَّر على استخدام اللغة العربية المعاصرة، ويرجع هذا إلى عدة عوامل:

أولها: أن برامج الأخبار والحوارات الساخنة التى تتم باللغة العربية المعاصرة تعدُّ عاملا تنافسيًا لجذب المشاهدين من كل أنحاء العالم العربى[٢]، إذ يمكن للغة العربية المعاصرة أن تصبح وسيلة هذه البرامج لإبراز الشخصية العربية الإقليمية بلغة يشترك فيها، رغم بعض الفوارق، جميع العرب على الأقل حاليًا.

---

(١) هناك أكثر من ١٠٠ قناة فضائية ناهيك عن القنوات الأرضية متوفرة للمشاهد العربى (عايش ٢٠٠١: ١٢٤).

(٢) يقول مدير قناة الجزيرة إن المساحة المتاحة لبرامج الأخبار قد تناقصت بنسبة من ١٠ - ٣٠٪ من إجمالى وقت البرنامج.

وثانيها: يستضيف التليفزيون الشخصيات الإعلامية التى تتقن التحدث بالفصحى المعاصرة للمشاركة فى الحوارات السياسية التى تُبثُ عن طريق هذه القنوات، وحتى متحدثو التليفزيون والأشكال الإعلامية الأخرى التى لم تستضف مثل هذه البرامج الحوارية الساخنة - يتباهون بمعرفتهم باللغة العربية المعاصرة.

توضح هارى (١٩٩٧: ٧٩٥) بالأمثلة إحدى النوادر التى ذُكرت فى الصحيفة المصرية الصادرة بالإنجليزية "الأهرام ويكلى" حول الرقيب الإعلامى الجديد الذى شعر بالحاجة إلى دورة تدريبية مكثفة فى اللغة العربية؛ كى يجتاز المقابلات الشخصية التى سيجريها للحصول على هذه الوظيفة.

فرغم تعلم هذا الرقيب فى مدارس اللغات طيلة حياته فإنه لم يحظ أبداً بفرصة ممارسة اللغة العربية أو حتى قراءة المزيد عن العربية المعاصرة.

وقد أتت الدورة التى حصل عليها بثمارها، ونجح الرقيب فى إبهار مدير البرنامج وحصل بالفعل على الوظيفة.

وثالثًا: كان الرواد العرب فى القرن التاسع عشر والعشرين يستخدمون الصحف باعتبارها قنوات شرعية لهم للتعبير عن آرائهم السياسية، وبالتالى لتمييز مناظراتهم ومناقشاتهم الفكرية، وكانوا يحرصون خلال ذلك على جذب قرائهم وإغرائهم بهذه الأفكار كى يتبنوها، وكان عليهم أن يستعينوا بالفصحى المعاصرة حتى لا تصبح آراؤهم موضع تهكم إذا ما عبروا عنها بالعامية.

وعلى الرغم من انفتاح مجال الصحافة لزمن طويل لمختلف خريجى الكليات وطلاب الجامعة فإن التعبير بالفصحى كان ولا يزال السمة المميزة للأخبار الجادة ووجهات النظر التى يعبر عنها فى ميديا الأخبار.

إن المسافة الفاصلة بين الفصحى المعاصرة التى تمثل الشفرة اللغوية الأصيلة الجديرة بتمثيل الأمة العربية وبين العامية قد تعوق إتمام عملية تحرر ميديا الأخبار العربية. وكما ذكر هارى (٢٠٠٣) "إن اللغة الشاملة والسهلة المنال ضرورية لحرية التعبير وإلا سنستمر فى الدوران حول أنفسنا" (هارى ٢٠٠٣).

٧- القيم فى اللغة

إذا اعتبرنا الأخبار منتجًا ثقافيًا، فإن هذا يعنى ضمنيًا أن فعل القراءة والاستماع للأخبارهو شيء محدد ثقافيًا وليس حرًا ينطلق بلا سياج يحكمه، بمعنى أن القراء يتوقعون شكلا معينًا للأخبار وإشارات نصية معينة أو علامات تشير لمراجع محددة فى واقعهم الثقافى.

ولكى نقدر على تمييز أدب الأخبار من أشكال الأدب الأخرى (مثل الروايات) يحتاج القراء إلى أن يكونوا "مثقفين إخباريًا" (هارتلى ١٩٨٢ / ٢٠٠١، ٥)، مع العلم أن هذا الأدب ليس كيانًا ساكنًا لا يتغير، بل إنه يتغير بحسب السياق الثقافى ويختلف أيضًا من فترة لأخرى داخل الثقافة نفسها.

فعلى سبيل المثال، كان الأدب الإخبارى الغالب فى القرن الثامن عشر فى الولايات المتحدة هو الرسائل والبيانات العسكرية (فوس ٢٠٠٢، ٣٠٣)، وكانت قصص الأخبار تتلى بحسب ترتيبها الزمنى مثل الروايات الأدبية، وكان المحررون يملأون صفحات جرائدهم بالكتابات السياسية والتى عرفت فيما بعد بالافتتاحيات (المقالات) وبخاصة بعد ظهور الصحف زهيدة السعر، ولذلك سمح أصحاب المطابع لأنفسهم أن يستغلوا الصحف تجاريًا عن طريق تأجير كُتَّاب لينقلوا أخبارهم (الرسائل) للصحف (من هنا ظهر مسمى «مراسلة الصحفية»)، بمعنى آخر أصبحت الأخبار سلعة معروضة للإنتاج الروتينى.

شهد هذا العصر ظهور الشكل الهرمى المعكوس (سنتناول المزيد حول هذا الموضوع فى الأقسام التالية) وهو الشكل الذى ساد وغلب فى بدايات القرن العشرين. لكن الاتجاه الذى أُطلق عليه الصحافة الجديدة والذى بدأ فى الولايات المتحدة دعا لإعادة النظر فى تقديم الأساليب الفنية التقليدية فى الصحافة (فوس ٢٠٠٢، ٣٠٣)

سيقيِّم هذا الفصل التركيب الهيكلى لميديا الأخبار المعاصرة، وبخاصة الميديا المطبوعة فى ضوء البحث السابق وسوف نبدأ باستعراض الأدوار الخاصة للصحفيين العرب باعتبارهم رعاة اللغة لاستخدامهم الفصحى المعاصرة وليست العامية فى إعدادهم التقارير الإخبارية الجادة.

وسوف تلقى أقسام هذا الفصل بعض الضوء على الوسيلة المستخدمة لعكس فكرة الموضوعية من الناحية النصية فى تقارير الأخبار. هذا بخلاف غزارة الأخبار السياسية التى سبق ذكرها، وانتقادها فى لجوئها إلى الإحالة (أن ينسب العمل لصاحبه) سواء بطريقة مباشرة أو غير مباشرة (بين علامات التنصيص). مع العلم أنه تمت الإشارة فى بحث سابق إلى وجود معالم واضحة تميز بين الخبر الموضوعى والأدبيات الذاتية الأخرى مثل أدب (المقالات الافتتاحية)

وعلى الرغم من أن اللغة العامية قد تم فى الغالب طرحها جانبًا من شفرة الأخبار فإنها لا تزال تظهر فى الصحافة، وبخاصة فى الأخبار الخفيفة، وبذلك يمكن وضع موضوعات الأخبار ومصادرها فى ترتيب هرمى اجتماعى محدد.

وأخيرًا، سيلقى الفصل المزيد من الضوء على كيفية " انعكاس حداثة أو فورية نقل" الأخبار على اختيار الزمن المستخدم (الظرف فى اللغة).

الصحفيون حراس اللغة:

يهتم مسئولو الميديا العربية بضرورة الاستخدام الصحيح للغة الفصحى، ويتمنون أن تحتل مكان العامية بأن تصبح أداة رئيسية فى التواصلات اليومية بين العرب، فقد تناول القانون الأخلاقى الصحفى المعتمد من مجلس وزارات المعلومات العرب هذه المسألة، ودعا الصحفيين العرب للعمل على حماية اللغة الفصحى والإرث الأدبى للأمة العربية (حافظ ٢٤٢، ٢٠٠٢ والجمال ٢٠٠١، ٦٩).

تقول إناجى فى تحليلها للبث الإخبارى المغربى (١٩٩٥، ١٠٨) إنها وجدت ندرة فى استخدام الكلمات العامية فى الأخبار الجادة (أقل من ١٪) وهو ما تبرره من جانبها بالحاجة إلى لغة أكثر هيبة ورسمية فى ميديا الأخبار.

لكن إذا ذهبنا بعيداً عن البث الإخبارى الجاد والبرامج الدينية نجد أن كل إنتاج الميديا باللغة العامية، فقد أحصت (هارى ٢٠٠٣، ٣٣) عدد البرامج التى تُقدم العامية وأيضاً التى تقدم باللغة الفصحى على القناة الأولى المصرية، فأظهرت أبحاثها بوضوح بالغ أن استخدام العامية يأخذ ٨٥٪ من الوقت المخصص للبث. أما بالنسبة للصحف فهى تستخدم الفصحى بشكل أساسى، مدخرة العامية فقط للفكاهة أو للتعليقات الهزلية والكاريكاتيرية.

ومع ذلك تلعب العامية دوراً حيوياً فى الاتصال الشخصى بين الناس (اللغة الشرعية حسب تعبير بورديه)، وهذا هو السبب الذى يجعل رجال السياسة "يرصعون لغتهم البليغة بالتعبيرات العامية" كى يتواصلوا أكثر مع مستمعيهم (رو ١٩٨٧، ٢٢).

فعلى سبيل المثال اعتاد الرئيس جمال عبد الناصر أن يبدأ خطبه للأمة بالفصحى لكنه سرعان ما ينتقل إلى العامية المصرية (هولس١٩٩٣، ٣٧)، وقد كان على الإعلام أن يحول هذه التعبيرات العامية إلى الفصحى عند كتابة تقرير حول هذه الخطبة، حتى تكون النسخة المطبوعة من الخطبة (أو النسخة المذكورة فى نشرات الأخبار التليفزيونية) خالية من النكهة المحلية (رو ١٩٨٧، ٢٢) حيث لا يفترض بالرئيس أن يتلفظ بكلمة عامية أثناء خطابه (هارى ٢٠٠٣، ١٠٤).

وعليه فإن اللغة تميز الاختلاف فى الهرم الاجتماعى والسلطة فى المجتمع، وفى الوقت نفسه تؤكد دور ميديا الأخبار فى الإبقاء على هذا الاختلاف وحماية اللغة الفصحى من دناءة العامية.

دفع قصر المُهل الممنوحة لتسليم العمل (وهو ما يميز طبيعة مهنة الصحافة) المحررين والصحفيين للاعتماد على الترجمة السريعة القادمة من وكالات الأنباء الدولية

ومصادرها ممهدين الطريق لإدخال مصطلحات جديدة وتعبيرات مستحدثة للغة العربية المعاصرة المستخدمة فى الأخبار (عبد الفتاح ١٩٩٠، ٤٢).

لا يقتصر التأثير الخارجي على استعارة مصطلحات لغوية من اللغة التركية والفرنسية والإنجليزية والإسبانية والفارسية وغيرها بل يمتد أيضًا إلى التركيبات النحوية (عبد الفتاح ١٩٩٠، ٤٢)، وهذا التأثير الخارجى للغة يعتبره النحويون أكثر ضررًا على اللغة من استخدام العامية (عبد الفتاح ١٩٩٠، ٤٦).

اتفقت الأكاديميات العربية على هذا النقد وتناولوا هذه المشكلة فى مؤتمرهم عام ١٩٨٨، واحتلت مساحة كبيرة من النقاش، وقد كان من نتائج هذا المؤتمر حزمة من التوصيات حول تشغيل عدد أكبر من مصححى اللغة فى ميديا الأخبار، إلى جانب تعزيز مناهج اللغة العربية التى تقدم فى أقسام الصحافة (عبد الفتاح ١٩٩٠، ٤٦).

لا تزال الأكاديمية العربية فى القاهرة تتهم الإعلام بإفساد اللغة العربية المعاصرة ومحاولة الترويج للغات العامية، مع أن العامية لا تُفهم إلا فى حدود الدولة، ولا يشترك فيها كل العرب، ولذا فإن الأكاديمية أبدت مخاوفها من احتمالية انقطاع الصلة بيننا وبين الفصحى المعاصرة بشكل فعلى[١]، ودعت معظم رجال السياسة والإعلام إلى استخدام الفصحى المعاصرة على نحو لائق باعتبارها وسيلة لتعبئة الشعوب العربية وتوحيدها.

وبما أن البرامج الترفيهية تحتل المساحة الأكبر من محتوى الميديا فإن الأكاديمية توصى وزراء المعلومات العرب بزيادة أوقات البث المخصص للأغانى بالفصحى المعاصرة؛ كى تصنع نوعًا من التوازن، فى مقابل ذلك الوقت المخصص للأغانى التى تقدم باللغة العامية المحلية[٢]. من ناحية أخرى فإن المنادين بتحديث الفصحى المعاصرة يساندون تطوير اللغة المستخدمة فى الأخبار ويعتبرونها مساهمة فى العمل الصحفى (عبد الفتاح: ١٩٩٠، ٤٤)

---

(١) موجود على موقع الجزيرة www.aljazeera.net ١٩ مارس ٢٠٠١

(٢) موجود على موقع الجزيرة www.aljazeera.net ٢ أبريل ٢٠٠١

ولضمان ثبات اللغة الفصحى المستخدمة فى الصحف تم ضم مصححى اللغة لطاقم التحرير، كما تم قبولهم لعضوية النقابات الصحفية (هارى ٢٠٠٣، ٦١)، وتتمثل مهمة مصححى اللغة العربية فى الإبقاء على إرث اللغة الفصحى الذى يعكس الشخصية العربية، وتلك المهمة لا تتم من خلال استخدام العامية لأنها لغة "محلية" (هارى ٢٠٠٣: ٦٤).

وعلى الرغم من اعتماد الصحف العربية على مصححى اللغة فقد وقع اختلاف نسبى فيما بينها فى الأساليب الفنية المستخدمة فى اللغة، (مثال: اختلافهم فى هجاء الأسماء الأجنبية والمسميات)، وهذا نتيجة طبيعية لعدم وجود «دليل طباعة للمحررين» محدد يُستخدم من قبل هذه الصحف (عبد الفتاح ١٩٩٠، ١٩).

لا شك أن الصحافة كانت فى حاجة إلى زيادة عدد الصحفيين الذين لا يمتلكون خلفية أدبية لتقديم تقارير إخبارية ذات أسلوب أقل تعقيداً وتكلفاً، لكنَّ هذا الأمر أدى إلى كثرة استعمال التركيبات اللغوية العامية فى الصحافة كما يشير إلى ذلك باحثوا اللغة، وهذا يعنى بالتأكيد أن لغة الصحافة ستختلف من بلد لآخر كما تختلف العامية المحلية من بلد لآخر.

وقد أظهرت دراسة سابقة لمجموعة كاملة من الأعمال اللغوية أن هناك بالفعل اختلافًا فى اختيار المرادفات اللغوية بين الصحف المصرية واللبنانية (باركنسن وابراهيم ١٩٩٩). وذكر رئيس تحرير جريدة الحياة ذات مرة أن الصحيفة سعت لتعيين صحفيين من مختلف البلدان العربية؛ حيث أراد أن يجعل من صحيفته منبراً للكتاب من دول المغرب العربى (تونس والمغرب والجزائر) لكنه وجد أن التقارير الإخبارية التى يرسلها صحفيو هذه البلدان تحتاج فى بعض الأحيان إلى ترجمة بسبب أسلوبهم الخاص فى الصياغة، وأيضًا لاستخدامهم كلمات مهجورة ومبهمة (أبو زيد ١٩٩٣: ٣٧).

وعليه لعبت ميديا الأخبار دورها فى تحديث اللغة، فلعب التليفزيون دوره المهم، فكان وسيلة جيدة فى هذا حتى لغير المتعلمين، لكن التلفزيون غير متوفر فى بعض المناطق الريفية، حيث يحتفظ الراديو بمكانته كوسيلة إعلامية لا غنى عنها.

وكذلك تلعب الصحف والميديا المطبوعة بصورة عامة دورها بين المتعلمين والقراء المثقفين فقط لكن يقال إن المعلومات الموجودة بالصحيفة قد تنتقل لغير المتعلمين شفهياً (عبد العزيز ١٩٨٦، ١٥). ويؤكد بوث (١٩٩٢: ٤٢٣) أن التوزيع الفعلى للصحف فى حقيقته أكثر من التوزيع المبيع؛ فقد اعتاد الأشخاص أن يقرأوا محتوى الصحيفة بصوت عال أمام الأصدقاء والعائلة.

لهذا السبب" لعبت الصحافة المطبوعة دوراً غير متكافئ فى الحياة السياسية والثقافية للبلد حيث لا تزال نسبة المتعلمين المُلمين بالقراءة والكتابة منخفضة جداً" (عفاف لطيف السيد مارسوت - مذكورة فى بوث ١٩٩٢، ٤٢٣).

الموضوعية فى سرد الخبر:

القصة الإخبارية هى حكاية تتألف من خلفيات للأحداث وشخصيات ومحاور. والفارق الفاصل بين حكاية الأخبار والرواية هو أن الأخبار تتعامل مع شخصيات وأحداث حقيقية بينما الرواية فيها تخيل. لكن ينبغى أن نتذكر أن شكلى السرد يشتركان فى الشفرة المستخدمة نفسها وهى اللغة.

أشارت الفصول السابقة إلى التحيز المصاحِب بالعديد من العمليات الصحفية مثل اختيار الخبر واختيار مصدره والجريدة الحكومية، وعلى الرغم من أن هذه الأمور كما يبدو لا علاقة لها باللغة فإن اختيار الكلمات والأزمنة وكيفية استخدام الأسلوب المباشر وغير المباشر فى نقل الأقوال وعنوان الخبر وتركيب القصة الإخبارية كل هذا يكشف لنا عن تحيزات لغوية.

أشار بحث سابق عن أدب الأخبار وبخاصة الأخبار التليفزيونية إلى وجود بعدين مهمين من شأنهما تشكيل نموذج لفهم أدبيات الميديا، وهما درجة الموضوعية والانفعالية (بيرجر ١٩٩٢ - مذكورة فى ماك كيل ٢٠٠٢، ٣٣٤).

فالموضوعية العالية المصحوبة بانفعالية منخفضة من شأنها الدلالة على الأدب الواقعى (الأخبار) والموضوعية المنخفضة المصحوبة بانفعالية عالية هى التى تميز الدراما، فعلى سبيل المثال أشار جورج أورويل، وهو غالبًا أول من كشف غموض لغة الأخبار فى مقالته البديعة ١٩٤٦«السياسة واللغة الإنجليزية»، أشار إلى فكرة «تجميل اللغة» أو استخدام تعبيرات مبهمة وغير محددة لإخفاء الصورة الذهنية المصاحبة لظواهر معينة، مثل إزالة عناصر غير مؤكدة، والتى يمكن أن تستخدم للإشارة إلى حبس بعض الأشخاص دون محكمة عادلة.

وبالمثل هناك عدد من الكلمات متوفر لدى الصحفيين لاستخدامه فى خبر ما عن الفقر مثلا مثل: الفقراء، المحتاجون، البؤس، المحرومون، المعدومون (جيس ١٩٨٧، ١٥) وهى كلمات تحمل فى العادة معانى ضمنية معينة، يسميها علماء اللغة «المعنى الضمنى».

ولكى نتجنب المعانى الضمنية فى عقول القراء يجب على الكتّاب استخدام كلمات دقيقة مجردة من أى لبس أو غموض، لكن جيتس (١٩٨٧،١٦) أوضح أن هذا الكلام غير قابل للتطبيق فى عالم الصحافة وهذا لسبب بسيط ألا وهو أن الصحفيين يخاطبون المجتمع بأكمله، الأكثر معرفة وعلمًا والأقل اطلاعًا وعلمًا، وبالتالى فإن الصحفيين مضطرون لاستخدام لغة رجل الشارع بصرف النظر عن التضمينات الذهنية لألفاظ تلك اللغة.

"وبما أنه لا يوجد فى اللغة مفردات خالية من **القيمة اللغوية الضمنية** فإنه لا مفر من تقرير إخبارى يحتوى على **معانٍ ضمنية ما**" (جيتس ١٩٨٧، ١٦).

حدد تتشمان (١٩٧٢، ٦٦٤) بعض الاستراتيجيات الصحفية للمحافظة على الموضوعية فى سرد الخبر وهى إقرانه بالحقائق، وطرح رأيين متعارضين، واستخدام البرهان المؤيِّد وعلامات الاستشهاد، والاستعانة بأسلوب الهرم المقلوب فى تركيب القصة نفسها، حيث نراعى البدء بالمعلومة الأكثر أهمية للقصة؛ حتى فى تقسيم الصحيفة نفسها، فتأتى الأخبار السياسية الجادة فى الصفحات الأولى والأخبار الخفيفة فى الصفحات الداخلية والخلفية، وتلك علامة أخرى على الموضوعية (تتشمان ١٩٧٢، ٦٧١).

يتفق الباحثون العرب على أن الموضوعية مسألة ضرورية فى كتابة الأخبار. يقدم كرام (١٩٩٢، ١٥١) مثلا على إعداد تقرير بموضوعية فيقول: إذا كان على الصحفى أن يكتب تقريراً حول صراع ما بين رجال الشرطة وبعض الطلبة، فمن الضرورى قراءة تصريح الشرطة عن هؤلاء الطلبة وأقوال اتحادات الطلاب والشهود كى نستطيع طرح كل وجهات النظر.ويقول أيضًا: إنه من الصعب أن نصبح موضوعيين فى كتابة الخبر قلبًا وقالبًا؛ فقد تتدخل أيديولوجيات الصحفيين ومعتقداتهم فى الكتابة.

ويؤكد الباحثون العرب أن الموضوعية وأدواتها متحققة شكلا ومضمونًا فى القصص الإخبارية، ففى الشكل يوجد ما يسمى بـ الهيكل الهرمى المقلوب، وهو يستخدم فى القصص الجادة وفى الأخبار السياسية، أما المحتوى فإنه يتضمن علامات أولية معينة يتم استخدمها للتمييز بين القصص الإخبارية والأدبيات الذاتية الشخصية، بدلا من استخدام الظروف والأحوال التى يتم استبعادها. كما يُستبعد كذلك المبنى للمجهول فى الأخبار السياسية القصيرة.

التركيب:

يعدُّ الهرم المقلوب أحد أهم الخصائص المميزة للتقرير الموضوعى، ومعناه أن نبدأ تقرير الأخبار بالمعلومة الأكثر أهمية ثم نتحرك تدريجيًا إلى أسفل لما يليها فى الأهمية (بيل ١٩٩١، ١٦٨).

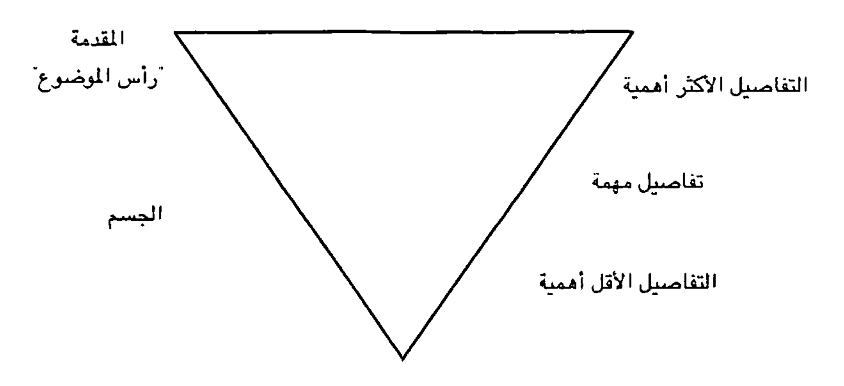
وبالتالى فإن طريقة سرد القصة الإخبارية يختلف بدرجة كبيرة عن القصص الأدبية والأفلام التى يتم سرد الأحداث فيها حسب ترتيبها الزمنى، حتى نصل إلى ذروة الدراما، ثم نقترب تدريجيًا من نهاية القصة، أما قصة الخبر العادى فإنها تعطى المحرر الحرية لقصها من النهاية إذا أراد، كما تحتفظ التفاصيل الأقل أهمية بمكانها فى نهايات الفقرات.

وهذا يرجع إلى أن القصة الإخبارية ليست أبداً عملا فردياً بل هى نتاج فريق، فالمراسل يرسل تقريره حول حدث ما، ثم يأتى الصحفى ليكتب القصة الإخبارية حول الحدث نفسه، ثم يأتى دور مساعد المحرر، ثم دور المراجعين لفحص القصة وإعادة صياغتها وإعادة ترتيبها قبل إرسالها للمطبعة (بيل ١٩٩١، ٣٢).

إن أسلوب الهرم المقلوب فى الصحافة يعد أحد ركائز الموضوعية فى تقرير الأخبار بالإضافة إلى الاتزان والارتكاز على الحقائق وعدم التحزب وأخلاقيات تقديم طرفى القصة (ميندتش ١٩٩٨، ٨). فالكتابة الموضوعية كانت العلامة على نهاية الصحافة التحزبية وبداية ما يسمى الصحافة زهيدة الثمن فى الولايات المتحدة الأمريكية (سكودسن ١٩٧٨).

يشرح أبو زيد (٢٠٠١، ١٥١) معنى الهرم المقلوب بأنه ما تكون من جزأين: قمة الهرم وهى تلخص الحدث الرئيسى وتبعاته، وجسم الهرم وهو يمثل التفاصيل فى تريب تنازلى يبدأ بما هو أكثر أهمية وينتهى بما هو أقل أهمية. يمكن تصوير هذا الهيكل كما **هو فى شكل ٧ . ١**

أسلوب الهرم المقلوب فى الكتابة



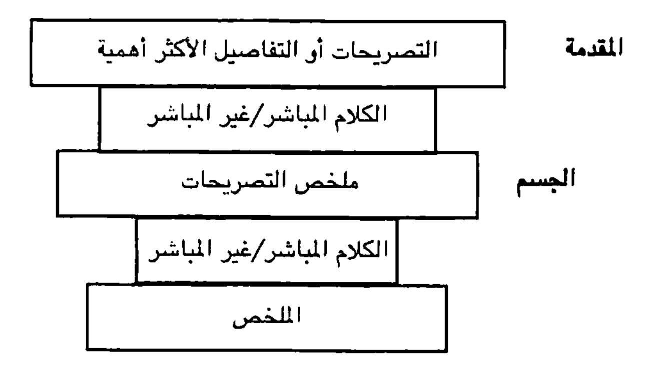
يعد هذا الشكل أكثر ملاءمة لعرض الخبر بالنسبة للقارئ المنشغل الذى لا يملك الكثير من الوقت لقراءة المقالة بأكملها، حيث يكفيه لاستخلاص الفكرة أن يقرأ أول

فقرتين على عجل، وهاتان الفقرتان الافتتاحيتان تكتسبان أهمية هائلة، فيجب مبدئياً أن يتوفر فيهما المعلومة الأهم بالنسبة للخبر، وأن يتضمنا الإجابة عن الأسئلة الأساسية مثل: «من فعل، وماذا ، وأين، ومتى، ولماذا» وعلى الأقل تصور بسيط لـ «كيف»، ثم تأتى الفقرات التالية لتفصل ما تم إيجازه فى الفقرتين الأوليين، ثم تتكشف التفاصيل تدريجياً خلال باقى القصة الإخبارية.

والبديل لأسلوب«الهرم المقلوب» يتمثل فى أسلوب «الهرم المعدول» وهو من سمات الأسلوب الدرامى وهو ما نجده فى الأدب، وفيه يبدأ الكاتب بالتفاصيل ثم ينتقل ببطء نحو ذروة الحدث، وفى هذا الأسلوب يلزم على القارئ أن يتوخى الحذر أثناء قراءة سطور القصة كى يستوعب مغزى القصة.

لا يتوفر للصحفيين فرصة الاختيار بين أسلوب الهرم المقلوب والمعدول فحسبْ بل يمكنهم أيضاً أن يجمعوا بين كلا الهيكلين فيم يطلق عليها «الهرم المدرّج» أو الزجزاج كما هو موضح فى الشكل ٧ . ٢

شكل ٧ . ٢ نموذج الهرم المدرج فى الكتابة



تُظهر الدراسة التى قام بها الباحث عبد الفتاح (١٩٩٠) حول لغة الجريدة اليومية (الأهرام) فى الفترة من ١٩٣٨ إلى ١٩٨٨ - أن تركيب نص الأخبار قد مر بالفعل بتغيير جذرى من التعقيد إلى البساطة والعالمية: فتركيب الهرم المقلوب فى أسلوب الأخبار قد تم إدخاله لأول مرة فى الصحافة المصرية فى الخمسينيات من القرن العشرين على أيدى مؤسسى جريدة أخبار اليوم، بينما اعتاد الصحفيون قبل هذا التاريخ استخدام أسلوب التسلسل الزمنى فى إعداد الأخبار حول الأحداث « كى يبقى القارئ فى حالة إثارة» (عبد الفتاح ١٩٩٠، ١٧).

كان مؤسسوا أخبار اليوم على وجه الخصوص متأثرين بتقاليد الكتابة الصحفية الأمريكية وحاولوا نقل بعض ملامح الأسلوب الأمريكى لجريدة المؤسسة حديثًا (عبد الفتاح ١٩٩٠، ١٧)

ما يلى هو نموذج لهيكل الهرم المقلوب:

الرأى العام ١ أكتوبر ٢٠٠٣

واشنطن: اعتقال العمودى بتهمة تلقى أموال من ليبيا وزيارته لها

أعلن مصدر قضائى ليلة الإثنين - الثلاثاء أن عبد الرحمن العمودى، الذى يعد من أهم أعضاء الجالية المسلمة الأمريكية ... اعتُقل الأحد بتهمة قبول أموال من ليبيا وزيارته لها. ومثُل العمودى أمام محكمة ألكسندريا (فرجينيا) أول أمس بعد يوم من اعتقاله فى مطار دالس الدولى فى واشنطن، بعد عودته من رحلة طويلة فى الخارج.

وكانت الأمم المتحدة رفعت فى ١٢ سبتمبر العقوبات التى فرضت على ليبيا فى ١٩٨٨ بعد اعتداء لوكربى عام ١٩٨٨ الذى أوقع ٢٧٠ قتيلا، لكن واشنطن أبقت على عقوبات أقرتها من جانب واحد فى عهد رونالد ريغان عام ١٩٨٦ ردًا على عمليات إرهابية فى روما وفيينا، اتهمت طرابلس بلعب دور فيها.

الترجمة باللغة الإنجليزية

Washington: Al Ammoudi detained after accusation of receiving money from Libya A judicial source said yesterday that Abdel Rahman Al Ammoudi, who is one of the important members in the Muslim community in the United States . . . was detained last Sunday after being accused of visiting and being financed by Libya. Al Ammoudi . . . was brought before the Alexandria Court (Virginia) the day before yesterday . . . . On September 12, the UN increased the sanctions against Libya, which have been in effect since the Lockerbie attack in 1988 . . . but Washington chose to resume the sanctions that were decided upon during the Regan presidency in 1986 as a reaction to terrorist attacks in Rome and Vienna, in which Libya was accused of involvement.

يبدأ التقرير الإخبارى بجملة تتصدر التقرير وتلخصه يتبعها مزيد من التفاصيل التى يتم تقديمها كلما تكشفت القصة. يشير أبو زيد (١٩٩٣، ٣٩٦) فى بحث له حول تحليل مضمون مجموعة مختارة من إصدارات صحيفة الحياة عام ١٩٩٠ إلى أن الصحفيين يستخدمون أسلوب الهرم المقلوب فى القصص الإخبارية بشكل مفرط (٥٦٪ من اجمالى الأخبار) وكذلك الأسلوب المختلط (٢٣٪) الذى قدمه برهانًا على موضوعية الصحيفة وإتقان الصحفيين للأدب الصحفى، كما يُستخدم أسلوب الهرم المقلوب بتوسع فى تقارير الأخبار (٦٦٪) أكثر من الأسلوب المعدول (٣٤٪) وقد تم تفسير ذلك بمحاولة الصحيفة الاعتماد على الأخبار أكثر من وجهات النظر المطروحة.

الأخبار مقابل وجهات النظر:

يرى خليل (٢٠٠٠، ١٦٤) أن نص الأخبار فى اللغة العربية يختلف فى تركيبه النحوى عن النص الذى يمثل وجهة النظر. لكن الاختلاف دقيق إلى حد بعيد، فهو يكمن فى غياب بعض العلامات الأولية فى نصوص وجهات النظر ووجودها بكثافة فى نصوص الأخبار الجادة، فهذه العلامات أقل ظهورًا فى مقالات وجهات النظر بالمقارنة بنصوص الأخبار.

تتميز المقالات الافتتاحية بتكرار التركيبات الاسمية فى البداية (خليل ٢٠٠٠، ٢٣٠) وتستخدم هذه الإشارة برهانًا على واقعية تقارير الأخبار واستقلالها، وغياب هذه العلامات يؤكد الطبيعة الذاتية للنص (خليل ٢٠٠٠، ٢٣١)

مثال هذه العلامات:

ومن جهة ثانية دعا السناتور ... الرئيس بوش إلى التحدث للشعب الأميركى، وإطلاعه على حقائق الوضع فى العراق، وما تواجهه الولايات المتحدة من مصاعب وتحديات.

الترجمة الإنجليزية:

On the other hand, the senator . . . called for President Bush to address the American people and present the facts about the situation in Iraq, and both the difficulties and challenges which face the United States there.

الشرق الأوسط ١ نوفمبر ٢٠٠٣

الرأى العام ١ اكتوبر ٢٠٠٣

إضافة إلى ذلك، أكد مدير اللجنة الوطنية لشئون الأسرى المفقودين ربيع العدسانى لـ (الرأى العام) تحويل اللجنة الـ (٢٨) ملفًا لأسرى الشهداء إلى مكتب الشهيد ..

الترجمة الإنجليزية:

About this, the director of the National Committee for Hostage Affairs, Rabi'a Al Adsani, stressed to Al Rai Al Am that the committee transferred 28 cases concerning dead hostages to the martyr office . . . .

قد تتضمن هذه العلامات بعض العبارات مثل: «والجدير بالذكر / يُذكر أن» وهى عبارات تقدم معلومات عن الخلفية.

الشرق الأوسط - ١ نوفمبر ٢٠٠٣

يذكر أن الرئيس بوش الذى عاد إلى البيت الأبيض من إجازة شهر أمضى معظمها فى مزرعته فى تكساس، سيواجه فور استئناف نشاطه غداً الثلاثاء ثلاث قضايا رئيسية هى: الوضع فى العراق، وجهود السلام فى الشرق الأوسط والتى على وشك الانهيار، والوضع الاقتصادى الذى تواجهه الولايات المتحدة.

الترجمة الإنجليزية:

It is worth mentioning that President Bush, who returns to the White House after a month's holiday at his ranch in Texas, will face three important issues when he resumes his activities tomorrow: the situation in Iraq, the failing peace efforts in the Middle East, and the economic situation of the United States.

تذكر إناجى (١٩٩٥، ١٠٢) أن استخدام عبارات الجر فى البدايات يحدث لإبراز أحداث أو موضوعات معينة.

١- تجنب المبنى للمجهول فى الكلام

هناك خاصية أخرى مميزة للخبر الموضوعى وهى الميل إلى استخدام المبنى للمعلوم بدلا من المبنى للمجهول، فالمعتاد أن يتم عرض الأخبار العربية بالمبنى للمعلوم. ومن أسباب ذلك كما يقول (عبد الفتاح ١٩٩٠، ٦٢) أنه يتم كتابة الأخبار باللغة العربية دون تشكيل الحروف، ولذا فإن استخدام المبنى للمجهول فى هذه الحالة سيضيف المزيد من الغموض إلى العبارات.

وقد قام الباحث «عبد الفتاح» باقتباس نموذج من جريدة الشرق الأوسط للتمييز بين المستعمِر والمُستعمَر حيث أدى اتفاق الكلمتين فى الشكل إلى غموض الجملة لعدم ضبط الحروف(١).

(١) أظهرت إناجى أيضًا أن النشرات الإخبارية المغربية على سبيل المثال نادرًا ما تُغير حروف العنوانين الرئيسية (١٩٩٥، ١٠٠)

إن استغلال المستعمِرين للمستعمَرين لمن دواعى الأسف

الترجمة الإنجليزية:

The exploitation of the colonized by the colonizers is regrettable.

وهناك استخدام خاص للمبنى للمجهول، فهو عادة ما يستخدم لذكر حادثة تتعامل مع بعض الأفعال مثل «قُتل .. أُصيب»

الشرق الأوسط - ٢ مايو ٢٠٠٣

قُتل رجل أمن أردنى وأُصيب أربعة آخرون أمس فى مطار الملكة عليا الدولى فى العاصمة الأردنية عمان، جراء انفجار قذيفة كانت فى حقيبة صحفى يابانى ... وأُخضع الصحفى الذى لم يكشف النقاب عن اسمه للاستجواب.

الترجمة بالإنجليزية:

Yesterday, a Jordanian security man was killed and four others were injured at the Queen Aliya Internal Airport in Amman following the explosion of a bomb found in a Japanese journalist's case. The journalist was questioned and his identity was not revealed . . .

كإجراء بديل قد يدرج الصحفى اسم الصحيفة المستقبلة للخبر:

الرأى العام ١ اكتوبر ٢٠٠٣

محمد بن مبارك «الرأى العام»: الديمقراطية ليست وباء نخشاه

علاوى لـ«الرأى العام»: قريبون من صدام كشفوا اختلال وضعه العقلى

أبو الحسن لـ«الرأى العام»: إفسادة للإسلام لن تحدث فى عهدى

الترجمة بالإنجليزية:

Mohammed Bin Moubarak to Al Rai Al Am: Democracy is not a disease, which we should fear Alawi to Al Rai Al Am: Sources close to Saddam revealed that he was on the verge of insanity Abu Al Hasan to Al Rai Al Am: Offending Islam is not going to happen during my period in office

هناك العديد من الوسائل اللغوية المستخدمة لتجنب المبنى للمجهول، مثل استخدام التسمية بإضافة «تم» متبوعة بمصدر (عبد الفتاح ١٩٩٠: ٦٤)

الشرق الأوسط ١ نوفمبر ٢٠٠٢

وأوضحت أن من بين الأجانب الذين تم تسليمهم لسفارات بلادهم ٨ أتراك و٣ روس، وفتاة أوكرانية، وأخرى أوزبكية، و٤ نيجيريين ...

الترجمة الإنجليزية:

And it explained that among the foreigner who were returned to their embassies there were eight Turks, three Russians, one Azerbaijani, four Nigerians. . .

بيّن عبد الفتاح (١٩٩٠، ٩٢) من خلال مقارنة عينات إخبارية من جريدة الأهرام بين عام ١٩٣٥ وعام ١٩٨٩ أن استخدام «تم» المتبوعة بالمصدر كثر فى عام ١٩٨٩ بينما كان استخدام المبنى للمجهول هو المفضل فى عام ١٩٣٥

وكانت هناك وسيلة لغوية أخرى تستخدم لتجنب المبنى للمجهول، تمثلت فى استخدام كلمات بعد الحال مثل : «بواسطة أو من قبل».

وفى دراسة سابقة للبث الإخبارى باللغة العربية وجدت أناجى (١٩٩٥، ١٠١) أن استخدام المبنى للمعلوم يرتفع إلى ٨٦٪ من إجمالى الجمل البسيطة، وعندما يُستخدم المبنى للمجهول يكون هناك ميل إلى استخدام أدوات مثل:«بـ ، أو بواسطة، أو من قبل» ويرى بعض رجال اللغة أن استخدام هذا الظرف هو مثال للتأثير المباشر للغات الأجنبية على الصحافة العربية المعاصرة (عبد الفتاح ١٩٩٠، ٨٩)

٢- إضافة فاعل مجهول بدلا من الفاعل الحقيقى:

هزت ستة انفجارات عنيفة وسطَ بغداد

الترجمة الإنجليزية:

Six strong explosions shook Baghdad

جريدة الحياة: ٣٠ أبريل ٢٠٠٢

شهد الخط الأخضر الفاصل بين شطرى جزيرة قبرص ضغطًا هائلا من جانب القبارصة الراغبين فى عبوره ...

الترجمة الإنجليزية:

The green line dividing the island of Cyprus witnessed a tremendous pressure from Cypriots who were eager to cross it . . .

النِّسبية أو الإحالة

ترجع وفرة الأخبار السياسية فى الميديا العربية إلى أن رجال السياسة والمسئولين فى الحكومة يمثلون مصادر المعلومات، وبالتالى قد تتضمن الأخبار اقتباسات مطولة من كلام الساسة تعبر عن آرائهم حول قضايا معينة، أو قد تتضمن أجزاء من كلمة الرئيس. ولأن الخبر ينبغى أن يعكس الحيادية والمصداقية لميديا الأخبار فإن الكلمة المكتوبة تساهم فى رسم هذه الصورة (رو ١٩٩٥، ١٢٩).

أرجع أحد الباحثين اهتمام الصحفيين بذكر مصادر الخبر إلى رغبتهم فى إضفاء بعض المصداقية والشرعية على تقاريرهم الإخبارية (الشباب وسويلز ١٩٨٦). كذلك يعدُ الاستشهاد بأقوال بعض الأشخاص وسيلة أخرى لإظهار موضوعية المؤسسة الإخبارية، وذلك بتقديم آراء أو تصريحات أعرب عنها طرف أو عدة أطراف حول قضية معينة.

ونلاحظ أن المسئولين فى الدولة هم العناصر الرئيسية المذكورة فى الأخبار السياسية. أما الأخبار الاقتصادية والتجارية فيكثر فيها ظهور الأعضاء المنتدبين والإداريين، وبخاصة بعدما أرفقت معظم الصحف ملاحق اعتيادية تختص بالأعمال التجارية الخاصة بالشركات العربية والدولية.

أما الأخبار الثقافية العامة فإنها تعتمد على مختلف الشخصيات العامة مثل الممثلين والفنانين الذين يعتبرون مصادر جيدة للأخبار. وأما التقارير الإخبارية حول الحوادث والمآسى قد تعتمد على المباشرة فى الأسلوب لإضافة البُعد الشخصى للخبر، ولكى يصبح الأمر أكثر سهولة بالنسبة للقارئ ليتفاعل مع الشخوص التى تتضمنها الواقعة.

واستخدام اللغة المباشرة شائع فى ميديا الأخبار العربية والغربية على حد سواء، فنجد مثلا الأخبار السياسة الجادة عادة ما تحتوى على استشهادات مأخوذة من أكثر من مصدر:

إنترناشيونال هيرالد تربيون ١٨ يونية ٢٠٠٣ [(١)]

"إنها لخطة إيجابية من جانب فرنسا، كما نتوقع أن تتعامل فرنسا مع هؤلاء الأشخاص باعتبارهم إرهابيين خطيرين" جاء ذلك على لسان المتحدث باسم وزير الخارجية حامد رزا اسفى" - هذا التصريح مأخوذ بواسطة وكالة الأنباء الرسمية (وكالة أنباء الجمهورية الإسلامية IRNA).

جريدة الشرق الأوسط فى ٥ يونية ٢٠٠١

قالت صحيفة أمس إن شركة "سونى" عملاقة الإلكترونيات، تعتزم دمج مراكز عملياتها المالية الأربعة فى طوكيو ونيويورك ولندن وسنغافورة فى مركز واحد يكون مقره لندن.

الترجمة بالإنجليزية:

Yesterday's paper said that Sony, the electronics giant, intended to merge the four centers of its financial operations in Tokyo, New York, London and Singapore into one center to be based in London.

---

(١) الينى سكولينو، فرنسا تلقى القبض على ١٥٠ من المنشقين الإيرانيين "إنترناشيونال هيرالد تربيون ١٨ يونية ٢٠٠٣

فاستخدام الفعل «قال» يتضمن الإشارة إلى مصدر قائل، وهناك أفعال أخرى يمكن استخدامها فى التعليق على كلمة معينة، وهى فى الغالب تحمل معنى تفسيريًا، مثل الفعل: «أوضح» أو «شدد على»، كما توجد أفعال أخرى مثل:«أضاف» يمكن استخدامها أداةً فنية لتسهيل تتابع مجرى الأحداث:

الشرق الأوسط فى ٢٤ فبراير ٢٠٠٣

وقال: "إننا لا نمانع فى تطبيق قرار مجلس الأمن رقم ١٤٤١ " ..... وأضاف أنه من الصعب تقدير الفترة الزمنية للحرب المحتملة على العراق ..."

الترجمة بالإنجليزية:

He said: "We do not object to executing the Security Council Decision no. 1441 . . . and he added that it would be difficult to estimate the time frame of the expected war on Iraq."

وهناك طرق متعددة لكتابة الكلمة الملقاة فى النصوص الإخبارية، منها كتابة نص الكلمة داخل علامات التنصيص وسبقها بكلمة «يقول»، ومنها كتابة الكلمة مباشرة بدون علامات تنصيص مع استخدام عبارة «قال إن» قبل كتابة نص كلمة هذا المسئول، رغم أن علامات التنصيص مطلوبة فى هذه الحالة. وهناك وسيلة أخرى وهى استخدام اسم الفاعل «قائلا» كما هو مصور فى الشكل ١,٧

He commented on that by saying that	وعلق على هذا قائلاً
And he pointed at . . . . adding that	وأشار إلى أن .. مضيفًا أن

وفى تحليله المقارن على اللغة المستخدمة فى الأهرام بين عام ١٩٣٥ وعام ١٩٨٥ أبان عبد الفتاح (١٩٩٠، ١٣٥) أن اسم الفاعل البديل للفعل يتكرر بكثرة فى العينات

المأخـوذة فى عـام ١٩٣٥ أكـثـر مما فى عـينات عـام ١٩٨٥، ويرجع ذلك إلى سـيـادة الأسلوب الأدبى على أدبيات الصحافة العربية فى الثلاثينيات من القرن العشرين، فى حين نجد أن الجمل الطويلة والمتشابكة تكثر فى العينات المأخوذة فى عام ١٩٨٥، حيث حلت الجمل الموصولة محل اسم الفاعل، وزاد الاعتماد على الفعل «تم»، مما أدى إلى تراجُع استخدام اسم الفاعل فى اللغة (عبد الفتاح ١٩٩٠، ١٠٩، ١٣٥).

ورغم وفرة التعبيرات التى يحتاجها أسلوب الخطاب المباشر فى اللغة فإن الصحافة تلجأ كثيراً إلى أسلوب الخطاب غير المباشر باستخدام أفعال مثل «يذكر، يضيف، يصرح، يعلن»، وتستخدم هذه الأفعال بصورة اعتيادية فى الأخبار السياسية عندما يكون القائل أو المتحدث مسئولا ذا مرتبة عالية مثل رئيس الدولة.

الشرق الأوسط ٢٤ فبراير ٢٠٠٣

... لكنه اعترف أن الوقت متأخر جداً فى محاولة الوصول إلى هذا الحل .. وطالب الشيخ محمد الدول الكبرى بالتصرف حسب مقتضيات الشرعية الدولية واستبعد الشيخ محمد تكرار النموذج الأفغانى فى العراق.. وأشاد ولى عهد دبى بالموقفين الألمانى والفرنسى.. وسخر الشيخ محمد من فكرة رسم خريطة جديدة للمنطقة بعد الحرب المحتملة على العراق، لكنه أعرب عن خشيته من احتمال تعرض العراق لمخاطر التقسيم، واعتبر الشيخ محمد تراجع الاهتمام بالقضية الفلسطينية بأنه تراجع مؤقت....

الترجمة بالإنجليزية:

. . . but he admitted that the time is now late for reaching that solution . . . and Sheikh Mohamed called for the big countries to act according to the international legislation . . . and Sheikh Mohamed discarded the repetition of the Afghani experience in Iraq . . . and the Crown Prince of Dubai praised both the German and French views and Sheikh Mohamed ridiculed the idea of drawing a new map of the region after the expected war on Iraq . . . but he expressed his concern of the risk of dividing Iraq . . . and Sheikh Mohamed considered that the current indifference toward the Palestinian case is rather temporary.

إن الاختيار من بين الأفعال التى تستخدم فى الأسلوب المباشر أو غير المباشر فى الكتابة ليس أمرًا اعتباطيًا، مثال: استخدام فعل مثل «زاد» أو «أضاف» من شأنه أن يضيف صوراً أخرى لمقول الفعل «قال» فهما يضيفان شيئًا من السلاسة والمرونة فى النص المكتوب، بينما نلاحظ أن بعض الأفعال الأخرى مثل «شدد أو أكد على» تُستخدم فى السياقات التأكيدية لإضافة المصداقية للكلمة المكتوبة وإزالة أى شك قد يتسبب فى بطلان هذه الكلمة.

وقد تصبح هذه الأفعال عرضة لتأويلات الصحفيين أنفسهم، لكنه من المستبعد تمامًا أن يكون الجزء المأخوذ من كلمة المسئول الحكومى يتم تفسيره بـ «الآن .. أن أركز على» أو « الآن .. أنا أشدد».

وهناك أفعال لا تفضلها الصحافة الأمريكية مثل «أمل، أشعر، أعتقد» (فيلدر ١٩٩٧). لأنها تتضمن تفسير الصحفى الشخصى لما قاله المصدر لا ما قاله المصدر بالفعل.

وأشار خليل (٢٠٠٠) فى بحث سابق إلى أن الأخبار القصيرة المكتوبة باللغة العربية نادرًا ما تستعين بالأحوال لكن الأفعال المذكورة فى مقدمتها تتضمن معانى الأحوال، مثال: الفعل «سخر» يمكن أن يترجم إلى الإنجليزية بـ«قال بسخرية said sarcastically».

ويرى كول وشار (١٩٧٤) أن استخدام الأفعال القوية مثل «يقنع، يصر، يجادل» على الرغم من شدة وضوحها فإنها تجعل القصة الإخبارية أقل تصديقًا بالنسبة للقارئ [1]، وأن استخدام الأفعال الوصفية يرمز إلى الصحافة المتحيزة. ويحدد ميريل

---

(١) أجرى كول وشاو (١٩٧٤) تجربة ليعرفا ما إذا كان استخدام الأفعال المنسوبة للغير مثل (قال) وتصريحات لغة الجسد (مثل: أومأ بيده اليسرى، ادعى أن ...). أظهر كل من هذين الباحثين أن ثلاث نسخ من القصص الإخبارية لعدد من الموضوعات حيث وجد فى الأولى التى كانت النسخة الأصلية "قال" والثانية كانت فعلاً انفعاليًا ينقل مشاعر المتكلم (مثل زعم.. أصر وغيره) والنسخة الثالثة كانت أفعالاً أكثر انفعالية مصحوبة بتصريحات لغة الجسد. أظهرت الأبحاث أن النسخة الأولى تم الحكم عليها بأنها أكثر القصص مصداقية ودقة فى حين أن النسخة الثانية كانت فى الترتيب الثانى أما الثالثة فكانت الأقل تصديقًا على الرغم من أنها الأكثر إثارة.

(١٩٦٥) ستة أشكال من التحيز: النسبية والنعتية والحالية والنصية، والتصويرية، والرأى الصريح.

رصد "الشباب وسويلز" (١٩٨٦) إحالة الأخبار العربية والإنجليزية فى البى بى سى وراديو سوريا، فوجدا أن قسم اللغة العربية فى البى بى سى اعتاد كثيراً أن ينشر أو يذيع الموضوعات المُحالة، ليس فقط إلى الكثير من المسئولين فى الشرق الأوسط، بل قد يحيل إلى مصدرين معًا: مراسليهم والأخبار نفسها أو "الأنباء تفيد"، وهذا دليل على الرغبة فى الإبقاء على الموضوعية والحيادية (الشباب وسويلز ١٩٨٦، ٣٨).

الرأى العام - ١ اكتوبر ٢٠٠٣

وكشفت مصادر حضرت الاجتماع، أن ... وقال لـ "الرأى العام" أن مطالب الصحافيين "تركزت على ضرورة الحد من زيادة الرقابة فى سورية فى الوقت الذى يزداد فيه الانفتاح الإعلامى فى العالم ...

الترجمة بالإنجليزية:

A well-connected source that attended the meeting revealed that . . . and said to Al Rai Al Am that the journalists' appeals focused on the need to lessen the Syrian censorship, especially now that media around the world enjoy increasing openness . . .

ويذكر خليل (٢٠٠٠، ٢٣٥) أن الأخبار القصيرة باللغة العربية عادة ما تبدأ بتقديم مصدر هذا التقرير الإخبارى سواء كان مسئولا رسميًا صرح به أم مؤسسة.

الرأى العام ١ اكتوبر ٢٠٠٣

طلبت لجنة الخارجية والأمن البرلمانية من رئيس الحكومة الإسرائيلى أرييل شارون، اتخاذ قرار نهائى بشأن صفقة تبادل الأسرى مع "حزب الله" من دون أن يعرض الأمر على اللجنة.

وأعلنت مصادر سياسية وأمنية، وجود أزمة تعيق إتمام صفقة تبادل الأسرى ...

وذكرت المصادر الإسرائيلية، أنه يستبعد إتمام الصفقة قريبًا كما تم الإعلان خلال الأسابيع الماضية بسبب تعثر المفاوضات ...

الترجمة بالإنجليزية:

The Foreign Affairs and Security Committee requested that Israeli Prime Minister Ariel Sharon take a final decision about the hostage exchange deal with Hezbollah without submitting the case before the committee. Political and security sources declared that there was a crisis, which hindered the deal . . . . The Israeli sources said that it was unlikely that the deal would be completed soon, as was announced several weeks ago, due to the failing negotiations.

تُعرِّف الموسوعة الصحفية لفيدلر (١٩٩٧) بعض استخدامات «الإحالة» باعتبارها وسيلة تقدم برهانًا أو تصريحًا أو تربط الرأى محل النقاش بالمصدر. ويبدو أن استخدام الإحالة فى ميديا الأخبار العربية يعمل على خدمة هذه الأهداف. وقد أعطت وفرة الأخبار السياسية رجال السياسة والمصادر الرسمية الفرصة للظهور أكثر من المفروض فى الأخبار باعتبارهم مصدرًا للخبر وممثلين له، وساهم ذلك فى النهاية فى اعتماد الصحفيين العرب على البدء بمصدر الأخبار وزيادة استخدام الإحالة.

التسلسل الهرمى للتقديم النصى

التقديم الهرمى للأفراد والمجموعات فى ميديا الأخبار لا يقتصر فقط على الميديا العربى. يرجع (عبد الفتاح) بذاكرته لذلك التقرير الإخبارى العاصف فى واشنطن بوسط فى ١ يوليو ١٩٩٠ عندما تم الاقتباس حرفيًا مما قاله عمدة واشنطن تعليقا على ترشيح جسى جاكسون لمنصب العمدة" سأكون مثل ذلك الأسد الذى كان عند الرومان.. فهم فقط يطرحون المعوقات أمامى.. أتعرفون؟ لكننى سأركل مؤخرتهم فى كل مرة" (١٩٩٠: ٦٤)

أهان هذا الاقتباس المجتمع الأسود الذى اتهم الصحيفة بالعنصرية، حتى العمدة نفسه عبر عن اعتراضه فيما بعد متهمًا الصحيفة بأنها استخدمت هذا الجزء من الحوار بغرض السخرية منه وإظهار تدنى مستواه اللغوى والذى لا يليق بمكانته.

أظهرت إناجى (١٩٩٥، ١٠٩) من خلال تحليل قامت به حول لغة الأخبار المغربية أن الشكل الأكثر تعقيداً للكنة المغربية كان المستخدم من قبل الضيوف فى الراديو وأخبار التليفزيون، لأن هؤلاء الضيوف يخلطون فى حديثهم بين العامية والفصحى المعاصرة؛ نظراً لعجزهم عن إبداء آرائهم بطلاقة كافية بالفصحى المعاصرة، وتمدنا أناجى (١٩٩٥) بأربعة أسباب للغة المختلطة فى الأخبار:

١- الرغبة فى استحواذ توجهات المشاهد فى نقاش معين.

٢- الاهتمام بإشراك الأشخاص العاديين فى المناقشات لإضافة بعد الواقعية.

٣- للإشارة إلى الاستعانة بمصادر الأخبار المختلفة.

٤- ولإضفاء الطابع الشخصى على الأخبار.

ويمكن رؤية الشكل الهرمى للخطاب من خلال بعض المقالات، وهو متأصل فى الأخبار الثقافية الخاصة بالاحتفالات ومشكلات رجل الشارع وقضايا المرأة.

فيما يلى نص من جريدة الحياة فى ٢٤ فبراير ٢٠٠٣ يتناول زيادة معدلات الطلاق فى مصر، والزيادة المأساوية فى تكلفة حفلات الزواج، والتى تعد من المشكلات الرئيسية التى تواجه العديد من الشباب.

وقفت الأم العجوز فى شرفة منزلها فى ضاحية شبرا المكتظة بالسكان تترقب مواكب الأفراح خصوصاً فى عيد الأضحى ... فهى تُمضى غالبية وقتها فى الشرفة تتحسر على الماضى وتكتشف جديداً فى الحاضر. ووسعت نظرها لعلها تلحظ أزمة مرور حادة أو عراكًا بين سيارة أجرة وأخرى خاصة، ومحاولات تهدئة المارة "يا اخوانا إحنا فى عيد وفى السيارة عروسة عيب كده". لكنها لم تلحظ كثافة العراك كما فى

العام الماضى. انتظرت اليوم الأول ثم الثانى فالثالث فالرابع من دون جدوى، وسألت نفسها. "إيه اللى حصل للناس بطلت تفرح ولا إيه، بقى فى العيد أشوف ١٥ موكب بس! يااه. كنت اشوف ٤٠ أو ٥٠ موكب إيه اللى حصل السنادى".

الترجمة بالإنجليزية:

The elderly woman stood on her terrace, in the crowded Shoubra [a quarter in Cairo] watching the wedding parades especially during the Adha Eid [Muslim feast]. She spent most of her time on the terrace, lamenting the good old days and discovering new causes for complaint in the present. She always looked carefully in the hope that she would see how the parades would cause a traffic jam, and how car drivers would quarrel with one another and the passengers would interfere in the disputes among the drivers, saying, "Let us not quarrel during Eid, we have a bride sitting in the car." But the woman did not witness as many quarrels as there were last year. She waited for it to happen; she waited the first Eid day, then the second, then the third, then the fourth, but nothing happened. She asked herself, "What happened to people? Did they stop getting married or what? I only saw 15 parades during Eid! Oh! I used to see 40 and 50 parades. What happened this year?"

يبدأ الصحفى المشهد بامرأة عجوز تقف فى شرفتها تشاهد موكب زفاف. بداية درامية؛ حيث تم إدخال راوٍ كى يخبر القارئ ماذا يحدث فى النص، فيدخل القارئ لعقل المرأة: (حقيقى أم لا؟)، ويكتشف ماذا كانت تتوق لرؤيته فى الشارع: (موكب زفاف)، ثم ينقل الصحفى ما قالته المرأة بالعامية دون إعادة صياغته بالفصحى.

لا يزال العديد من الصحفيين العرب يعتمدون على مصادر الأنباء الخارجية باعتبارها مصدرًا أوليًا. فجريدة الشرق الأوسط وهى من الصحف التى يشترك فيها عدد من أقسام إخبارية أمريكية تسمح لها بإعادة نشر مقالات من صحف أمريكية، وهذا يعنى أن هناك استيرادًا للأخبار الجاهزة وهذا قد يتضمن تركيبات لغوية وأدبيات جديدة قد تختلف عن أدبيات الأخبار التقليدية فى اللغة العربية.

وإليك مثالا لأحد الأخبار الجادة التى طبعت فى جريدة الشرق الأوسط فى ١ سبتمبر ٢٠٠٣ بعد الحصول على موافقة من الواشنطن بوست، وهى تحكى قصة عائلة عراقى واجهت الموت لأنها وُجدت بالمصادفة فى المكان الخطأ وفى الوقت الخطأ.

قصة أسرة وجدت نفسها وسط تفجير النجف: على أراد مصافحة الحكيم فقتل .. وشقيقه تخلف لقراءة القرآن فنجا

النجف: دانيال وليامز

"قال على عباس إنه كان يريد أن يصافح يد محمد باقر الحكيم الذى ألقى خطبة الجمعة بمسجد الإمام على. التفت على عباس، وهو عامل عمره ٢٠ سنة إلى أقربائه الذين جاءوا معه من العمارة، وعلى بعد ١٧٥ ميلا إلى الشرق، لزيارة الضريح، وقال لهم إنه يريد قبل المغادرة أن يودع آية الله محمد باقر الحكيم، الذى كان قد ألقى خطبة مؤثرة. وكان عباس يريد أن يقول إنه التقى الحكيم شخصياً.

خدمة "واشنطن بوست" – خاص بـ (الشرق الأوسط).

الترجمة بالإنجليزية:

The story of a family that found itself in the midst of Al Najaf explosion: Ali was killed before he could shake hands with Al Hakim ìand his brother was rescued as he went out to attend the Quran reading

Al Najaf. Daniel Williams*

Ali Abbas said that he wanted to shake hands with Mohammed Baqir Al Hamik, who conducted the Friday service at the Imam Ali mosque. Ali Abbas, a 20-yearold worker, came with his relatives from their home, which lies 175 miles to the east, in order to visit the holy shrine. He told them that he wanted to say goodbye to Al Hakim whose preaching was powerful. Abbas wanted to meet Al Hakim personallyì.

*** Washington Post Service**

فالقصة الإخبارية هنا خالفت الشكل الهرمى المقلوب ليس فقط فى قواعده الأدبية التقليدية، بل أيضًا فى الاعتماد على مصادر رسمية وممثلين حقيقيين، والذين تمثلوا فى الشعب العراقى، لكن يلزم التشديد على ضرورة التحليلات الكمية لتأكيد تأثير هذا التقارب بين الأدبيات العربية التقليدية والخارجية (الأمريكية) فى كلا الأدبين - من حيث تركيب القصة والممثلين والمصادر فى الخبر.

زمن الجملة واستخدام الظروف فى الكتابة

من النادر أن يكون لدى قراء الصحف أى اهتمام بأخبار الأمس، فالشائع هو قراءة أخبار اليوم (الطازجة). ولذا تعدُّ الأخبار منتجًا ذا صلاحية قصيرة، ربما لهذا السبب أطلق عليها «بندكت أندرسون» (١٩٨٣) "أفضل مبيعات ليوم واحد".

يقال عن تركيب الأخبار إنه يعكس هذه الوقتية بالبدء بالعناوين، ثم تقديم أهم (وأحدث) الأحداث، وفى الوقت نفسه يقدم إشارات لبعض الماضى (خلفية الحدث)، فى الغالب تأتى فى فقرات لاحقة.

والهيئة الزمنية لسرد الأخبار يمكن تقديمها بصور مختلفة، مثل الإشارة إلى تاريخ معين باستخدام الجمل الظرفية التى تشير لوقت محدد تم فيه الحدث أو ربط زمن الحدث بالحاضر (بيل ١٩٩١: ٢٠١) كما يحدث فى عناوين الأخبار إذ زمن المضارع العناوين الرئيسية فى كل من الصحافة العربية والأمريكية:

تقول إنترناشيونال هيرالد تريبيون فى ٢٥ ابريل ٢٠٠٣ (برينكلى ٢٠٠٣)

الولايات المتحدة تخبر إيران بالبقاء بعيدًا عن العراق

السلطة على وشك استحواذ بغداد

إن اختيار زمن المضارع يضيف حس السرعة والفورية للحدث الذى نتكلم عنه، ولذا فهو الزمن الأكثر استخدامًا فى عناوين الأخبار العربية كما هو واضح فى المثال التالى:

جريدة الحياة ٢٠ مايو ٢٠٠٣

واشنطن **تطرح** مشروعًا معدلاً لا يحدد مدة احتلال العراق

الترجمة بالإنجليزية:

Washington proposes plan amendments that do not specify the time frame for Iraq occupation

الحياة: ٣٠ أبريل ٢٠٠٣

بوش يبدأ احتفالات النصر بلقاء مع الجالية العراقية

الترجمة بالإنجليزية:

Bush commences victory celebrations with a meeting with the Iraqi community

يرجع استخدام زمن المضارع إلى الحاجة إلى إضفاء روح الفورية على الحدث، وبالتالى يشعر القارئ أن الجريدة تقدم أخبارًا حدثت للتو. وهناك سبب آخر وهو أن زمن المضارع فى العادة يحول الحدث لدراما ويجعله كما لو كان يحدث الآن. كذلك ينزع زمن المضارع البُعد التاريخى للحدث محل الكلام، ويجعله لا ينتمى لزمن معين، بل يفصله عن الماضى تمامًا.

وتضيف إناجى (١٩٩٥، ٩٩) أن زمن المضارع كما يستخدم غالبًا فى العناوين فإنه يتصدر الفقرات الأولى للخبر؛ لأنه يضيف إلى الخبر مزيدًا من الوضوح، بينما جسد القصة والتعليق عليها يكون فى الزمن الماضى، وتستطرد بقولها إن الزمن الماضى من ملامح الأسلوب السردى أو الحكى فى تقارير الأخبار.

هنا نجد أن حداثة الخبر لها مطلبان، فيما يتعلق بالزمن، الأول: يجب أن تكون القصة الإخبارية تتناول الحدث الحالى، والثانى: أن الفعل المضارع هو الأسلوب المناسب للتعبير عن فورية الخبر. (كرام ١٩٩٢، ٣٣).

وينحصر استخدام الفعل المضارع غالبًا فى العناوين، فالنصوص الإخبارية عادة ما تكتب فى زمن الماضى؛ حيث تتضمن بعض الأحوال والظروف التى تؤكد هذا الزمن، فعلى سبيل المثال، أظهرت الدراسة الكمية حول إشارات الزمن فى خمس صحف لبنانية غزارة استخدام الظروف، وكان هناك ٤٤ عبارة من إجمالى ٤٩ فى الصفحات الأولى من هذه الصحف تشير إلى الماضى مثل: «أمس، أول أمس، صباح أمس». وعبارة واحدة تشير إلى «صباح اليوم»، واثنين أشارا إلى المستقبل: «الأسبوع القادم» (كرام ١٩٩٢، ٣٣).

يقول «جنز » : إن حس الفورية فى نقل الخبر يمكن توصيله بسبل أخرى غير استخدام زمن المضارع، كاستخدام الظروف مثل: «اليوم، هنا» وهذا يضع القصة الإخبارية فى الإطار الزمنى الأقرب، لكن الظروف فى الميديا الإلكترونية أكثر شيوعًا من الصحافة.

يقول إكيكرانتز (٢٠٠١) : لا يقتصر زمن الأخبار على الحال فقط دون الماضى والمستقبل، بل على العكس هناك إشارات سائدة إلى المستقبل، وبخاصة فى الصحافة الإنجليزية، وعادة ما تشير الأخبار إلى حوار ما باستخدام «وعد، يتوقع». مثال: تأمل العنوانين التاليين من الفاينشال تايمز " أوروبا تناقش عملية انتشار سريعة لـ ٤٠٠٠٠ من القوات"، "سيقرر فيد اليوم".

يقول اكرانتز (٢٠٠١): إن الإشارات الزمنية قد تختلف من ثقافة لأخرى. ففى ميديا الأخبار العربية، سواء كان الوقت يرتبط بالماضى أم الحاضر أم المستقبل، تتعلق مسألة الزمن بتقديم المزيد من البحث والتحقيق فى الخبر.

الخاتمة

لم يقتصر أثر الثورة اللغوية التى حدثت على ساحة الميديا العربية على الأخبار فحسب، بل ساعدت على ظهور أساليب أدبية جديدة ربحت شعبية واسعة النطاق بين الجمهور الإقليمى، على سبيل المثال البرامج التليفزيونية التى تمس حياة المشاهد والتى تم استيرادها من القناة العربية إم بى سى من خلال برنامج "على الهوا سوا"، وأيضاً برنامج "من سيربح المليون" الذى يقدمه المذيع جورج قرداحى، وهو البرنامج المفضل ذو الشعبية الكبيرة وهناك نوع آخر من الأدبيات لم يكن أبداً جزءاً من ثقافة التليفزيون العربى كما ظهرت أيضاً فكرة (التعويذة) فى برنامج "الظل" التابع للإم بى سى.

يناقش هذا الكتاب التقارب فى قيم الأخبار بين الإعلام العربى وميديا الأخبار الأمريكية والذى يبدو فى تبنى بعض القيم الإخبارية مثل الفورية فى إذاعة الخبر، والتقارير الحية التى تقدم على الهواء، والاستخدام الواسع النطاق للخبراء والصحفيين أنفسهم باعتبارهم مصادر جيدة تعتنق الفكرة الغربية للموضوعية بصورتيها (جانبى القصة) والمضمون (محتوى الموضوع).

تخطو ميديا الأخبار خطوات تطورية لا تنقطع منذ حرب الخليج عام ١٩٩١ حيث كانت الـ «سى إن إن» والـ«بى بى سى» هما عيون العرب على أحداث الحرب.لكن الآن قد تعددت القنوات العربية، حيث نجد قنوات الجزيرة والعربية وأبوظبى وقنوات أخرى تنافس القنوات الأجنبية فى تغطية الحرب والأزمات فى المنطقة مقدمين نسخة عربية للخبر.

وقد أثمرت المنافسة العربية الإقليمية بين القنوات العربية غزارة فى البرامج الحوارية السياسية التى تلحق بالعديد من مقالات الرأى فى الميديا المطبوعة (جنز ٢٠٠٣، ٢٩).

قال أحد الباحثين السعوديين إن طبيعة هذا العصر والعولمة سيساهمان فى تحديث الصحافة العربية أكثر وأكثر، لكن فى الوقت الذى نرى فيه أن ميديا الأخبار العربية ترفع شعار :«أكثر من رأى» ساعية وراء الممارسة الصحفية الجديدة للصحافة البحثية، نجد استطلاع الرأى الذى تم بين الصحفيين اللبنانيين يُظهر أن الرقابة مازالت عقبة رئيسية أمام حرية التعبير فى المنطقة العربية، وحسب كلام هؤلاء الصحفيين فإن الضغوط السياسية والتأثير الضئيل للإعلام على الرأى العام فى المنطقة يغذى الوضع الرقابى التسلطى (الوطن ١٠ ابريل ٢٠٠٣).

بهذا لا يمكن اعتبار مؤسسات ميديا الأخبار بديلاً لمؤسسات سياسية فعلية، أو أنها الأداة المحفزة للديمقراطية فى المنطقة، لكن لا يمكن أن ننكر أنها نجحت فى تقديم أدبيات جديدة، كما أن لها خطة عمل موضوعة، وإن كانت مقتصرة على قضايا السياسة الخارجية.

إن الاعتقاد أن هذه الميديا هى بالضبط الشىء الذى ينقص العرب كى يلحقوا بركب الدول الديمقراطية الحرة هو اعتقاد مبالغ فيه (انظر مثال القاسيم ١٩٩٩)، بخاصة عندما نلمس أن التغيير الحالى على ساحة الميديا غير مقرون بتغيير سياسى حقيقى أو تأسيس مؤسسات سياسية تكفل للمواطن الحق فى المشاركة فى الحياة السياسية.

فعلى الرغم من أن الاستغلال التجارى للميديا يعد أحد العوامل المحفزة لهذا التغيير، كما حدث فى الولايات المتحدة الأمريكية، فإن الطبقات الوسطى العربية لا تزال تنجرف وراء قطاع الترفيه من ناحية، فى حين تميل النخبة المثقفة لقطاع ميديا الأخبار من ناحية أخرى. لكن المواطنين ذوى المعرفة والمطلعين على بواطن الأمور لا يشكلون بمفردهم الأداة التى تصنع الديمقراطية، والتى تعمل بكفاءة أكثر فى البلاد التى تتمتع باقتصاد ناجح وطبقات وسطى آمنة (جنز ٢٠٠٣، ٥٩).

فدعوى أن إخبار المواطنين كاف لضمان مشاركتهم السياسية ما هو إلا اعتقاد لمجرد الرغبة فى الاعتقاد. وفى الوقت الذى يكون فيه أكثر المواطنين معرفة واطلاعًا

هم الأكثر احتمالا للمشاركة السياسية نجد هذه المشاركة تقع تحت ضغط عوامل أخرى مثل الدخل والتعليم كما يشير (جنز ٢٠٠٣: ٥٧)، وبالتالى فمن الضرورى أن نتذكر أن الأخبار لا يمكن أن تصبح بديلاً للمعرفة العامة الأكثر شمولاً.

ليس من الضرورى أن تسير الديمقراطية العربية فى نهج النظريات الغربية وتجاربها نفسها، وهذا ببساطة لاختلاف الحقائق السياسية فى كلتا المنطقتين، وأيضًا لا يمكن لتأثير العولمة أن يُبالغ فيه أو يتم تفسيره على أسس النظريات الغربية مثل عدم الارتباط بالأرض أو اللاتوطين (انظر على سبيل المثال سقر ٢٠٠١)، يقول زهو (١٩٩٨): إن الاستغلال التجارى للإعلام الصينى فى التسعينيات من القرن العشرين، وظهور الصحف الصفراء ذات الشعبية، والأشكال المختلطة من الملكية خلقوا معًا وضعًا جديدًا من الصعب توصيفه بحسب النظريات الغربية المطروحة. وفى الواقع قد اختار زهو أن يشير إلى هذا النظام الجديد باعتباره « نموذج تجارى».

وبالمثل يقترح عبد الرحمن (مذكور فى عايش ٢٠٠١: ١٢٦) نظرية اللا استقلالية لوصف نظم الميديا العربية؛ لأن الميديا العربية- كما يرى- تعتمد غالبًا على المصادر الأجنبية مادامت لم تتطرق ولو من بعيد للشئون الداخلية.

وقد ظهرت هذه النظرية فى أمريكا اللاتينية فى الستينيات والسبعينيات، ومن مؤيديها الباحث المصرى «سمير أمين». وبحسب رأيه فإن الدول المتقدمة تتمتع بهيمنة كاملة على الدول النامية، بالقدر الذى لا يسمح لها بتشكيل سياستها المستقله، والأكثر من ذلك أن العالَم المتقدم صنع معايير وممارسات خاصة تحكم البلاد النامية حتى تبقى على تبعيتها.

من ناحية أخرى قد تساعد الزيادة العالية لنسبة الإلمام بالقراءة والكتابة لدى الشباب فى المنطقة من جهة مع المنافسة الآتية من الخارج من جهة أخرى - فى إحداث بعض التغيرات، والتى قد يتمثل معظمها فى تغيير رمزى، مثل ظهور أساليب جديدة أو تغيير شكل الأخبار.

سيستمر الضغط الخارجي في لعب الدور الحاسم بعدما أثبت الضغط الداخلي ضعفه وعجزه عن تحقيق تغيير سياسي أو اجتماعي (روستين ١٩٩٥، ٧٩)، وأدى انغماس الميديا العربية في تغطية قضايا السياسة الخارجية على حساب الشئون الداخلية والاجتماعية إلى زيادة محدودية تأثيرهم تجاه عملية تحقيق الديمقراطية.

وأدت المنافسة الساخنة بين القنوات الفضائية الجديدة إلى تقديم المزيد من البرامج الحوارية السياسية لكن مثل هذه الحوارات عادة ما تتناول قضايا الدول الأخرى وليست قضايا بلادهم الداخلية، ويسمى فاندى (٢٠٠٠) هذه الظاهرة بـ «أى مكان غير مكاننا» وتعنى أنه إذا أراد المصريون معرفة شيء عن مصر فإنه من الأفضل لهم مشاهدة الجزيرة، في حين نجد أن الأنسب للقطريين قراءة الصحف العربية من خارج قطر كي يطلعوا على ما يجرى داخل قطر. ويوجز المواطن القطرى هذه المشكلة في قوله إن معلوماته عما يجرى خارج قطر أكثر قوة من كل المعلومات التي لديه عما يجرى بالداخل (النواوى و اسكندر ٢٠٠٢، ٨٥).

إضافة إلى ذلك لا تزال البرامج الترفيهية تحتل النصيب الأكبر بالنسبة للخطة المطروحة في القنوات الفضائية العربية، ولا يزال البث السياسي والثقافي يركز على النخبة المثقفة، كما ذكر مؤخراً أحد الباحثين العرب في أطروحته لرسالة الدكتوراه حول أداء هذه القنوات[1].

يلاحظ الترمان (٢٠٠٢) أن الرقابة لم تعد قضية بهذه الحيوية في استراتيجية المعلومات العربية وأن الحكومات الآن يمكن أن تكون مسئولة عن سياستها في ظل مناخ الشفافية الجديد. وهذا أيضاً اعتقاد لمجرد الرغبة في الاعتقاد، لأنه ما دامت القضايا السياسية الخارجية تحتل المساحات الأكبر من ميديا الأخبار فإن الشفافية لم تعد موجودة ولا المسئولية مضمونة.

---

(١) توجد هذه النظرية على الرابط التالي: www.aljazeera.net/cases_analysis/2003/8/8-24-1.htm

لكن الجانب المضيء أن القنوات الفضائية نجحت بالفعل في نشر حس المنافسة بين جميع القنوات وأتت هذه المنافسة بما هو في صالح الجمهور، وفي الوقت الذي ركزت فيه القنوات الفضائية على قضايا السياسة الخارجية نرى القنوات الأرضية تنجح لحد ما في التركيز على الشئون الداخلية وبخاصة القضايا الاجتماعية التي كانت تمثل التابوهات (المحرمات) في الماضي، ومثال هذا ما نجده على التليفزيون المصري الذي يبث على الهواء برنامجًا يتعامل مع قضايا حساسة مثل ختان الإناث والبطالة والزواج العرفي وازدواجية الجنسية والزواج من الإسرائيليات (البندري ٢٠٠١).

إذا لم تعالج القنوات الفضائية والأرضية القضايا المحلية باللغة العامية المفضلة فإن النقاش لن يصبح ديمقراطيًا بالشكل الكامل؛ لأن الشئون الخارجية تجذب انتباه الجمهور بعيدًا عن مشكلاتهم الداخلية والتي تركت للعملية الدرامية، حيث بمقدور كُتاب الروايات أن يتجنبوا تطفُّل السلطة في أعمالهم بزعم أنهم روائيون خياليون، وأي تطابق بينه وبين الواقع هو من قبيل الصدفة" (فاندي ٢٠٠: ٣٩٣).

قد يكون أيضًا للعديد من الصحف الصفراء العربية والصحف الحزبية وأيضًا البرامج الحوارية القومية تأثير أوسع على مستقبل التنمية، فالدور الرقابي الذي تمارسه الصحف الصفراء العربية والصحافة الحزبية يخدم غرضًا مزدوجًا: زيادة الانتباه للأخبار ودورها على المستوى القومي وفي الوقت نفسه كشف نواقص الأنظمة الحاكمة الحالية، ولا شك أن الحكومة والمسئولين يردون وبعنف على هذا النشاط بفرض عقوبات صارمة على هذه المطبوعات، وكما يقول جنز "عندما يرغب عدد كبير من المواطنين في سماع رسالة الجهة الرقابية فإن الأنظمة المتسلطة تصاب بالذعر من فقدان الزمام الذي يعتقدون أنهم بحاجة إليه للبقاء في السلطة (٢٠٠٢، ٨٢).

تقوم الصحف الصفراء والبرامج القومية بفعل ما لا تقدر عليه الميديا العربية الإقليمية الجديدة وهو مناقشة القضايا المحلية (بالعامية الأكثر شعبية) وبذلك تضمن تفاعلا واستجابة أشمل على المستوى المحلي.

من المستبعد أن تخلق التوجهات الجديدة فى ميديا الأخبار العربية (Habermasian) أىً مجال شعبى جديد تتفاعل من خلاله الشعوب العربية دون خوف من الرقابة وتنتقد بحرية مؤسساتها السياسية. لكن هذا لا يعنى عدم ورود فكرة الهوية المشتركة بين العرب المجتمعين حول الميديا الجديدة.

ويشير سكودسن (٢٠٠٣، ٦٩) إلى مفهوم أندرسن (١٩٨٣) عن «المجتمع المتخيل» ليقدم تفسيرًا أفضل لرد الفعل بين جمهور الميديا، وفيه يأخذ رد فعل العامة صورة الفريق الملتف حول قضايا مشتركة سواء كانت اجتماعية أم سياسية. يظهر هذا المجتمع المتخيل فى صورة واحدة له ولوطنه، وهناك بالفعل ما يدل على وجود هذا الشكل الذى يربط بين العرب فى العصر الحاضر، وهو ما نراه من تفاخرهم أثناء مشاهدة الأخبار، وبخاصة أخبار حرب العراق الأخيرة من خلال عيون عربية، ووجود بدائل عربية لمصادر الأخبار الأجنبية، وفى الشعور بإمكانية وسائل الإعلام العربية التابعة لهم أن تثير الجدل أثناء تغطيتها الأحداث ونجاحها فى قلب الوضع بصورة أو بأخرى، حتى صار الغرب (أمريكا) هو الغاضب من صورته فى الميديا العربية، نتيجة لمعرفة الإعلام العربى الزائدة بالسياسات، ولو كانت السياسات الخارجية، وأيضًا لمعرفتهم بما يجرى بالبلاد العربية الأخرى، ولكونهم أكثر تجانسًا مع اللغات العامية الأخرى وأساليب الحياة المختلفة، ولشعورهم بأنهم صاروا يأخذون الأمور على محمل الجدية باعتبارهم جمهورًا واعيًا ومطلعًا.

المشكلة هنا أن ظهور قنوات اتصال جديدة خدمت على ما يبدو وظيفتين متعارضتين. فمن جانب جذبت البرامج الترفيهية والثقافية المشاهد العربى لقبول التنوع الثقافى والقومى بمشاهدة الدراما والموسيقى والفيديو والبرامج التى تقدم بلغات عامية أكثر من تلك اللغة السائدة (اللكنة القاهرية). ومن جانب آخر جذبت الأخبار المشاهد إليها باستخدام شفرة لغوية معينة (اللغة العربية المعاصرة) لتعيد تأكيد دور اللغة الرسمية باعتبارها مكونًا لا غنى عنه للقومية العربية.

ومع ذلك لا يزال الفضل يرجع للميديا العربية الجديدة التى نجحت فى رفع سقف الحرية وفرض روح من المنافسة الصحية بين منافذ الميديا المختلفة، باتباع الممارسات الصحفية الجديدة.

وقد استشهدت فى بداية الكتاب بقول عربى مأثور وهو "الصحافة هى مهنة البحث عن المتاعب"، فالجيل الجديد من الصحفيين يحيون هذه المقولة. كما علق أحد الصحفيين من قناة الجزيرة قائلاً: "ما نفعله بقناة الجزيرة يضعنا فى الكثير من المتاعب" (النواوى وإسكندر ٢٠٠٢، ٥).

المراجع

مراجع عربية :

- نظير عبود ١٩٨٤ – لغة الصحف، إبراهيم اليازجى. بيروت: دار مارون عبود.

- عبد النبى وعبد الفتاح، ١٩٨٩– سيكولوجية الأخبار– القاهرة: العربى.

- عواطف عبد الرحمن ١٩٨٩ – دراسات فى الصحافة المصرية والعربية: قضايا معاصرة – القاهرة: العربى.

- قضايا المنطقة العربية حول الصحافة فى القرن العشرين ٢٠٠٢ – القاهرة: العربى برس.

- عزيز عبد الرحمن ١٩٨٩ . الصحافة العربية: تقييم نموذج رو: الفكر العربى ٥٨: ١٦٩ – ١٨٣ .

- فاروق أبو زيد ١٩٩٣ – صحافة المهجر – القاهرة: عالم الكتب.

- ٢٠٠٠ – فن كتابة الأخبار – الجزء الرابع – القاهرة: عالم الكتب.

- عاطف العبد ١٩٩٥ – دراسات فى الإعلام العمانى العدد الرابع عشر، القاهرة: دار الفكر العربى.

- راسم محمد الجمال ١٩٩٠، الأخبار الأجنبية فى الصحف العربية: "المستقبل العربى" ١٣٥ (١٣).

- ٢٠٠١– الاتصالات والإعلام فى العالم العربى: الإصدار الثانى – بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.

- ناهوند القدرى و سعاد حرب ٢٠٠٢، "الإناث والذكور الصحفيون فى التلفزيون". بيروت: مركز الثقافة العربية وباحثو المرأة اللبنانية.

- محمد عايش ١٩٩٥، التأثيرات المحتملة للبث الفضائى المباشر على أنظمة التليفزيون فى المنطقة العربية - جريدة العلوم الإنسانية والاجتماعية ١١: ٣٢٦-٣٩٤ .

- السعيد البدوى ١٩٧٣ . مستويات العربية المعاصرة. القاهرة: دار المعارف.

- بخيت السيد ١٩٩٨ . الصحافة المصرية - قيم الخبار والضمير الزائف - القاهرة: العربى للنشر.

- جان جبران كرام ١٩٩٢ "مدخل لغة الاعلام" الإصدار الثانى - بيروت: دار الجيل.

- أديب خضور ١٩٩٧: الإعلام العربى على حافة القرن الحادى والعشرين. البداية والتنمية والواقع. دمش والقاهرة: المركز العربى للدراسات الاستراتيجية.

- محمد موءاد ٢٠٠٠ - دراسات فى الإعلام الخليجى. الكويت/القاهرة/ الجزائر - دار الكتاب الحديث.

- قاسم ياغى١٩٨١ . تقرير الأخبار ودلالاته التواصلية. بيروت: نقابة الصحفيين العرب.

مراجع أجنبية

- 1991. Arab world. In Nordenstreng, Kaarle, and Michael Traber (eds.), Promotion of educational materials for communication studies. Report of Phase I of UNESCO/ IPDC Interregional Project by IAMCR/AIERI. www.uta.fi/textbooks/ index. html (accessed 15 June 2003).

- Abdelaziz, Salah Ahmed. 1981. The coverage of international news in ten American and Arabian dailies: A comparative analysis. Unpublished master's thesis, Ohio University.

- Abdelfattah, Nabil M. S. 1990. Linguistic changes in journalistic language in Egypt, 1935-1989: A quantitative and comparative analysis. Unpublished doctoral dissertation, University of Texas at Austin.

- 1998.Mass media in the Grand Maghrib: Morocco_Algeria_Tunisia. Department of Communication, IIU: Malaysia. www.geocities.com/Athens/Ithaca/ 8257/ maghrib.htm (accessed 18 October 2003).

- Abdul Aziz,Mohamed. 1986. Factors in the development of modern Arabic usage. International Journal of the Sociology of Language 62:11-24.

- Abu Bakr, Yahya. 1980. Towards an intra-cultural news exchange in the Arab States. In Alcino, Louis da Costa et al. (eds.), News values and principles of cross-cultural communication, 16-26. Paris: UNESCO.

- Abu Bakr, Yahya et al. 1985. Development of communication in the Arab states_ Needs and priorities. Paris: UNESCO.

- Abu Khadra, Faisal. 2002. Wanted: Arab investment in Western media. Al Sharq Al Awsat, 9 October

- Abu-lughod, Ibrahim. 1962. International news in the Arabic press: A comparative content analysis. Public Opinion Quarterly 26 (4): 600-612.

- Adwan, Abdel Jabbar. 2003. Scandalous media search for satisfaction. Al Sharq Al Awsat, 27 March.
- Ahmed, Leila. 1999. A border passage: From Cairo to America_A women's journey. New York: Farrar, Straus and Giroux.
- Al Haqeel, Abdallah S., and Srinivas R.Melkote. 1995. International agenda-setting effects of Saudi Arabian media: A case study. Gazette 55:17-37.
- Al Imam, Ghassan. 2002. Commentary. Al Sharq Al Awsat, 21 May.
- Al Dhaheri, Amina. 2000. The image of women in Arab media. In Women's rights an the Arab media, a report by the Center for Media Freedom. Middle East & North Africa: CMF MEENA.
- "Al Assad meets with Syrian journalists." 2003. Al Hayat, 2 October.
- Al-Azzawi, Jasim. 2002. Should we talk to the enemy? Transnational Broad-casting Studies 9.
- 1998.Mass media in the Grand Maghrib: Morocco_Algeria_Tunisia. Depart-ment of Communication, IIU: Malaysia. www.geocities.com/Athens/Ithaca/ 8257/ maghrib.htm (accessed 18 October 2003).
- In Alcino, Louis da Costa et al. (eds.), News values and principles of cross-cultural communication, 16-26. Paris: UNESCO.
- al-Kasim, Faisal. 1999. Crossfire: The Arab version. Freedom of the press in the Arab
- world. The Harvard International Journal of Press Politics 4 (3): 93-97.
- Al-Khatib, Nabil. 2002. Palestinian media and the effects of new Arab media on the information process in Palestine. Paper presented at the Conference on New Media

- and Change in the Arab World.Amman, Jordan, 2002.www.media.arabia.org/ userfiles/ ACF8A8C.doc (accessed 15 August 2003).

- Al Rasheed, Anas. 1998. Professional values. A survey of working journalists in the Kuwaiti daily press. Unpublished doctoral dissertation, Southern Illinois University.

- Al-Shabbab, Swales J. 1986. Rhetorical features of Arab and British news broadcasts. Anthropological Linguistics 28 (1): 31-42.

- Alterman, Jon B. 1998. New media, new politics? From satellite television to the Internet in the Arab world. Washington: Institute for Near East Policy.

- ____ 2002. The effects of satellite television on Arab domestic politics. Transnational

- Broadcasting Studies 9.

- Amin, Hussein. 2001.Mass media in the Arab states between diversification and stagnation: An overview. In Hafez, Kaj (ed.), Mass media, politics & society in the Middle East. Cresskill, NJ: Hampton Press.

- Anderson, Bendict. 1983. Imagined communities: Reflections on the origin and spread of nationalism. New York:Verso.

- Amimour, Mouhi' Al Din. 2003. Between victory and defeat. Al Sharq Al Awsat, 28 March.

- Ar-Rayis, Saud. 2003. Satellite wars: Scoop at any cost? Al Wasat, 6 October, pp.12-13. At-Tayara, Bassam K. 2003. The photo in news media: The strongest . . . and the most truthful witness! Al Wasat, 6 February, pp. 14-15.

- Aucoin, James. 2002. Investigative journalism. In American journalism. History, principles, practices. Sloan, W. David. and Lisa Mullikin Parcell (eds.). Jefferson, NC & London: McFarland.

- Ayalon, Ami. 1995. The press in the Middle East. A history. New York & Oxford: Oxford University Press.

- Ayish, Muhammed. 1991. Foreign voices as people's choices: BBC popularity in the Arab world. Middle Eastern Studies 27 (3): 374-388.

- ____ 1995. Potential effects of direct satellite broadcasting on national television systems in the Arab region (in Arabic). Journal of Humanities and Social Sciences 11:394-326.

- ____ 1997. Arab television goes commercial: A case study of the Middle East Broadcasting

- Center. Gazette 59 (6): 473-494.

- ____ 2001a.American-style journalism and Arab world television: An exploratory study of news selection at six Arab world satellite television channels. Transnational Broadcasting Studies 6 (Spring/Summer 2001).

- ____ 2001b. The changing face of Arab communications: Media survival in the information age. In Hafez, Kai (ed.), Mass media, politics & society in the Middle East.

- Cresskill, NJ: Hampton Press.

- ____ 2002a. The impact of Arab satellite television on culture and value systems in Arab countries: Perspectives and issues. Transnational Broadcasting Studies 9.

- ____ 2002b. Political communication on Arab world television: Evolving patterns. Political Communication 19:137-154.

- Barnhurst Kevin, and Diana Mutz. 1997. American journalism and the decline in

- event-centered reporting. Journal of Communication 47 (4): 27-53.

Barnhurst Kevin, and John Nerone. 2001. The form of news, a history. New York: Guilford Press.

- Barnhurst, Kevin. (forthcoming). The new long journalism, chapters 1 & 2.

- Barranco, Deborah, and Leonard Shyles. 1988. Arab vs. Israeli news coverage in the New York Times. Journalism Quarterly 65:178-181

- Bell, Allan. 1991. The language of news media. Oxford: Blackwell.

Benson, Rodney. 2001. The mediated public sphere: A model for cross-national research

- (Working paper 2001 series. Center for Cultural, Organization and Politic). Berkeley: University of California.

- Blumler, Jay G., and Gurevitch,Michael. 1995. The crisis of public communication. London: Longman.

- Booth, Marilyn. 1992. Colloquial Arabic poetry, politics, and the press in modem Egypt. International Journal of Middle East Studies 24 (3): 419-440.

- Bourdieu, Peirre. 1984. Distinction: A social critique of the judgement of taste. Cambridge:

- Harvard University Press.

- ____ 1985. Language and symbolic power. Cambridge: Polity Press.

- ____ 1990. In other words. Cambridge: Polity Press.

- Brinkley, Joel. 2003. U.S. tells Iran to stay out of Iraq, International Herald tribune, 24 April.

- Cantarino, Vicente. 1974-76. The syntax of modern Arabic prose (three volumes).

- Bloomington: Indiana University Press.

- Cappella, Joseph N., and Kathleen Hall Jamieson. 1997. Spiral of cynicism. The press

- and the public good. New York & Oxford: Oxford University Press.

- Cassara, Catherine. 2002. Foreign correspondence. In American journalism. History,

- principles, practices. Sloan,W. David, and Lisa Mullikin Parcell (eds.). Jefferson, NC

- & London: McFarland.

- Center for Media and Public Affairs. 1997. What the people want from the press, Executive

- Summary. www.cmpa.com/archive/wdtpwftp.htm (accessed 5 August 2003).

- Chaker, Mohamed Naim. 2003. The impact of globalization on cultural industries in

- United Arab Emirates. Journal of the American Academy of Business 3 (1/2): 323.

- Claussen, Dane S. 2002. Economics, business, and financial motivations. In American

- journalism. History, principles, practices. Sloan,W. David, and Lisa Mullikin Parcell

- (eds.). Jefferson, NC & London: McFarland.

- Cole, Richard R., and Donald Lewis Shaw. 1974. Powerful verbs and body language.

- Journalism Quarterly 51:62-66.

- Cooper, Anne M. 1986. Comparative study of Third World elite newspapers. In

- Stevenson, Robert L., and Donald Lewis Shaw (eds.), Foreign news and the new

- world information order. Ames, IA: Iowa State University Press.

- Cunningham, Brent. 2003. Toward a new ideal. Rethinking objectivity in a world of

- spin. Columbia Journalism Review July/August.

- Dajani, Nabil H. 1989. The vigilant press: A collection of case studies. An analysis of the

- press in four Arab countries. Paris: UNESCO.

- ____ 1992. Disoriented media in a fragmented society: The Lebanese experience. Beirut:

- American University of Beirut.

- Davies, Humphrey. 2003. CNBC Arabiya_the debut. Transnational Broadcasting

- Studies 11. www.tbsjournal.com/CNBC_Debut.html.

- Diamond,Mathew. 2002.No laughing matter: Post-September 11 political cartoons in

- Arab/Muslim newspapers. Political Communication 19 (2): 251-272.

- Eid, Mushira. 1990. Arabic linguistics: The current scene. In Eid, Mushira (ed.), Perspectives

- on Arabic linguistics I. Papers from the first annual symposium on Arabic linguistics.

- Amsterdam & Philadelphia: John Benjamins Publishing Co.

- Eide, Martin, and Graham Knight. 1999. Service journalism and the problems of

- everyday life. European Journal of Communication 14.

- Ekectrantz. 2001. Postmodern times? A comparative study of temporal construction.

- A paper presented at the 15th Nordic Conference on Media and Communication
- Research. Reykjavik, Iceland, 11-13 August 2001.
- Elbendary, Amina. 2001. TV meets the madding crowd. Al Ahram Weekly 538 (June):
- 14-20.
- El-Nawawy,Mohammed, and Adel Iskandar. 2002a. Al-Jazeera: How the free Arab news
- network scooped the world and changed the Middle East. Washington: Westview
- Press.
- El-Nawawy, Mohammed, and Adel Iskandar. 2002b. The minotaur of "contextual objectivity":
- War coverage and the pursuit of accuracy with appeal. Transnational
- Broadcasting Studies 9. www.tbsjournal.com/Archives/Fall02/Iskandar.html (accessed
- 27 August 2003).
- El Sarayrah, Mohamed. 1986. Foreign news in two Jordanian newspapers, Journalism
- Quarterly 63:363-365.
- El-Sherif,Mahmoud. 1980. The Arab attitude to mass media. Intermedia 8 (2): 28-29.
- Ennaji,Moha. 1995. A syntactico-semantic study of the language of news in Morocco.

- International Journal of the Sociology of Language 112:97-111.
- ____ 2002. Comment. International Journal of the Sociology of Language 157:71-83.
- Esam, N. Khalil. 2000. Grounding in English and Arabic news discourse. Amsterdam &
- Philadelphia: John Benjamins Publishing Company.
- Essoulami, Said. 2000. The press in the Arab world: 100 years of suppressed freedom.
- www.cmfmena.org/magazine/features/100_years.htm (accessed 5 June 2003).
- Evensen, Bruce J. 2002. Objectivity. In American journalism. History, principles, practices.
- Sloan, W. David, and Lisa Mullikin Parcell (eds.). Jefferson, NC & London:
- McFarland.
- Fakhri, Ahmed. 1998. "Reported speech in Arabic journalist discourse." In Elabbas
- Benmamoun, Mushira Eid and Niloofar Haeri, (eds.), Perspectives on Arabic linguistics
- XI. Amsterdam, Philadelphia: John Benjamins.
- Fandy, Mamoun. 2000. Information technology, trust, and social change in the Arab
- world. The Middle East Journal 54 (3): 379-398.
- ____ 2003. Commentary. Al Sharq Al Awsat, 26 June 2003.
- Fedler, Fred et al. 1997. Reporting for the media. Fort Worth, TX: Harcourt Brace College
- Publishers.

- Fellman, Jack. 1973a. Sociolinguistic problems in the Middle Eastern Arab world: An

- overview. Anthropological Linguistics 15 (1): 24-32.

- ____ 1973b. Language and national identity: The case of the Middle East. Anthropological

- Linguistics 15 (5): 244-249.

- Fiske, John. 1987. Television culture. London: Routledge.

- Galtung, Johan, and Marie H. Ruge. 1973. Structuring and selecting news. In Cohen,

- Stanley and Jock Young (eds.), The manufacture of news, 62-72. London: Constable.

- Gans, Herbert J. 1999. Popular culture & high culture. An analysis and evaluation of

- taste. New York: Basic Books.

- ____ 2003. Democracy and the news. Oxford: Oxford University Press.

- Geard, Kathrine. 2004. Den hemmelige politimand (in Danish). Journalisten 10 (9):

- 14-15.

- Geis, Michael. 1987. The language of politics. New York, Berlin & Heidelberg: Springer-

- Verlag.

- Ghareeb, Edmund. 2000. New media and the information revolution in the Arab

- world: An assessment. The Middle East Journal 54 (3).

- Gledhill, Christine. 2002. Genre and gender. The case of soap opera. In Hall, Stuart

- (ed.), Representation. Cultural representations and signifying practices. London:

- Sage/The Open University.

- Goldie, Janis. 2003. Embedded journalism and media ethics in the coverage of the 2003
- Iraq war: A historical perspective. www.ucalgary.ca/md/PARHAD/documents/ 2003-
- ForumPaper-Goldie.pdf (accessed 10 December 2003).
- Golding, Peter, and Philip Elliott. 1979. Making the news. London & New York: Longman.
- Green, Norma. 2002. Concepts of news. In American journalism. History, principles,
- practices. Sloan,W. David, and Lisa Mullikin Parcell (eds). Jefferson, NC & London:
- McFarland.
- Guaaybess, Tourya. 2002. A new order of information in the Arab broadcasting system.
- Transnational Broadcasting Studies 9.
- Hachten,William. 1999. The world news prism. Changing media of international communication,
- 5th ed. Ames: Iowa State University Press.
- Haeri, Niloofar. 1997. The reproduction of symbolic capital: Language, state, and class
- in Egypt. Current Anthropology 38 (5): 795-816.
- ____ 2003. Sacred language. Ordinary people. Dilemmas of culture and politics in Egypt.
- New York: Palgrave.

- ____ 2003b. Arabs need to find their tongue, Guardian, 14 June.

- http://www.guardian.co.uk/comment/story/0,3604,977260,00.html (12 January

- 2004).

- Hafez, Kai, ed. 2001. Mass media, politics & society in the Middle East. Cresskill, NJ:

- Hampton Press.

- ____ 2002. Journalism ethics revisited: A comparison of ethics codes in Europe, North

- Africa, the Middle East, and Muslim Asia. Political Communication 19 (2): 225-250.

- Hamada, Basyoni. 1993. The agenda-setting role of the media in the Arab region (in Arabic).

- Beirut: Centre for Arab Unity Studies.

- Hammoud, Mahmoud, and Walid Afifi. 1994. Lebanon. In Kamalipour, R. & H.

- Mowlana (eds.), Mass media in the Middle East. A comprehensive handbook. Westport,

- CT: Greenwood Press.

- Harris, Phil, and Harald Malczek. 1979. Flow of news in the Gulf. Paris: UNESCO.

- Hartley, John. 2001. Understanding news. London:Methuen. (First published in 1982.)

- Hefny, Zainab. 2003. Commentary. Al Sharq Al Awsat. 21 June 2003.

- Hjarvard, Stig. 1992. Reconsidering a paradigm: Galtung & Ruge. An empirical,

- methodological and theoretical examination of "The Structure of Foreign News"

- and the "Structural Theory of Imperialism." Paper presented to the IAMCR Scientific

- Conference, Sao Paulo, Brazil, 16-21 August 1992.

- ____ 1995a. Internationale TV Nyheder (in Danish). Copenhagen: Akademisk Forlag.

- ____ 1995b. Nyhedsmediernes rolle i det politiske demokrati (in Danish). Copenhagen:

- Statsministeriets Medieudvalg.

- ____, ed. 2001. News in a globalized society. Gothenburg: Nordicom.

- ____ 2002. The study of international news. In Jensen, Klaus Bruhn (ed.), A handbook

- of media and communication research: Qualitative and quantitative methodologies.

- London & New York: Routledge

- Hodgson, Godfrey. 1999. Det virtuelle rum: Kr?ft er en bedre historie end krig (in

- Danish). Information 17 (September): 14.

- Holes, Clive. 1993. The uses of variation: A study of the political speeches of Gamal

- Abd al-Nasir. In Eid, Mushira, and Clive Holes (eds.), Perspectives on Arabic linguistics

- V: Papers from the Fifth Annual Symposium on Arabic Linguistics. Amsterdam:

- John Benjamins.

- Holes, Clive. 1995. Modern Arabic: Structures, functions and varieties. London: Longman

- Holm,Hans-Henrik et al. 2000. Verden p? tilbud. Om udenrigsjournalistik og mediernes

- udlandsd?kning (in Danish). Copenhagen: Center for Journalistik og Efteruddannelse/ - Ajour.

- "How the Saudi media covered the Iraq war." 2003. Al Sharq Al Awsat, 18 April.

- Howeidy, Amira. 1999. From right to left. Al Ahram Weekly 448 (September): 23-29.

- http://weekly.ahram.org.eg/1999/448/feature.htm (accessed 22 July 2003).

- Hussein, Riyad Fayez, and Mohamed Raji Zughoul. 1993. Lexical interference in journalistic

- Arabic in Jordan. Language Science 15 (3): 239-254.

- "International journalists publish the news, and the news publishes the Arab journalist."

- 2003. Al Watan, 10 April.

- Jamal, Amal. 2001. State-building and media regime. Censoring the emerging public

- sphere in Palestine. Gazette 63 (2-3): 263-282.

- Janardhan, N. 2003.Media-Mideast: Arab media under fire for anti-U.S. war coverage.

- Global Information Network 12 (June): 1.

- Jenkins, Henry. 2001. Convergence? I Diverge. Technology Review, June:93.

- Jensen, Klaus Bruhn. 1986. Making sense of the news. Aarhus, Denmark: Aarhus University

- Press.

- ____, ed. 1998. News of the world. World cultures look at television news. London: Routledge.

- ____, ed. 2002. A handbook of media and communication research: Qualitative and

- quantitative methodologies. London: Routledge.

- Jones, Adam. 2002. From vanguard to vanquished: The tabloid press in Jordan. Political

- Communication 19 (2): 171-188.

- Kamalipour, Yahya, ed. 1995. The U.S. media and the Middle East: Images and perception.

- Westport, CT: Greenwood Press.

- Keeler, John D.,William Brown, and Douglas Tarpley. 2002. Ethics. In American journalism.

- History, principles, practices. Sloan, W. David, and Lisa Mullikin Parcell

- (eds.). Jefferson, NC & London: McFarland.

- Kazan, Fayad. 1994. Kuwait. In Kamalipour, Yahya R. and Hamid Mowlana (eds.),

- Mass media in the Middle East. A comprehensive handbook. Westport, CT: Greenwood

- Press.

- Khazen, Jihad. 1999. Censorship and state control of the press in the Arab world. The

- Harvard International Journal of Press Politics 4 (3): 87-92.

- Khalil, Elham. 1983. The Arab satellite and the flow of information. Amsterdam: University

- of Amsterdam.

- Khalil, Esam. 2000. Grounding in English and Arabic news discourse. Amsterdam &

- Philadelphia: John Benjamins Publishing Co.

- Khouri, Rami. 1991. The Gulf War: An Arab perspective. Harper's Magazine April: 17-19.

- ____ 2001. Arab satellite TV_promoting democracy or autocracy? Jordan Times 9 - (May).

- ____ 2003. U.S., Arab TV_each tell only half the story. National Catholic Reporter 39

- (23): 23.

- Kilmer, Paulette D. 2002. The press and government. In American journalism. History,

- principles, practices. Sloan,W. David, and Lisa Mullikin Parcell (eds.). Jefferson, NC

- & London: McFarland.

- Kirat, Mohamed. 1987. The Algerian news people: A study of their backgrounds, professional

- orientations and working conditions. Unpublished doctoral dissertation, Indiana - University.

- Kock, Christian. 2002. Forst? verden: Politisk journalistik for fremtiden (in Danish).

- Frederiksberg. Denmark: Samfundslitteratur.

- Koeppel, Barbara. 1989. The press in the Middle East: Constraint, consensus, censorship.

- Washington: Middle East Research & Information Project.

- Leinwand, Donna. 2003. Iraqis can't believe everything they read. USA Today, 18 September

- 2003, p. A13.

- Lund,Anker Brink, ed. 2000. F?rst med det sidste: en nyhedsuge i Danmark (in Danish).

- Copenhagen: Ajour.

- Lund, Anker B. et al. 2001. Danskernes syn p? medier og demokrati. Institut for Journalistik,

- University of Southern Denmark. www.journalism.sdu.dk/html/institut/

- forskning/Danskernes_syn_paa_medier_og_demokrati/afsnit7.pdf (accessed 5 August - 2003).

- Maalouf, Amin. 1998. On identity. Translated from the French by Barbara Bray. London: - Harvill Panther.

- McFadden, Tom J. 1953. Daily journalism in the Arab states. Columbus: The Ohio State - University Press.

- McQuail, Denis. 2002. McQuail's mass communication theory, 4th ed. London: Sage - Publications.

- Mejlby, Mogens. 1999. Journalistikkens grundtrin. Fra ide til artikel (in Danish).

- Aarhus, Denmark: Ajour.

- Merrill, John. 1965. How time stereotyped three US presidents. Journalism Quarterly - 42:563-570.

- Meyer, Philip. 1988. Defining and measuring credibility of newspapers: Developing an

- index. Journalism Quarterly 65:567-574 & 588.

- Mindich, David T. Z. 1998. Just the facts. How"objectivity" came to define American

- journalism. New York & London: New York University Press.

- "Morocco promises open media policy." 2002. www.arabicnews.com, July 12.

- Nasser, Munir K. 1979. Press, politics, and power. Egypt's Heikal and Al-Ahram. Ames:

- The Iowa State University Press.

- ____ 1983.News values versus ideology: A Third World perspective. In Martine, L. John,

- and Anju Grover Chaudhary (eds.), Comparative mass media systems. New York: - Longman.

- ____ 1990. Egyptian mass media under Nasser and Sadat. (Journalism monographs, Dec.

- 1990, Number 124). Columbia, SC: Association for Education in Journalism and - Mass Communication.

- Nossek, Hillel, and Khalil Rinnawi. 2003. Censorship and freedom of the press under

- changing political regimes. Palestinian media from Israeli occupation to the Palestinian

- authority. Gazette 65 (2): 183-202.

- O'Neill, Onora. 2002. A question of trust. Cambridge: Cambridge University Press.

- Ostgaard, Einar. 1965. Factors influencing the flow of news. Journal of Peace Research - 2 (1): 39-63.

- Qallab, Salah. 2002. Commentary. Al Sharq Al Awsat, 27 June 2002.

- Parkinson, Dilworth. 1981. VSO to SVO in Modern Standard Arabic: A study in

- diglossia - syntax. In Syntactic change (Monograph No. 25), Johns, Brenda and David Strong

- (eds.), 159-176. Ann Arbor: University of Michigan Department of Linguistics.

- Parkinson, Dilworth. 1993. Knowing Arabic. Testing Egyptians' MSA abilities. In

- Mushira, Eid, and Clive Holes (eds.), Perspectives on Arabic linguistics V. Papers from

- the fifth annual symposium on Arabic linguistics. Amsterdam & Philadelphia: John - Benjamins Publishing Co.

- Parkinson Dilworth and Zeinab Ibrahim. 1999. Testing lexical differences in regional

- standard Arabic. In Benmamoun, Elabbas (ed.), Perspectives on Arabic linguistics

- XII. Amsterdam & Philadelphia: John Benjamins Publishing Company.

- Patai, Raphael. 1973. The Arab mind. New York: Charles Scribner's Sons.

- Patterson, Thomas. 1993. Out of order. New York: Alfred A. Knoff.

- Patterson, Thomas. 1998. Political roles of the journalists. In Graber, Doris, Dennis

- McQuail, and Pippa Norris (eds.), The politics of news. The news of politics. Washington: - Congressional Quarterly Inc.

- Pinker, Steven. 1994. The Language instinct. The new science of language and mind.

- London: Penguin Books.

- Poniwozik, James. 2003.What you see vs. what they see. Time, 7 April, p. 68.

- Rachty, Gehan. 1978. Foreign news in nine Arab countries. Communications and Development

- Review 2:23-25.

- "Ramadan sales." 2002. Al Sharq Al Awsat, 7 November.

- Reynolds, Gregg. 2003. Alternative TV. The Christian Century, 19 April, pp. 8-9.

- Rothstein, Robert L. 1995. Democracy in the Third World: Definitional dilemmas. In

- Garnham, David, and Mark Tessler (eds.), Democracy, war, and peace in the Middle - East. Bloomington & Indianapolis: Indiana University Press.

- Rubin, Barry. 1979. International news and the American media. In Fascell, Dante B.

- (ed.), International news. Freedom under attack. Beverly Hills, CA: Sage & Center - for Strategic and International Studies.

- Rugh,William. 1987. The Arab press: News media and political process in the Arab world,- 2nd ed. Syracuse, NY: Syracuse University Press.

- ____ 2004. Arab mass media. Newspapers, radio, and television in Arab politics.Westport,- CT: Praeger.

- Saad, Reem. 1998. Shame, reputation and Egypt lovers: A controversy over the nation's - image. Visual Anthropology 10:401-412.

- "Safwat Ash-arif criticizes Arab media." 2002. Al Bayan, 25 October.

- Said, Edward. 1995/1978. Orientalism.Western conception of the Orient. London: Penguin.

- ____ 1997. Covering Islam: How the media and the experts determine how we see the rest

- of the world. New York: Vintage Books.

- Sakr, Naomi. 2001. Satellite realms. Transnational television, globalization & the Middle - East. London: I B Tauris.

- Sharkey, Jacqueline E. 2003. The television war. American Journalism Review 25 (4): 18.

- Schudson, Michael. 1978. Discovering the news: A social history of American newspapers.

- New York: Basic Books.

- ____ 1982. The politics of narrative form: The emergence of news conventions in print

- and television. Daedalus 111:97-113.

- ____ 1995. The power of news. Cambridge & London: Harvard University Press.

- ____ 2003. The sociology of news. New York: W.W. Norton.

- Sensenig-Dabbous, Dima. 2000.Media vs. society in Lebanon: Schizophrenia in an age - of globalization. Media Development XLVII (3): 14-17.

- Shehab, Shaden. 1999. The press in "between." Al Ahram Weekly, 427.

- Shouby. Eli. 1951. The influence of the Arabic language on the psychology of the

- Arabs. Middle East Journal 5:284-302.

- Soloway, Colin. 2003. Free and reckless; With Saddam out of power, the country's

- "news" industry has exploded. Newsweek (International edition), 11 August, p. 22.

- "Songs of grief, enthusiasm, and peace dominate Egyptian radio." 2003. Al Sharq Al

- Awsat, 2 April.

- Sreberny-Mohammadi, Annabelle et al., eds. 1985. Foreign news in the media. International

- reporting in 29 countries. Paris: UNESCO.

- Sreberny-Mohammadi, Annabelle. 1998. The media and democratization in the Middle

- East: The strange case of television. Democratization and the Media 5 (2):

- 179-199.

- Stevenson, Robert L., and Donald Lewis Shaw, eds. 1984. Foreign news and the new

- world information order. Ames, IA: Iowa State University Press.

- Suleiman, Yasir. 2003. The Arabic language and national identity. A study in ideology.

- Edinburgh: Edinburgh University Press.

- Stanley, Alessandra. 2003. Lessons well learned from the American networks. New York

- Times, July 10, 2003, p. E8.

- Symposium on the future of the press. 2003. Al Sharq Al Awsat, 22 January.

- Tash, Adbulkader T. M. 1983. A profile of professional journalists working in the Saudi - Arabian daily press. Unpublished doctoral dissertation. Southern Illinois University.

- Taweela,Waheed. 2002. New media in the Arab world: The social and cultural impact.

- Paper presented at the Conference on New Media and Change in the Arab World,

- Amman, Jordan, 2002. www.media.arabia.org/userfiles/ACF8DF0.doc (accessed 15 August 2003).

- Tuchman, Gaye. 1972. Objectivity as strategic ritual: An examination of newsmen's - notions of objectivity. American Journal of Sociology 77 (4): 660-679.

- Turkistani, Ahmed S. 1989. News exchange via Arabsat & news values of Arab TV news - people. Unpublished doctoral dissertation, Indiana University.

- UNDP. 2002. Arab human development report. New York: United Nations Development - Program.

- UNESCO. 2002. World communication and information report 1999-2000, Chapter 14.

- Paris: UNESCO.

- Urbina, Ian. 2002. Al Jazeera: Hits, misses and ricochets. Asia Times Online, 25 December.

- Vos, Tim P. 2002. News writing structure and style. In American journalism. History,

- principles, practices. Sloan,W. David, and Lisa Mullikin Parcell (eds.). Jefferson, NC - & London: McFarland.

- Versteegh, Kees. 1997. The development of classical Arabic. In The Arabic language.

- Edinburgh: Edinburgh University Press. www.nitle.org/arabworld/ (accessed 5 December - 2003).

- Waugh, Linda. 1995. Reported speech in journalistic discourse: The relation of function and text. Text 15 (1): 129-173.
- Warchauer,Mark, Ghada R. El Said, and Ayman Zohry. 2002. Language choice online- Globalization and identity in Egypt. Journal of Computer-Mediated Communication - 7 (4). www.ascusc.org/jcmc/vol7/issue4/warschauer.html (accessed 5 December - 2003).
- Westerst?hl, J?rgen. 1983. Objective news reporting. General premises. Communication - Research 10 (3): 403-424.
- Wheeler, Deborah L. 2001. The Internet and public culture in Kuwait. Gazette, 63 (2- 3): 187-201.
- Williams, Julie Hedgepeth. 2002. The purposes of journalism. In American journalism.
- History, principles, practices. Sloan, W. David, and Lisa Mullikin Parcell (eds.). Jefferson,- NC & London: McFarland.
- Williston, Scottie. 2001. Global news and the vanishing American foreign correspondent.
- Transnational Broadcasting Studies 6. www.tbsjournal.com/Archives/
- Springs01/Williston.html (accessed 10 August 2003).
- Willnat, Lars, and David Weaver. 2003. Through their eyes. The work of foreign correspondents - in the United States. Journalism 4 (4): 403-422.
- Wolfsfeld, Gadi, Rami Khouri, and Yoram Peri. 2002. News about the other in Jordan and Israel: Does peace make a difference? Political Communication 19 (2): 189-210.
- Yamani, Mai. 2000. Changed identities. The challenge of the new generation in Saudi Arabia. London: The Royal Institute of International Affairs.

- Zednik, Rick. 2002. Perspectives on war: Inside Al Jazeera. Columbia Journalism Review 40 (6): 44-47.

- Zelizer, Barbie. David Park, and David Gudelunas. 2002. How bias shapes the news.

- Challenging the New York Times' status as a newspaper of record on the Middle

- East. Journalism 3 (3): 283-307.

- Zhao,Yuezhi. 1998. Media, market, and democracy in China. Between the party line and the bottom line. Urbana & Chicago: University of Illinois Press.

المؤلفة فى سطور:

نهى ميللر

- أستاذة فى جامعة كوبنهاجن - الدنمارك.

نهى مصرية الأصل وسافرت إلى الدنمارك من أجل الدراسات العليا حتى حصلت على الدكتوراة فى الإعلام العربى - كما عملت لدى وكالة أنباء البى بى سى - قسم اللغة العربية.

- تعمل نهى ميللر أيضًا فى كتابة مقالات وأبحاث تابعة للجامعة، كما ينشر لها أعمال عدة فى صحف دولية مثل: Finanicidt.

- تهتم نهى ميللر بمجال الإعلام العربى كثيرًا وتبحث مدى تأثير التطور الكبير فى هذا المجال على وقع الإنسان العربى.

المترجمة فى سطور:

حنان عبد الرحمن محمد الصفتى

- مترجمة لدى سفارة البرازيل بالقاهرة.
- سبق لها العمل ببرنامج الأمم المتحدة الإنمائى، خريجة قسم الترجمة لدى جامعة الدول العربية.
- تعمل مترجمة حرة تحريرى وفورى.

التصحيح اللغوى : علا طعمة

الإشراف الفنى : حسن كامل